جامعـة الجـزائـر

معهـد اللغـة والادب العـربى

مصطلحات الدراسة الصوتية

في التراث العربى

(دراسـة وتقـويم)

رسالـة لنيـل درجـة دكتـوراه الدولـة فى فقـه اللغـة

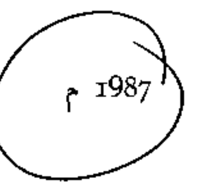


اعـداد :

آمنـة بـن مالـك

اشراف :

الدكتور خليل ابراهيم العطية




بسم الله الرحمن الرحيم


المقدّمة

مصطلحات العلوم مفاتيحها ، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى وليس من مسلك يتوسل به الانسان الى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية لأنها الصور الكاشفة لأبنيته المجردة وكل مصطلح فى أى علم من العلوم يعد ركنا يرتكز عليه البناء المعرفى .

لقد واجه العلماء العرب مشكلة المصطلحات الصوتية منذ تصدوا لعلم الأصوات بالتلقى والتمثل ومحاولة الانشاء والوضع ، ولقد كان شأن علماء الأصوات الأوائل مع علمهم كشأن كل من اختصوا بحقوق المعارف الأخرى مع ما اختصوا به ، مغالبة المتصورات ومراودة المفاهيم لمختلف السبل الاصطلاحية وكان الاحتيال على المدلولات فى جل الأحيان سابقا للحيرة الاصطلاحية من حيث هي تصورات معرفية وتقنيات لغوية .

ولا شك أن مخاض المصطلحات الصوتية قد تجلت معالمه مع الجيل الأول الذى بادر بالبحث فى علم الأصوات ، ورواده الأوائل قد فعلوا ذلك ابتداء من القرن الأول الهجرى حتى الثامن ، واهتم علماء الأصوات بالدراسات الصوتية خلال هذه القرون ، لكن دراستهم لم تكن تحت ظل منهج أو مؤلف خاص ينتظمها وانما جاءت عبر تأليف مقدمات المعجمات الصوتية والدراسات النحوية واللغوية والقراءات القرآنية .

وأطلق هؤلاء العلماء فى مجال البحث الصوتى مصطلحات عديدة متشابهة ، ومتباينة ، جلية ، وغامضة ، واضحة ، وخفية .

واتضحت المعضلة الاصطلاحية الصوتية في الكتب المؤلفة باللغة العربية والمترجمة ، ومما يلاحظ في المصطلحات الصوتية عند المحدثين أنها متجددة ولم تستقر أصولها بعد في الاستعمال والمدلول ومن هنا ركزت على المصطلحات الواردة في الكتب القديمة ومحاولة استشرافها عند المحدثين .

ولما كان البحث في المصطلحات الصوتية العربية يتعرض لأهم القضايا التي ينشدها علم اللغة عامة وعلم الصوت خاصة ومصطلحاته بصورة أخص ، بما يعمق مثل هذه الدراسات وينوع مسائلها ومناهج معالجتها بما يكشف عن معطيات الماضي ويصل هذه المعطيات بما يقدمه الدرس اللغوي الحديث مادام هدف الجميع واحدا وان اختلفت طرق البحث ، ومناهجه واتجاهاته ، ونتيجة لأهمية المصطلحات والدراسات الصوتية وقع اختياري على دراسة ((**مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي : دراسة وتقويم**)) اسهاما متواضعا مني في رفد مثل هذه الدراسات بما يعززها وينميها .

واعتمدت مركزة على المصطلحات الصوتية التي وردت في نماذج من كتب التراث العديدة والمتنوعة ابتداء من عصر الخليل ابن احمد الفراهيدي حتى عصر شهاب الدين القسطلاني (ت 923) لان في هذه الفترة استقر استعمال المصطلح الصوتي على الرغم من تكرره وغموضه وتشابهه كما ذكرت ، دون أن أهمل الوقوف على مايثري البحث العلمي من مصطلحات

صوتية جديدة فاضت به الكتب الصوتية الحديثة، فكان الهدف من هذه الدراسة :

1 ــ جمع المصطلحات الصوتية من كتب التراث وتعريفها .

2ــ تحليل المصطلحات الصوتية المستعملة في البناء اللغوي.

3 ــ تصنيف وتقويم لمصطلحات عملية النطق وأعضائها الأساسية .

4ــ معرفة الفروق القائمة بين مصطلحات التصنيف الصوتي عند القدماء والمحدثين والمقارنة بينها .

5ــ الكشف عن غموض بعض المصطلحات الصوتية وجمع مترادفاتها لها وتعريفها .

6 ــ الوقوف عند المآخذ التي أخذت على استعمال بعض المصطلحات الصوتية في الدراسات القديمة .

ولا ريب أن الطريق لمثل هذه الدراسات شاقة وطويلة ولكن بعد الشقة لا يقف حائلا دون مواصلة الجهود لا رساء الاتجاه نحو المنهج السديد الجامع بين الماضي والحاضر وتبيان موقع المصطلحات الصوتية ـ قديمها وحديثها ـ بما يماثلها في الدراسات الصوتية الحديثة المماثلة .

ووصولا الى تحقيق هذه الاهداف قسمت البحث الى مدخل وخمسة فصول .

ففى المدخل تناولت عرضا تاريخيا سريعا عن المحاولات القديمة التى قام بها كل من الهنود واليونان والرومان والعرب فى مجال البحث الصوتى ، تلك المحاولات التى وجدتها تشترك فى التصنيف العام للأصوات حيث صنفوا أصوات لغتهم حسب موضع النطق ، أو بحسب المخارج اذا استعملت المصطلح العربى القديم .

ووجدت أن تصنيف الرومان واليونان يقومان على ملاحظة الآثار السمعية للأصوات لا على أسس فيزيولوجيه كالتصنيف الهندى والعربى . كما وجدت أن ثمة تشابها كبيرا بين تصنيف الهنود لأصوات اللغة السنسكريتية حسب المخارج وبين تصنيف العرب لأصوات العربية .

كما تشابهوا فى تصنيف الأصوات الى صامتة وصائتة وقد أظهر الهنود اهتماما بتحليل أصوات لغتهم وترتيبها فى بناء معجمهم ، وأبدى اليونانيون عناية بالتمييز بين مصطلح حروف المد والحروف الصامتة ، وبين الحرف والصوت والحركة كما تعرضوا لتعريف المقاطع الصوتية ، والأصوات المغلقة ، وما يقابلها من أصوات انفجارية ومجهورة ومهموسة عندنا .

والغاية من هذا العرض التاريخى الوقوف على وجه الشبه المشترك فى الدراسات الصوتية لدى الأمم القديمة من جهة واظهار مدى اهتمام هذه الأمم منذ عصور غابرة جدا بالبحث الصوتى من جهة أخرى .

وحاولت بعد هذا تحليل أجزاء الجملة لأوضح أن الصوت من أهم العناصر في تأليف البنية اللغوية مفردة كانت أم جملة وهو العنصر الأصغر في هذا البناء ، فكل تركيب يتكون من عدة بنايات مفردة متباينة الحروف والأصوات ، مرتبطة مع بعضها في سياق خاص لأداء معنى عام ، ومحور هذا الربط لأوصال التركيب هو الصوت المكتوب أى الحرف .

والغاية من هذا التحليل توضيح المستوى المقصود من هذه الدراسة وهو مستوى الأصوات الذى يدرس الأصوات اللغوية العربية لذاتها ومن أجل ذاتها دراسة مستقلة لا تمهيدا لمواضيع لغوية أخرى ، وذلك لأتفادى الخطأ الذى وقع فيه أسلافنا وهو الخلط بين مستوى علم الأصوات ومستوى وظائفه .

وأنهيت المدخل بالاشارة الى مدى اهتمام العرب بالدراسات الصوتية من خلال كتب التراث العربي .

وفي الفصل الأول تعرضت الى تصنيف كتب التراث التى شملت في مظانها دراسات صوتية وقسمتها كالتالى :

<u>أولا :</u> **مقدمات المعجمات اللغوية** وخصصت كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدى (ت 175 هـ) وتهذيب اللغة للأزهرى (ت 370 هـ) والجمهرة لابن دريد (ت 321هـ) ولسان العرب لابن منظور (ت 711 هـ) وقد أفادتنى هذه المقدمات بكثير من المعلومات الصوتية ومصطلحات تتعلق بترتيب الأصوات

العربية ومخارجها وصفاتها وتغيراتها .

مثل الأصوات الحلقية ، واللهوية والشجرية والأسلية واللثوية والذلقية، والشفوية، والهوائية ، والمجهورية، والمهموسة، والشديدة والرخوة ، والمصمتة ، والمتفشية ، والمستعلية، والمنخفضة ... الخ

ثانيا: كتب في النحو: وعدت فيها الى : الكتاب لسيبويه (ت 180 هـ) والمقتضب للمبرد (ت 285 هـ) وسر صناعة الاعراب لابن جنى (392 هـ) والجمل للزجاجي (ت337هـ) والمفصل للزمخشري (543 هـ) ، لأبين أن هذه الكتب وغيرهما قدمت لنا معلومات صرفية حاول من خلالها النحاة والصرفيون أن يصفوا ما يطرأ على بنية الكلمة العربية من تغيرات في تصرفاتها المختلفة كما لا دغام والتقارب والقلب والاعلال والابدال والوصل والفصل وكراهة توالي الأمثال ... الخ

ثالثا: الرسائل : ذكرت منها رسالة الكندى (ت 256 هـ) فى اللثغة وبينت من خلالها مصطلحات لها علاقة بعيوب النطق ورسائل اخوان الصفا فى القرن الرابع الهجري لأبين مصطلحات لها علاقة بعلم الصوت الفيزيائي مثل : (منشأ الاصوات ، والاثر السمعي للصوت ، وأعضاء النطق ... الخ ، كما عدت الى رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا (ت 428هـ) مستفيدة مما وردفيها من مصطلحات صوتية . وقدقدمت هذه الرسالة لحدوث الصوت (كالقلع ، والقرع ،

والتموج) ومصطلحات أخرى لتشريح الحنجرة واللسان ووجدت فى هذا الصدد أن ابن سينا أورد مصطلحات جديدة لم يعرفها سيبويه وقد أفاد ابن سينا من كونه طبيبا .

رابعا : كتب فى القراءات القرآنية : اعتمدت فيها على كتاب الحجة فى علل القراءات السبع لابى على الفارسى (ت 377 هـ) والمحتسب لابن جنى (ت 392 هـ) والنشر فى القراءات العشر لابن الجزرى (ت 833 هـ) ولطائف الاشارات لفنون القراءات لشهاب الدين القسطلانى (923 هـ) لابيّن اسهام علماء القراءات القرآنية فى اضافة تفصيلات صوتية الى ماأثر عن الخليل وسيبويه ، فسجلوا لذلك خصائص صوتية تنفرد بها التلاوة القرآنية كالامالة ، والاشمام والروم والفصل والوصل والوقف والغنة ... الخ .

خامسا : وذيلت هذا الفصل بكتب حديثة مؤلفة فى موضوعات صوتية بعضها مترجم مثل (دروس فى علم أصوات العربية) لجان كانتينو ترجمة صالح القرمادى (1966م) الذى كان خطوة متميزة فى بلورة المصطلح اللسانى ولاسيما فى حقل الصوتيات . وبعضها مؤلف بالعربية (كأصوات اللغة) لابراهيم أنيس و" دراسة الصوت اللغوى) لأحمد مختار عمر (1976م) الذى كان خطوة فى حسم كثير من مصطلحات علم الأصوات لاسيما بصدوره على المفاهيم الأجنبية سعيا الى صوغ بدائل عربية لها وقد حوصل جهوده فى كشف مصطلحى 560 فى حقل علم الصوت .

والهدف من هذا التصنيف هو رصد مكان وجود المصطلحات الصوتية فى تراثنا الصوتى من جهة والاعتماد على نماذج من الكتب التى يحويها كمصادر أساسية أستقى منها مادة هذا البحث من جهة أخرى .

وقد حاولت من خلال هذه المصنفات أن أقف عند جهود علماء العرب فى مجال الدراسة الصوتية فى منهج توخيت عرض المادة الصوتية فى غير تحليل تفاديا من التكرار الذى ينجم حين يستدعى المصطلح الصوتى التعريف والتحليل والمقارنة فى مكانه من فصول هذا البحث .

وأنهيت هذا الفصل بالحديث عن الأصوات فى التراث العربى وما يضاهى مثلها فى الدرس الصوتى الحديث .

وفي الفصل الثانى ضمنت البحث كلاما على تعريف مصطلح اللغة ومناقشته لأصل الى خلاصة لمواضيع يقتضيها الدرس اللغوى والصوتى ، وأردفت دراسة هذا المصطلح بمجادلة متواضعة أردت بها مخلصة أن أفرز مفهوم كل من مصطلح الكلام ، والكلمة ، والحرف ، والصوت ، والاشارة ، والعلامة ، والرمز ، وغيرها من المصطلحات التى ترد فى الحديث عنها عادة كاللفظ ، والقول عند اللغويين العرب قدماء ومحدثين لأقف عن تقويم الدراسة القديمة فى ضوء الدراسة الحديثة ، وذيلت دراسة كل مصطلح من المصطلحات المذكورة باظهار مجالات استعماله وتوظيفه فى الحياة الحضارية ، والعمرانية ، والثقافية ، والأدبية ، واللغوية ،

خدمة للغة العربية .

وتناولت في الفصل الثالث المصطلحات الدالة على أعضاء النطق ، وعرفت مصطلح الجهاز النطقي وأعضائه : الحجاب الحاجز ، والرئتين ، والقصبة الهوائية ، والحنجرة ، والحلق واللسان ، وسقف الحنك ، والتجويف الأنفي والشفتين ، والمصطلحات الدالة على أداء هذه الأعضاء لوظائفها في عملية الكلام ، ووقفت عند تحديد مصطلح (مخارج الأصوات) .

والغاية من هذا كله تبيين مدى معرفة العرب بهذه الاعضاء وتسمياتها عند المؤلفين وأشهد بمجهود قدمائنا الذين استعانوا بما تهيأ لهم من وسائل النطق الذاتي ، وقد كان عطاؤهم وفيرا وان لم تسعفهم وسائلهم البدائية في كثير من الاحيان ، وحسبهم اعتراف أحد المستشرقين الفرنسيين (جان كانتينو) في هذا المجال حيث قال : (وكان العرب يعرفون أكثر هذه الاعضاء ، ويطلقون عليها اسماء ذات دقة كافية .) .

أما الفصل الرابع فيتناول المصطلحات التي أفاد منها المؤلفون عند وصف الأصوات اللغوية وقسمتها في هذا البحث قسمين :
صفات عامة درست خلالها مصطلحات مثل : الجهر ، والهمس ، والشدة ، والرخاوة ، والصمت ، واللين ؛
وصفات خاصة أوقفتني عند مصطلحات مثل : الذلاقة والاصمات ، والاطباق والتفشي والاستعلاء ، والاستفال ، والصفير ، والقلقلة ، والانحراف ، والتكرار والهت ، والاستطالة .

وأظهر شيء اهتممت له في هذا الفصل اظهار وفرة ماقدمه البحث الصوتي عند العرب وأن ماقدموه فيها لا يختلف كثيرا عما عرفه البحث الحديث في علم الصوت مع اختلاف الوسائل .

وأنهيت هذا الفصل بدراسة المقطع الصوتي مفهوما ودلالة ووظيفة وكذا النبر والتنغيم ، وكفلت دراسة هذه المصطلحات بالكشف عن أثر الصوت في تشكيل اللفظ وتأثير الأصوات بعضها في بعض ، وشأن الصوت في ذلك كله ، والحديث عن الظواهر التي تنشأ عن موقعية الصوت .

وهدفي من دراسة المقطع الصوتي ، ومصطلح الحركات في العربية توضيح جانب مهم في المصطلحات الصوتية أهمله علماء العرب القدماء وتنبيه الى استدراكه لدى الدارسين المحدثين .

وفي الفصل الخامس : درست المصطلحات الدالة على التغيرات الصوتية وقسمت هذا الفصل قسمين كبيرين :

القسم الأول : دراسة الادغام ، والمقاربة ، والمضارعة ، والاعلال ، والابدال ، والقلب ، والوقف ، وأشرت الى أن هذه المصطلحات تظهر في النطق والكتابة في حين أن غيرها كالامالة والاشمام والروم يظهر في النطق دون الكتابة ، وأن مصطلحات التغير هذه في اللغة العربية تنقسم في حد ذاتها الى قسمين يطلق عليها علماء الاصوات مصطلح " التغيرات المشروطة " و" غير المشروطة " ويؤثر بعضهم " مصطلح القوانين الصوتية ".

وخصصت القسم الثاني : لدراسة المصطلحات الدالة على تغيرات منسوبة الى اللهجات القديمة منها : العنعنة ، واللخلخانية ، والاستنطاء ، والفحفحة والتلتلة ، والكسكسة ، والكشكشة ... الخ .

وحاولت أن أوازن كل مصطلح من مصطلحات القسم الأول بما يقابلها في البحث الصوتي الحديث ، وقد ساعدني على ذلك أصالة الدرس الصوتي القديم وحيويته المتمثلة في درس القراءات ، وجهد اللغويين الفذ ، الذي أسعفني بالمادة المرنة الوافية ، والمنهج المقارن وبالتالي الى النتائج الحسنة .

وحرصت في القسم الثاني أن أوفر لهذا الفصل خصائص عدة تتمثل في تجاوز الاقتصار على المنهج المقارن للمصطلحات والجانب الفيزيائي من الاصوات الى تتبع تطور الأصوات اللهجي وهو الجانب التاريخي لاقترب بذلك من واقع البحث الصوتي في كل أبعاده بأمثلة توضح هذه الظواهر .

وفي الخاتمة : ذكرت معظم النتائج التي توصلت اليها من دراستي هذه .

وختمت الرسالة بمعجم ذكرت فيه أهم المصطلحات التي وردت فيها مع مايقابلها في علم الأصوات الحديث بالفرنسية .

هذا ويمثل منهج البحث في هذا الموضوع ترتيب فصوله على ماتقدم ذكره ، ولست أزعم أن المادة اللغوية التي ضمنتها

وأسلوب تناولها شيء يتجاوز هجاء الدرس الصوتي العربي ، على مايرجى له في قابل الايام من الانتفاع بكنوز مصطلحاته ، وجهود السلف الذى يباهى بهم بحق في هذا المجال ، فقد كان على المتواضع هذا يجمع المنهج الدياكروني والسانكروني والمقارن اذ كان بدءا بالأمور التاريخية ومعالجة جذرية لها ، ووقوفا عند أدق المعارف جمعا وتمحيصا ووصولا الى دراسة المصطلحات الصوتية في صورة جديدة وعرض استعمالاتها التى كانت هي الأخرى تتزاحم لتثير سلسلة من المشكلات ربما لا يبلغ الباحث حلها ، والغاية من عرض مجالات الاستعمال لا ترمي الى حصر كل المصطلحات اللغوية العربية الحديثة ، ذلك أن الدراسات الصوتية العربية الحديثة وما جرته من مصطلحات وافرة العدد نسبيا ليست كثيرة التنوع والتخصص في مواضيعها ومناهجها مثلما هو الشأن في اللغات الحية الأخرى مثل الانكليزية ، والروسية ، والفرنسية ، التى شملت غالب المسائل والمصطلحات الصوتية الحديثة ، فلا يمكن أن نستخلص منها في الوقت الحاضر أكثر من بعض المصطلحات المعينة المحدودة .

وقد تبدو محاولتي هذه سلبية في بعض مظاهرها لكثرة اقتباساتها بالتركيز على كتاب معين ، وقد فرضت علي أن أفصلها عن المصطلحات اللغوية القديمة التى لا يمكن بأي حال أن أدخلها في حسباني لأنها تكون موضوعا مستقلا يستوجب دراسة خاصة جزئية أو اجمالية يحاول بعضهم أن يحققها ، وأعني بالمصطلحات القديمة ما جاء منها في أمهات الكتب القديمة كالكتاب لسيبويه

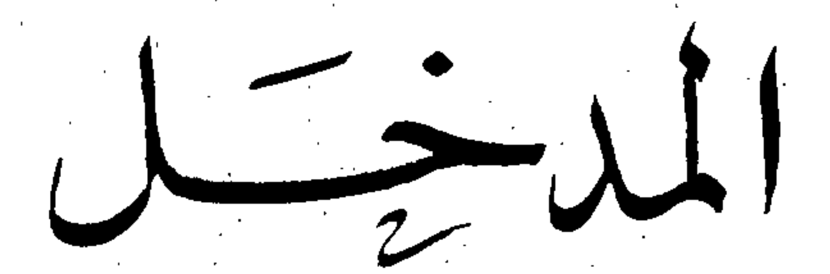
والمقتضب للمبرد ، وسر صناعة الاعراب لابن جني ، على الرغم مما تميزت به بعض المصطلحات القديمة من الدقة والوضوح اللذين لا تستغني عنها العلوم اللغوية الحديثة .

ولقد أشرت الى بعض منها في ثبت معجم هذا البحث وعددتها مفاتيح تساعد على وضع قضية توحيد المصطلحات اللغوية في العربية ، وعلى كشف نوعية المسائل الصوتية الحديثة التي تستأثر بعناية اللغويين العرب المحدثين .

ولقد أخلصت النية وعقدت العزم على أن يكون هذا البحث المتواضع في رسم منهجه أو عرض مادته جديدا في العطاء بما يبوئه المكانة التي تجعل منه مقدمة طيبة في مجال البحث الصوتي تمنح الدراسة العلمية مظهرا من مظاهر الاستقلال الفكري وبعدا في الفهم والاستيعاب واعطاء الأحكام، وكلي آمل أن أكون قد أضفت برسالتي هذه اضافة جديدة للمكتبة اللغوية أسد فيها ثغرة متواضعة خدمة للعربية الكريمة غير باخلة في سبيل ذلك بالجهد والوقت والسهر المتواصل .

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة الا أن أسجل شكري للاستاذ المشرف الدكتور خليل ابراهيم العطية على ما أولانيه من رعاية صادقة .

والله أسأل أن يتقبل جهدي فهو منه واليه ، سبحانه انه ولي التوفيق .


المدخل

مـدخـل تـاريخـي :

شغل اللغويون من قديم بالنظر في الأصوات اللغوية ، وقد أثر عن الهنود واليونان وتلامذتهم الرومان ، وعن العرب محاولات تضمنت ملاحظات صوتية جديدة بأن يهتم بها البحث الصوتي في عصورنا الحديث . وسنقف عند اهم المباحث الصوتية التي وردت عند بعض الأمم القديمة وفي مقدمتها :

الهنـود :

لقد استطاع الهنود أن يضعوا بدقة مدهشة القوانين النحوية والصوتية للغة السنسكريتية في القرن الرابع ق . م .

واننا نجد عندهم أول وصف دقيق للغة ، وقد اكتشف العلماء الأوروبيون في القرن التاسع عشر كتابا قيما في قواعد السنسكريتية ألفه العالم الهندي (بانيني) الذي عاش في شمال الهند في القرن الرابع " ق . م " واليه يرجع الفضل في احتفاظ هذه اللغة بخصائصها وبقائها على حالها وتقعيد قواعدها النحوية .

والجدير بالذكر في هذا البحث أن النحو الهندي اهتم بتحليل أصوات اللغة ، وبوصفها وصفا دقيقا ، ذلك لكي يبقى النطق بالجمل الدينية صحيحا وهو أول وصف علمي لأصوات اللغة السنسكريتية اذ تضمن تصنيفا محكما لحروف معجمهم ويقوم هذا التصنيف بترتيب الحروف الصحيحة تبعا لطريقة لفظها ونقطة ارتكازها متدرجة من خلف الفم الى مقدمته .

وقد ميز (بانيني)(1) بين الحروف التى تنطق داخل الفم والحروف التى يتجه نطقها خارج الفتم ، ومن الأولى تلك التى يحصل عليها بانحباس الهواء " الحروف المغلقة " وانطلاقه " حروف المد " وعن طريق الانحباس تكون لدينا في الدرجة الاولى " الحروف المصطكة " وفى الدرجة الثانية الحروف الشجوية ، (أنصاف حروف المد) .

أما الحروف التى تنطق خارج الفم فكان الهنود يميزون بين اللهوية الصامتة ، والصائتة والرئوية " الشهيق " و " حروف الغنة " .

ويقسمون " الصوامت " الى " مغلقة " و " أشباه صائتة " و " ضيقة " وقد أقاموا هذا التقسيم على أساس صوتى هو درجة تقارب أعضاء النطق عند نطق أصوات كل قسم من هذه الأقسام .

كما قسم الهنود أصوات لغتهم الى القسمين الرئيسين ، الأصوات المهموسة ، والأصوات المجهورة .

وبيّن " بانينى " أبنية المفردات وما يلحقها من زوائد ولواحق وسوابق فكان أول من حدد مفهوم المادة وميز بين الحرف الصوتى وآثاره الصوتية الفردية ، أى أن للكلمة أساسا صوتيا (وهو الصوت الدال على معنى)(2) لكنه يتميز عن جميع الآثار الصوتية الفردية لهذه الكلمة .

---

(1) — جورج مونين . تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين . ترجمة الدكتور بدر الدين القاسم . دمشق . 1392 هـ 1972 م . ص 66 .

(2) — نفسه . ص 66 .

وقد قام التصنيف الهندى للأصوات على أساس فحص وظائف أعضاء النطق، وعلى تحديد مواضعها بالنسبة لكل صوت وعلى درجة اتصالها .

وثمة تشابه كبير بين تصنيف الهنود لأصوات السنسكريتية حسب المخارج وتصنيف العرب لأصوات العربية على هذا الأساس .
ومعروف أن التصنيف الهندى أقدم كثيرا من التصنيف العربى، ومن مظاهر التشابه أن الهنود يرتبون الأصوات ابتداء من أقصاها فى الحلق الى الشفتين ثم يذكرون الأصوات الأنفية وهذا الترتيب هو الذى نجده عند الخليل بن أحمد وعند سيبويه ، وهو الذى سار عليه المؤلفون العرب من بعد. (1)

اليونان :

لقد أثرت عن اليونان مادة صوتية نجدها متناثرة فى محاورات أفلاطون حيث يعرض (حوالى 336 ــ 385 ق . م) للتحليل الصوتى وحدات التقطيع فى حواره " كراتيل " بقوله : (2)

(ينبغى لنا ، نحن أيضا ، أن نبدأ بتمييز حروف المد ثم تصنف باقى العناصر " أى الوحدات الصوتية التى لا تقبل التجزئة " حسب أنواعها ، وهى لا تتضمن صوتا (الحروف الصامتة = الساكنة) ثم ننتقل الى العناصر التى ليست هي من الحروف الصامتة ولا من حروف المد . . .) ويعرض أرسطو للتحليل الصوتى فى كتابه " الفن الشعرى" على النحو التالى :

---

(1) ــ محمود السعران . علم اللغة مقدمة للقارئ العربى . ص95 .
(2) ــ نفسه . ص 92 .

(الحرف صوت لا يتجزأ وهو صوت معين ومن طبيعته أن يدخل فى تركيب صوت معقد . ذلك لأنّ الحيوان أيضا يصدر أصواتا لا تتجزأ ، لكنى لا أطلق عليها اسم "الحروف" وتتألف الأبجدية من حروف صائتة ، وصامتة ، ومتوسطة .)(1)

وفى تعريفه "الحركة" يقول : ((... الحركة هي الحرف الذى يكون له صوت يسمع دون تحريك الشفتين . وأما الحرف الصامت فهو الصوت الذى ليس له صوت فى حد ذاته ، ولكنه يصبح مصوتا اذا اقترب بحركة صامتة .))(2)

والحرف المتوسط هو الذى يملك صوتا مسموعا بفضل هذا التقارب في اللسان والشفتين مثال على ذلك حرف السين أو الراء ، ولقد أضاف النحويون فيما بعد حروفا مثل : (ل . م . هـ . ز .) .

وتختلف هذه الحروف باختلاف الشكل الذى يتخذه وضع الفم أو باختلاف المكان الذى تنطلق منه . وقد تكون مجهورة ، أو مهموسة حادة، أو خشنة ، أو بين بين ، وعلى الاختصاصيين من علماء العروض أن ينظروا فى تفاصيلها .

---

(1) — جورج مونين . تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين . ص 86 .

(2) — نفسه . ص 87 .

أما المقطع فهو صوت خال من المعنى . يتألف من حرفين صامت وصائت . مثال : المقطع " غو " الخالي من حروف المد وكذلك المقطع " غواء " . وهذا أيضا يختص علم الصوتي ببحث هذه الفروق .

وهكذا نلمس من خلال هذه الملاحظات أن اليونانيين أخذوا يحللون اللغة الى عناصرها وبدأوا يصفون النظام الصوتي ولكن أعمالهم كانت دون أعمال الهنود في هذا المجال ، اذ أن وصف الهنود للحروف وصف يعتمد على أوضاع اللسان عند النطق وعلى مخارج الحروف وادراك الأسس الفسيولوجية (1) بينما يستند وصف اليونانيين الى أصوات الحروف كما يدركها الانسان ولايخص ما للأذن من نقص اذا قيست بوسائل التجربة الأخرى . وعليه جاءت أبحاثهم في ميدان الصوتيات ناقصة من عدة نواح ومن أمثلة ذلك : ترتيبهم للحروف الذي يعتمد على السمع ، لا على النطق بالحروف ومخرجه . فقد صنف أفلاطون في حواره " كراتيل " حرف السين ضمن الحروف الصامتة ، بينما هو حرف من حروف الصفير .

والذي صنعه اليونان أيضا أنهم صنفوا جانبا من أصوات اللغة اليونانية وهو " الأصوات المغلقة " على أساس " شدة النفس" وهكذا أصبحت الأصوات التي يصدق عليها أنها " مهموسة"مقابلة

---

(1) ـ محمود السعران . علم اللغة . ص 92 .

في تصنيفهم للأصوات " الانفجارية النفسية " بدلا من أن تكون مقابلة لما يصدق عليها أنها " مجهورة " وعدوا الاصوات التي نسميها " مجهورة " متوسطة بين " المهموسة " و " الانفجارية النفسية " وهم بذلك لم يفطنوا الى تقسيم أصوات لغتهم الى قسمين الرئيسين وهما " الأصوات المهموسة " والأصوات المجهورة كما فطن الى ذلك الهنود والعرب[1]. كما نجد مادة صوتية كثيرة في كتابات نحوييهم مثل : " ديونيزيوس " ثراكس[2] " و " ديونيز يوس " ماليكار ناسوس[3].

الرومان :

لقد تتلمذ الرومان لليونانيين ونقلوا علوم اللغة اليونانية الى غيرهم من الأمم الأوروبية وسبب ذلك أن الرومان أقبلوا بشغف على تعلم اللغة اليونانية وجعلوا ينهلون من آدابها لأنهم افتتنوا بمظاهر الحضارة اليونانية بعد أن غلبوا أهلها . وهكذا نرى أن الرومانيين حاولوا حشو ألسنتهم في الأطر التي وضعها نحويو الاغريق وذلك انطلاقا من محاولاتهم العامة في تقليد اليونان في أكثر المسائل الفكرية والثقافية والصوتية ، اذ نجد جانبا كبيرا من المادة الصوتية المأثورة عنهم في كتابات نحوييهم مثل بروسكيان ، وترنتيانوس فيكتور رينوس[4]، دون أن يضيفوا شيئا يذكر في بحث أصوات اللغة .

---

(1) — محمود السعران . علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص 92 — 93

(2) — DIONYSIUS THRAX

(3) — DIONYSIUS OF MALLCARNASSUS

(4) — محمود السعران . ص 92 .

أما العرب فسنورد شيئا من آرائهم الصوتية بعد حين ، ونكتفي هنا بأن نقول أن كثيرا من ملاحظاتهم الصوتية تستمد من مصادر مختلفة نذكرها في هذا الفصل ان شاء الله . كما تستمد من المحاولات التي قاموا بها لوضع الكتابة العربية والاصلاحات الكبيرة التي أدخلوا عليها ، وذلك كالاصلاح المنسوب الى أبي الأسود الدؤلي والخاص بوضع النقط التي تمثل الحركات القصيرة والتنوين وكان ذلك قبل وضع النحو العربي ، وكالاصلاحات التي تلت هذا والتي أضافت الى الكتابة العربية علامات لخصائص صوتية أخرى .

هذا ويعد اللغويون المحدثون " التمفصل اللغوى (articulation) أو التهجي " أبرز خصائص اللغة ، والذى بواسطته يحل الكلام الى وحدات كبرى وصغرى ، هي الجمل ، والكلمات ، والحروف تكشفها التغيرات التي تطرأ على عناصر الكلام وبنيته .

والتمفصل اللغوى (1) نوعان : تمفصل صوتي ، يتم من الكلمات وحروفها ، وتمفصل دلالي ، يتم من الجمل وأجزائها ، وعادة يطلق " التهجي" الذى تتهجى به الحروف والكلمات والجمل على التمفصل بنوعيه فيقال فيهما التهجي الصوتي والتهجي الدلالي .

فعندما نقول : هذا كتابي ، هذا كتابك ، هذا كتاب أخيك هذا كتاب أخيها ... الخ نلاحظ أن الكلام في كل مرة يحتفظ بوحدات لم يدخل عليها تغيير ، في حين هناك وحدات دخلت

---

(1) — المقصود بالتمفصل اللغوى : " التهجي " .

عليها تغييرات مختلفة .

ان كلمة " هذا في الجمل الأربع لم تتغير ، في حين طرأ التغيير على كلمتي (كتاب) و " أخ " في كتابي ، وكتابك ، وكتاب أخيك ، أخيها اذ دخلتهما الياء ، والكاف ، والهاء ، والالف ، لتثبيت الاضافة .

والتمفصل اللغوى " بنية مزدوجة " هي تحيل الى تلازم المستويين اللذين للغة أي مستوى الاصوات ، ومستوى المعاني وبالتالي تلازم سطحين لغويين متميزيين ، هما : مستوى سطح التعبير ، وسطح المضمون ...

ولكن الدقة العلمية تقتضيها التفرقة بين المستوى والسطح في أمور اللغة ، ومقوماتها وعناصرها ... ذلك أن الجملة ذات طبيعة خطية فهي تتألف من عدة مستويات (مستوى الصوت والمعجم والصرف والنحو والتركيب) وكل من هذه المستويات يسمى فى حبك عناصر الجملة فتتداخل هذه المستويات بواسطة عناصر صوتية وشكلية تخضع لقواعد معينة ، وقد تفقد العلاقة أحيانا بين مستوى وآخر فيتلاقاها أحد المستويات العليا والدنيا .

فعند تحليل مستويات الجملة التالية مثل : (يصدر الطلبة النشيطون مقالة) نقول : هذه جملة تامة ثابتة . قامت المميزات والضوابط بجمع مختلف عناصرها ، وهي تتألف من فعل وفاعل ونعته ومفعول به ، وبما أن دراسات الجملة الحديثة لجأت الى الرسم والصورة فنحن نستعين بهذه الوسائل الحديثة ولرسم الجملة

في مخطط الخانات أو في المخطط المشجر ...

ومخطط الخانات هو مخطط تقليدي معروف أدخلت عليه الدراسات الحديثة بعض التحسينات وتصور فيه مثلا جملة (يصدر الطلبة النشيطون مقالة) على الوجهين التاليين :

مجموعة من الأصوات تدل على معنى كامل			
صدر	طلب	نشط	قال
يصدر	طالب	نشيط	مقالة
ي + صدر	ال + طلب + ة	ال + نشيط+ون	مقالة + ن
يصدر	الطالب + ة	النشيط + ون	مقالتن
يصدر	الطلبة النشيطون		مقالة

هناك عنصران في الجملة : مجموعة من الأصوات ومعنى، وإذا حللنا هذين العنصرين بالنسبة للسامع نلاحظ أن الصوت يطرق الأذن ويصل الى الدماغ الذي يحوله الى معنى ، العلاقة غامضة بين الصوت والمعنى وتحويل الصوت المسموع الى تصور فكري يجري

فى سوركبير . وما الغاية من تحليل الجملة السابقة الا تصوير مختلف الأصوات التى بوساطتها يتكلم الفكر ، وبيان عمليات التحويل فى داخل مختلف مستويات التركيب (النحو ، والصوف المعجم الصوت) .

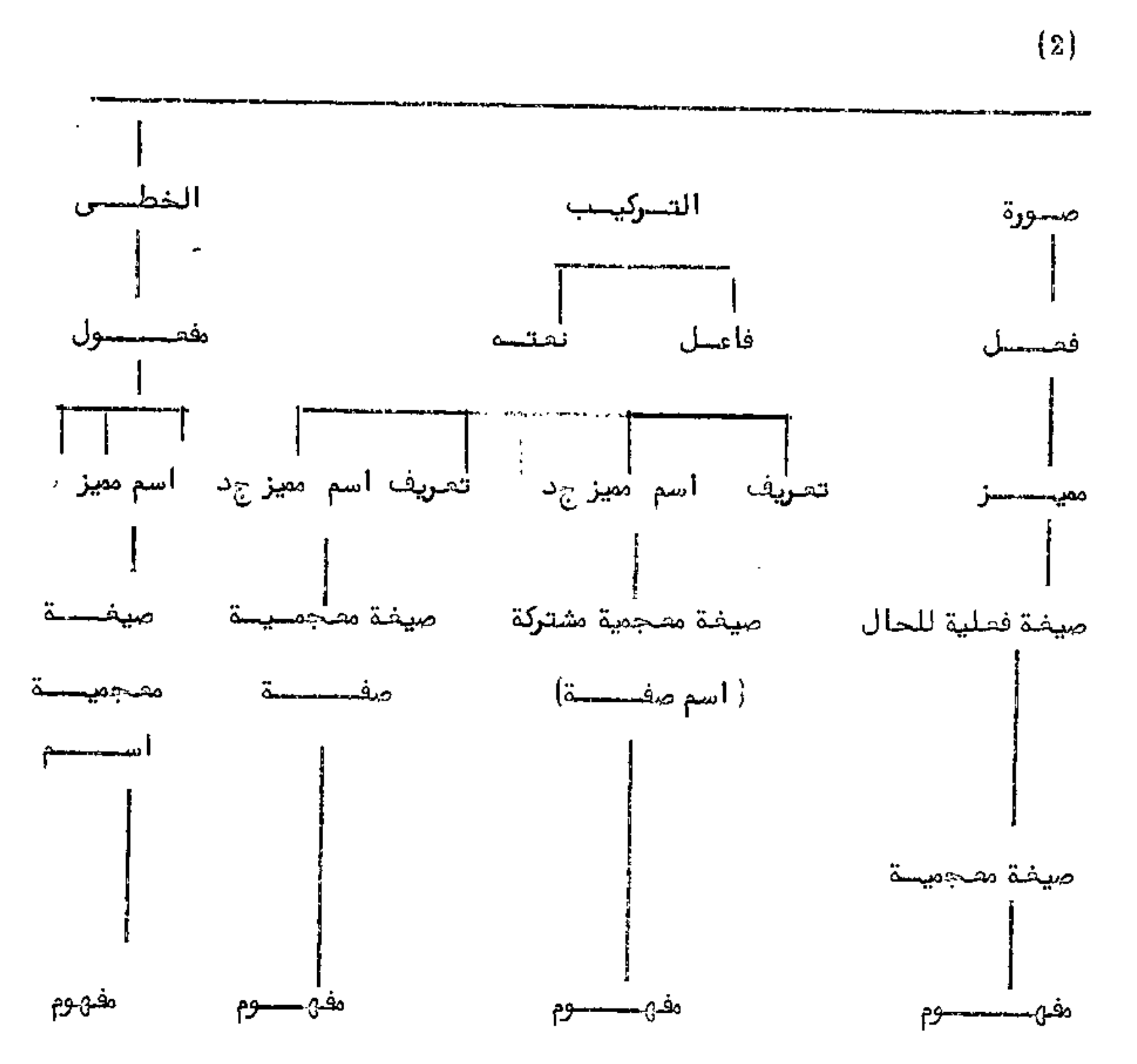
المستوى الصوتى	مجموعة الأصوات تدل على معنى كامل
المستوى المعجمى	صيغة معجمية فعلية 15 — صيغة معجمية مشترك (اسم صفة) 16 — صيغة معجمية (صفة) 17 — صيغة معجمية (اسم) 18
المستوى الصرفي	صيغة فعلية للحال 6 — تعريف + اسم + مميز + تعريف + اسم +مميز+ اسم+مميز (7، 8، جمع ذكور 9، 10، 11، جمع ذكور 12، 13، 14)
المستوى النحوى	فعل 2 — فاعل 3 — نعته 4 — مفعول 5
مستوى التركيب	الجملة أو التركيب 1

المخطط المشجر : أخذت الدراسات الحديثة تصور الجملة بالطريقة المشجرة التي تمثل بنيانية الجملة مع مؤلفاتها المباشرة والتي تبين بشكل مجرد مختلف العلاقات القائمة بين عناصر التركيب ولتحليل جملة (يصدر الطلبة النشيطون مقالة) نرسم الشكلين التاليين :

(1)

يصدر	الطلبة النشيطون	مقالة
يصدر	الطلبة + ة / النشيط + ون	مقالة + ن
ي + صدر	ال + طالب + ة ال + نشيط + ون	مقالة + ن
صدر	طالب / نشيط	مقالة
صدر	طلب / نشط	قال
		قول

(2)



أمـا دراسـة الجملـة مـن حيـث مسـتوى الأصـوات فيخـص علم الصـوت (PHONETIQUE) وعلـم وظائفـه (الفونولوجيا) (PHONOLOGIE) وهـي أي الأصـوات ليـس لهـا فـي حدّ ذاتهـا معنى ، رغـم أن لهـا شكـلا بدائيـا . . . والسطحان

اللغويان الأوليان أى (سطح التعبير) و(سطح المضمون) لهما وحدهما الأثر الفاصل في بناء الكلمات والجمل ، وبالتالي تعبير الانسان عن مقاصده وأفكاره .

ومن هنا يقسم اللغويون دراسة الأصوات الى مستويين :

المستوى الاول : هو علم الأصوات المجردة أو الفوناتيك :
وهذا الجانب من الدراسة الصوتية يبدأ بدراسة التكوين التشريحي للجهاز النطقي ، ابتداء من الحجاب الحاجز أسفل الرئتين ، الى الشفتين ، فهو يدرس هذه الأجزاء دراسة تشريحية ، ثم بعد ذلك يدرس وظيفتها المباشرة في انتاج الأصوات ، سواء بدفع الهواء ، أو بحبسه ، أو بالسماح له بأن يمرّ محتكا في موضع الصوت ، كما يدرس وظيفتها غير المباشرة من حيث كانت بعض التجاويف في الرأس وفي الصدر بمثابة (غرف رنين) وأى عطب في غرف الرنين الانسانية ، كالزكام ، أو الرشح مثلا يؤثر تأثيرا مباشرا على طابع الصوت .

ويتناول هذا الجانب أيضا دراسة الصوت ومكوناته أو عناصره الأساسية ، من حيث عدد الذبذبات وطبيعتها وتكونها في هيئة موجات هوائية ، وهو بذلك يستخدم (علم الطبيعة الصوتية " Accoustique ") كما يستخدم عدة أجهزة للتسجيل والقياس الالكتروني ويدرس هذا الجانب أيضا صفات الصوت المثالية ، من جهر

ومهموس ، وانفجارية ، واحتكاكية ، ... الخ وذلك على مستوى استعمال الانسان للغة ، .. أية كانت هذه اللغة .

المستوى الثاني : هو علم وظائف الأصوات الفونولوجيا الذى يدرس النظم الصوتية للغة معينة ، وكما ينطقها أصحابها في ممارستهم اليومية .

ولا شك أن الصوت في سياقه يختلف عن الصوت المجرد من حيث كمية الجهد اللازمة لانتاجه ، ومن حيث تأثره بالأصوات السابقة عليه واللاحقة به ، ولهذا التأثر قوانين عامة ، في جميع اللغات ، حيث نجد صوتا كالنون مثلا في العربية قد ينطق على سبع صور ، بحسب الصوت التالي له ، وكل هذه الصور أعضاء لفونيم واحد هو (النون) وكلمة (فونيم) معناها (الوحدة الصوتية) ، التى تأخذ عدة صور مختلفة باختلاف المواقع المؤثرة فيها ولسوف نقدم فيما بعد دراسة مفصلة (لمصطلح فونيم) والمدارس التي حاولت تفسيره على أسس مختلفة ..

وتتسع دائرة هذا المستوى لتشمل دراسة الأصوات المركبة فتتحدث عن المقطع ، والنبرة النغم ... الخ (1)

ومن المعاني الحديث عن الحروف وما جاء فى المعاجم من ذلك ، فهذا حديث يأخذ وظيفة الأصوات فى اللغة

(1) راجع : تمام حسان . مناهج البحث في اللغة ص 128 .

في الاعتبار ، ومن الضروري أن يفرق الباحث بين هذين المستويين مستوى علم الأصوات ومستوى وظائف الأصوات، ومن الضروري أن يبدأ الباحث بوصف الأصوات ثم يحدد أقسامها بعد ذلك عن طريق التخارج في الموقع، بمعنى الأصوات التي تقع في موقع واحد ، كالفاء من (فلق) ، والعين من (علق) ، والخاء من (خلق) والميم من (ملق) ونسبتها الى حروف مختلفة اذا اختلف معنى احدى الكلمات عن الأخرى ، أما اذا لم تقع في موقع واحد ، فلو قسرت احدهما على أن يحل محل الآخر لم يتغير المعنى ، كما لو أحللت محل الميم في (ملق) الصوت الذى نسميه ادغاما بغنة وهو حرف الميم فانهما اذا من حرف واحد . هذا هو معنى التخارج في الموقع .

ولكن القدماء من العرب واليونان والهنود لم يكونوا يفرقون بين هذين المستويين من الدراسة ولم ينظروا الى الدراسة الصوتية . . رغم اهتمامهم هذه النظرة ولم يعالجوا الأصوات علاجا مستقلا أو يدرسوها دراسة لذاتها وانما تناولوها مختلطة بغيرها من البحوث اللغوية ومن هنا جاءت دراساتهم الصوتية متنوعة تنوع البحث اللغوى وموزعة في كتب لغوية عديدة توخيت الاعتماد على نماذج منها تواجدت في تراثنا العربي وصنفتها كالتالي :

أولا : مقدمات بعض المعجمات

ثانيا : كتب النحو

ثالثا : الرسائل

رابعا : كتب القراءات

خامسا : كتب حديثة مؤلفة في موضوعات صوتية .

ابتداء من الخليل (ت 175 هـ)[1] حتى يومنا هذا ، الأمر الذى جعل الاعتقاد يتوجه الى أن الدراسات الصوتية عند العرب لم تكن وليدة العصر الحاضر، فقد اشتغل اللغويون بها منذ القديم واستطاع هؤلاء اللغويون أن يقدموا في هذا المجال دراسات دقيقة في الأصوات وبيان مخارجها وصفاتها مما اعترف بأصالته علم اللغة الحديث قياسا الى زمانه ، واذا كان العرب متأخرين - زمانيا - عن كثير من الأمم التي سبقتهم في مجال البحث اللغوى العام فاننا نجدهم في مجال الدرس الصوتي متفوقين كثيرا على باقي الأمم ، ولقد يشهد بذلك علماء الغرب فقال (فيرث) الانقليزى : (لقد نشأت الدراسات الصوتية ونمت فى أحضان لغتين مقدستين : العربية والسنسكرتية)[2] .

---

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدى . العين . تحقيق عبد الله درويش . مطبعة العانى . بغداد . 1967 .

(2) أحمد مختار عمر . البحث اللغوى عند العرب . دار المعارف مصر . 1971 ص 34 .

وقال " برغستراسر " الالماني : (ولم يسبق الأوروبيين في هذا العلم ـ يعني علم الصوت ـ الا قوممان : العرب والهنود)[1] .

ويرى " جورج مونين " أحد علماء اللسانيات المشهورين في زماننا (أن علم الأصوات عند العرب ظاهرة هامة بحد ذاتها ... ولا بد من الاعتراف بوجوده عندهم وأنه علم ممتاز .)[2] .

غير أن ما وصل اليه العرب قديما لم يكن قائما على أساس علمي ثابت ولهذا لم يبلغ الدقة والاتقان اللتين وصل اليهما المحدثون من علماء اللغة الذين أسعفتهم التجربة المخبرية والآلية ويسّرت لهم السبل في تعزيز نتائج بحوثهم وفي هذا الصدد يقول الدكتور رمضان عبد التواب : (واذا نظرنا الى جهود علماء العربية في هذا الشأن نجد أن أصوات اللغة كانت من الأمور التي جذبت اهتمام العرب الأوائل فعملوا في جهد لا يعرف الملل على النطق بها وعلى الاخص عندما انتشر الاسلام في الأرض المختلفة وطرقت

---

(1) برغستراسر . التطور النحوى للغة العربية . نشرة الدكتور رمضان عبد التواب . مكتبة الخانجي القاهرة . 1982 .ص 9 .

(2) جورج مونين . تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين . ت . بدر الدين قاسم . دمشق . 1972 ، ص 107 .

أسماع الحروب الأصوات الأخرى ، فخشي العلماء أن تنحرف أصوات العربية بتأثرها بأصوات تلك اللغات ، فلم يعد القرن الاول الهجرى يبدأ ، حتى قام بين علماء العربية من يدرس الأصوات العربية معتمدا على التجربة باللسان والمخارج لا على المعامل والأجهزة ، اذ لم تكن قد عرفت بعد في ذلك العصر .)(1)

ولعل أول ما يطالعنا على الدراسة الصوتية فى طور الصدور الفطرى وبداهة العقل ، والتأمل والجهد الذاتى دون الاستعانة بالمختبر أو الآلة " الخليل بن أحمد الفراهيدى" في معجم "العين" الذى كان بداية طيبة لوضع معجمات عديدة وردت الدراسات الصوتية في مقدمتها تلك المقدمات التي أرتأيت في هذا البحث المتواضع أن أقف عند بعضها كمصادر أساسية معتمدة وفي أولها : معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدى وسأستهل به الفصل الاول من هذه الرسالة .

---

(1) رمضان عبد التواب . المدخل الى علم اللغة . مكتبة الخانجي القاهرة . 1980 م . ص 10

الفصل الأول

مصادر الدراسة وأهميتها التاريخية

أ ـ مقدمة معجم " العين ":

يعدّ كتاب " العين " من أقدم معاجم العربية ورائد اقدم مدرسة في التأليف المعجمي ، ويختلف كتاب "العين" عن الجهود الأخرى المبكرة في التأليف اللغوى على أنه أول محاولة لحصر ألفاظ اللغة العربية على نحو شامل وفي اطار نظام منهجي واضح . ويتفق الباحثون على أنّ خطة كتاب " العين " من عمل الخليل بن أحمد ولكن مدى اسهامه واسهام تلميذه الليث بن المظفّر في تنفيذ المعجم ظلّ موضع خلاف بين الباحثين . فمنهم من ينسب العمل كلّه للخليل ، ومنهم من يذكر نسبته للخليل وينسبه لليث بن المظفر .(1) وأغلب الظن أن جهد الخليل في كتاب " العين " هو المقدّمة المنهجية (2) ، وهي أهم ما في الكتاب مع محاولة تطبيقها في الأبواب الأولى ، أما الليث فهو راوية ما أعدّه الخليل ومؤلف باقي الكتاب .

---

(1) انظر :

أ ـ الفهرست . ابن النديم . تحقيق رضا بتجدد . ص 48

ب ـ المعجم العربي . حسين نصار . ج : 1 ، ص 254 وما بعدها .

جـ ـ المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل . عبد الله درويش . القاهرة . 1956 .

(2) يقول الأزهرى : " ولم ار خلافا بين اللغويين أن التأسيس المحمل في أول كتاب العين لابى عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، وأن بن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه اياه عن فيه . ".

تهذيب اللغة . ج : 1 ص 41 .

وقد تناول الخليل في مقدمته - التي شغلت ست عشرة صفحة من المطبوعة - مشكلات صوتية تعرض من خلالها الى :

أ - ترتيب المعجم بحسب مخارج الحروف ، واعتمد في ذلك على ما يحسّه بنفسه من اختلاف في أوضاع اعضاء النطق معها ، وعلى العملية العضلية التي يقوم فيها المرء لدى صدور كل صوت ، وعلى وقع هذا الصوت في أذن السامع دون أن يكون لديه شيء من الامكانات الحديثة من آلات التسجيل والتصوير أو معرفة بنظريات التشريح . وقد وجد أن أعمق الحروف مخرجا هي حروف الحلق ، فبدأ بها ، ولم يكتف بذلك بل رتب حروف الحلق فيما بينها فوجدها ذات مخارج ثلاثة هي :

(الهمزة والهاء - ثم العين والحاء - ثم الغين والخاء .)

وقد كان من المتوقع أن يبدأ الخليل معجمه بحرف الهمزة وأن يسمى كتابه " بالهمزة " ولكنه عدل عن ذلك وبدأ بحرف العين وسمى كتابه " العين " والسرّ في ذلك أن الخليل قد وجد بحسّه الصوتي - أن الهمزة - صوت معرض للتغيرات مثل التسهيل أو الحذف ، فلم يشأ أن يبدأ بها ، ووجد أن الهاء صوت مهموس خفي فلم يشأ أن يبدأ بها وانتقل الى الحيّز الثاني من حروف الحلق فوجد فيه العين والحاء فتردد بينه وبين الحاء ووجد أن الحاء صوت مهموس أيضا فبدأ بالعين لأنها أنصع أى أوضح لأنها مجهورة .

وعلى هذا الأساس رتّب الحروف على حسب مخارجها

فاستقام له الترتيب كالتالي :

(ع ح هـ خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ظ د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و ا ى) .

وقد دل أحد الشعراء على ترتيب العين بأوائل كلمات الابيات التالية :

عن حزن هجر خريدة غنجاجة
قلبي كواه جوى شديد ضرار
صحبي سيبتدئون زجرى طلبا
دهشي تطلب ظالم ذى ثار
رغما لذى نصحى فؤادى بالهوى
مستلهب وذوى الملام يمارى

وقد اطمأن الخليل الى هذا النظام واتخذه أساسا له في ترتيب كتابه الجديد وسمى كل حرف من هذه الحروف كتابا . فبدأ المعجم بكتاب العين ، فكتاب الحاء . . . فكتاب الهاء . . . الخ واتسع عنوان الكتاب الاول منه " كتاب العين فشمل المعجم كله بكتبه المختلفة ، واشتهر هذا المعجم باسم "كتاب العين" لاستهلاله به على عادة العرب فى كثير من أسمائهم كما يتضح جليا فى كثير من اسماء سور القرآن .

وقد احتفظت معاجم الترتيب الصوتي بنظام الخليل هذا لكنها اختلفت في ترتيبها للحروف اختلافا يسيرا وهذه المعاجم هي : (البارع) للقالي (ت 356) ، وتهذيب اللغة للأزهرى (ت 370 هـ) و(المحكم والمحيط الأعظم) لابن سيدة

(ت 458 هـ) . وقد ألفت هذه المعاجم في القرنين الرابع والخامس للهجرة في مناطق متباعدة من العالم الاسلامي ، فقد ألف القالي معجمه (البارع) في الأندلس ، وألف ابن سيده معجمه (المحكم والمحيط الأعظم) في الأندلس أيضا . ولكن "تهذيب اللغة" للأزهري ، و "المحيط" للصاحب ابن عباد معجمان شرقيان ألفا في خراسان والري .

كما أفادت معاجم الترتيب الهجائي من منهج الخليل ابن أحمد في ذكر الكلمات باعتبار الأصول ، وقد ظلّ هذا المبدأ سائدا في كلّ المعاجم العربية العامة قبل العصر الحديث التزمت به معاجم الترتيب الصوتي كما التزمت به معاجم الترتيب الهجائي .

ولكن معاجم الترتيب الهجائي اتخذت ترتيب الحروف المتعارف عليه عند جمهور المثقفين أساسا لها ويرجع هذا الترتيب الى نصر بن عاصم (ت 89 هـ) الذي طوّره عن النظام السامي الشمالي المعروف باسم الأبجدية . وقد كان ترتيب الحروف عند الأوغاريتيين والفينيقيين والعبريين والآراميين يتخذ النظام التالي : (أ . ب . ج . د /هـ.و.ز / ح .ط ى / ك . ل .م.ن /س . ع ف.ص / ق.ر.ش.ت)[1] وعندما استعمل هذا الترتيب الأبجدي عند العرب وضعوا الحروف العربية التي لم ترد فيه في آخر الترتيب وهي : (ث .خ .ذ .ض . ظ) .

---

(1) الاصفهاني .حمزة . التنبيه على حدوث التصحيف . ص 15 ـ 16 .

ولكن نصر بن عاصم الليثي أعاد ترتيب الحروف على أساس شكلي فوضع الى جانب الباء التاء والثاء ووضع الى جانب الجيم الحاء والخاء وهكذا استقام له الترتيب على الشكل التالي (ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و ى .) وسمي هذا الترتيب بالترتيب الهجائي للحروف العربية وهو الترتيب الذى قامت عليه معاجم الترتيب الهجائي (1) .

ومن أقدم المعجمات ذات الترتيب الهجائي (كتاب الجيم) لابي عمرو الشيباني (ت 206 هـ) ، وقد رتب الشيباني الكلمات على وفق الحرف الاول من حروفها الأصول ، ولم يرتب الكلمات الواردة فى اطار الجذر الواحد ترتيبا داخليا على نحو ما فعل الخليل . ولكن معجمات الترتيب الهجائي التى ألفت فى القرن الرابع احتفظت بفكرة الترتيب الداخلي وفق الأبنية ، والمعجمات المقصودة :

" جمهرة اللغة " لابن دريد (ت 321 هـ) و (مقاييس اللغة) لابن فارس (ت 395 هـ) ، و " المجمل " لابن فارس أيضا وتتفق هذه المعجمات في اتخاذها للترتيب الهجائي أساس الترتيب العام للجذور ثم مراعاتها للأبنية باعتبارها أساس الترتيب الداخلي ، ولكن ثمة خلافا بينها ليس موضع الافاضة فيه .

ب — وجد الخليل أن الترتيب الهجائي ، ليس قائما على أساس علمي فآثر أن يختار ترتيبا آخر أساسه مخارج

---

(1) عدنان الخطيب . المعجم العربي بين الماضي والحاضر . القاهرة . 1966 . 1967 م . ص 22 — 24 .

الأصوات ، وبسط الخليل القول في هذه الحروف ومخارجها فرأى أنها 29 صوتا ، 25 صوتا منها صحاح لها احياز ومدارج ، و 4 هوائية .

أما الصحاح فترتبت على النحو التالي :
العين ثم الحاء ثم الهاء من حيّز واحد ، وبعضها أرفع من بعض الخاء والغين ، من حيّز واحد ، والحروف الخمسة حلقية . القاف والكاف . لهويتان . والكاف أرفع الجيم والشين والضاد في حيّز واحد . الصاد والسين ، والزاي في حيّز واحد . الطاء والدال والتاء في حيّز واحد ، الظاء والدال والثاء في حيّز واحد . الراء واللام والنون في حيّز واحد الفاء والباء والميم ، في حيّز واحد .

أما الهوائية فهاوية في الهواء وليس لها حيّز تنسب اليه الا الهواء ولكنه يجعل الواو والالف والياء وحدها والهمزة وحدها .(1)

وكان الخليل أسبق من ذاق الحروف مخارجها يقول عنه تلميذه الليث بن المظفر: ((وانما كان ذواقه اياها أنه كان يفتح فاه بالالف ثم يظهر الحرف ، نحو : أب ، أت ، أح ، أع ، أغ ، فوجد العين ادخل الحروف في الحلق ، فجعلها أول الكتاب ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع ، حتى أتى على آخرها وهو الميم .))(2)

---

(1) الخليل بن أحمد . العين . ج : 1 . ص 64 .

(2) نفسه ص . 52 .

وهذا معناه تجربة النطق بالصوت ساكنا ، حتى يتسنى للناطق معرفة صدور الحروف ، وهذه الطريقة تقرب ما يدعو اليه علماء الصوت المحدثون .

وفي فقرة أخرى يعطي الخليل كل طائفة من الحروف مصطلحها . فيسمى العين والحاء والخاء والغين حلقية ، لأن مبدأها من الحلق ، والقاف والكاف لهوية لأن مبدأها من اللهاة والجيم والشين والضاد شجرية لان مبدأها من شجر الفم وهو مفرجه والصاد والسين والزاى أسلية ، لان مبدأها من أسلة اللسان ، وهي مستدق طرفه ، والطاء والتاء والدال نطعية لأنها تخرج من نطع الغار الأعلى ، والظاء والذال والثاء لثوية ، لأن مبدأها من اللثة ، والراء واللام والنون ذلقية ، لأن مبدأها من ذلق اللسان ، وهو تحديد طرفيه والفاء والباء والميم شفوية أو شفهية ، لأن مبدأها من الشفه والياء والواو والألف والهمزة هوائية ، لا نها هاوية لا يتعلق بها شيء . وقد اعتمد في هذه المصطلحات على مدرجة كل حرف وموضعه الذى يبدأ منه .[1] وجعل للحروف العربية ثمانية أحياز أو مخارج يوضحها الجدول التالي :

---

(1) نفسه . ص 65 .

جدول مخارج الحروف العربية عند الخليل بن أحمد

الحروف	المخرج	الصفة
ع ح هـ غ خ	الحلق	حلقية
ق ك	اللهاة	لهوية
ج ش ض	شجر الفم	شجرية
ص س ز	أسلة اللسان	أسلية
ط د ت	نطع الغار الأعلى	نطعية
ظ ذ ث	اللثة	ولثوية
ر ل ن	ذلق اللسان	ذلقية
ف ب م	الشفة	شفوية

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن العلماء أنكروا نسبة مصطلحات ترتيب الحروف حسب مخارجها الى الخليل البصري فيقول الزبيدي : ((ان أكثر الآراء في الكتاب على مذهب الكوفيين مما لا يصّح نسبتها الى الخليل البصري ، ومن ذلك ترتيب مخارج الحروف الذي يخالف ترتيب سيبويه ناقل علم الخليل . ومنه ادخال الرباعي المضاعف في باب الثلاثي المضاعف وهو من مذهب الكوفيين .)) (1)

ومما نشير اليه أن المصطلحات التي ذكرها الخليل للأصوات العربية هي مصطلحات منسوبة اليه حقا ولم يشر اليها سيبويه وهو من تلامذته وهذا أمر يدعو الى التساؤل ؟
هل أخذ الخليل تصنيف الأصوات ووصفها عن الهنود ؟ وهل تأثر بها في ذلك ؟ لا سيما وأن ذلك ظهر عند العرب دفعة واحدة وظهر عند سيبويه كاملا .
ثم ان دوائر البحور الشعرية التي وضعها الخليل صاحب(علم العروض) نجد شبيها لها عند الهنود من قبل .

ومما نقرّره أن أخذ العرب عن الهنود في الميادين الصوتية واللغوية عامة أو تأثرهم بهم أمر يحتمل النظر ولكن لا نملك من الادلة ما يدعو الى القطع بأن أخذا أو تأثرا قد حدث في هذا المجال .

ولا شك في أن كثيرا من " أصول النحو العربي " تقوم على

---

(1) الزبيدي . مختصر العين . المقدمة .
راجع : السيوطي . المزهر . ج : 1 ص 42

أسس صوتية وذلك كالتصور الخاص بالحرف ، والحرف المتحرك والساكن ، ومعاملة حروف المد والسواكن ، والعلاقة التى تصورها النحاة بين الحرف والحركة وبين السكون .

وكل ذلك مما دعا السيرافي الى القول : ان كتاب العين يعد مسؤولا عن المصطلحات الصوتية التى قيلت وألصقت بها مخارج الحروف ، فوصفوها بالشفوية والحلقية ، والاسلية والنطعية والغارية . . (1)
وقد شاع هذا الكتاب فى القرن الرابع الهجرى .

ولكن الذى لا يحتمل النزاع أو الشك أن نسبة هذه المصطلحات للخليل نسبة غير صحيحة والا فقد كنّا نتوقع أن نجد لها صدى فى كلام سيبويه .

جـ ـ عرّف الخليل فى مقدمة العين حروف الذلاقة والشفوية بقوله : ((اعلم أن الحروف الذلق ستة وهي : (ر .ل .ن .ف .ب . م) وانما سميت هذه الحروف ذلقا لأن الذلاقة في المنطق انما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين .)) (2)

ويتضح لنا من خلال تعريفه للحروف الذلقية أنه يعرض لنا بعض القوانين الصوتية التي استنبطها الخليل من بحثه العميق في علم الأصوات اللغوية ذلك الجهد الذى أيّدت معظمه الابحاث الحديثة .

ومن بين تلك القوانين الصوتية (أن الرباعي والخماسي من الكلمات العربية لابد أن يشتمل بين حروفه على أحد حروف الذلاقة المحصورة فى (ل ن ر / ف ب م) .

---

(1) السيرافي . شرح الكتاب . ص
(2) الخليل . العين . ص 57 .

حيث يقول : ((فلما ذلقت الحروف الستة ومذل بهن اللسان، وسهلت عليه في النطق كثرت في أبنية الكلام فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها.))(1)

ب ـ قانون التقارب أو الاتحاد في المخارج الذى قد يكون سببا في أن تكون المادة مهملة وبناء عليه فبعض المفردات التي تخالف هذا القانون انما هي دخيلة على العربية وقد سماها الخليل بالمولّدة أو المحدثة .

ج ـ قانون التجانس بين الحروف : وتعرض اليه الخليل حين بدأ كتابه بالعين فذكر في مقدمة هذا الحرف أن العين والحاء لا يجتمعان في كلمة واحدة . الا حالة النحت مثل لفظ : جعل وجعبلة .(2)

((وأن القاف لا تجتمع مع الكاف في كلمة واحدة))(3) .

وما نخلص اليه أن في مقدمة "العين" مادة خصبة ذكر فيها الخليل مخارج الحروف التى اتخذت أساسا لتنظيم الكتاب وهذا التنظيم والترتيب قد اعترف بعض اللغويين بنسبته الى الخليل وعلى رأس المعترفين بذلك الأزهرى في كتاب " التهذيب" كما كان من أوائل العلماء الذين تدارسوا التطورات الصوتية تعضده معرفة بالنغم وأصول الموسيقى ، واستقراء تام لكلام العرب وطرائقهم فى ائتلاف الأصوات وتنافرها .

---

(1) الخليل . العين ص 52 .

(2) نفسه . ص 29 .

(3) نفسه .

ب ـ مقدمة "تهذيب اللغة" :

يفتتح الأزهرى " التهذيب " بمقدمة طويلة تليق بموسوعة مثله وتعالج موضوعات متنوعة ، فيستهلها بحمد الله على ما أسبغه عليه من علم وفضل ، ويربط بين العربية والقرآن والسنن ويشير الى فهم العرب قديما لها وحاجة المولدين فى عصره الى من يشرح لهم ، وسعة اللغة العربية وينقل فى ذلك كلام الامام الشافعى واضطرار الكاتبين فيها الى الاختصار بسبب هذه السعة والدواعى التى جعلته يؤلف كتابه واللغويين الذين اعتمد عليهم مرتبين طبقات ، وسند روايته عنهم ، وهم على وجه التقريب أغلب اللغويين المتقدمين عليه ، فيتكلم عن كل واحد منهم ويوثقه أو يضعفه ، ويفصل الثقات عن الضعفاء وينقد الآخرين فى قسوة ويضع فيهم الليث وابن دريد وابن قتيبة وغيرهم ثم يقتبس معظم مقدمة "العين" فيتحدث عن باب ألقاب الحروف ومدارجها ، وباب أحياز الحروف وعدد الحروف ومخارجها ، وأقسامها ، وصفات الأصوات وأصوات العلة ومخارجها .

باب ألقاب الحروف ومدارجها (1) :

الحروف الذلق والشفوية :

حروف الذلق والشفوية ستة وهي : (ر ، ل ، ن ، ف ، ب ، م) وسميت هذه الحروف ذلقا لأن الذلاقة في المنطق انما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة .

وحروف الذلاقة ثلاثة : (ر ، ل ، ن) ومخرجها من ذلق اللسان من طرف غار الفم ، والحروف الشفوية ثلاثة : (ف ، ب ، م)

---

(1) الأزهرى . تهذيب اللغة . تحقيق عبد السلام هارون . المؤسسة المصرية للتأليف والانباء والنشر . ج : 1 ، ص 44 .

مخرجها من بين الشفتين خاصة ، ولا تعمل الشفتان الا في هذه الأحرف الثلاثة فقط . ولا ينطلق اللسان الا بالراء واللام والنون وأما سائر الحروف فانها ارتفعت فجرت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا ، من عند مخرج التاء الى مخرج الشين ، بين الغار الأعلى وبين ظهر اللسان[1]، ليس للسان فيهن عمل أكثر من تحريك الطبقتين بهن ، ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء واللام والنون .
ومن بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم مخرج الجيم والقاف والكاف ، ومن الحلق مخرج العين والحاء والهاء والخاء والغين ، ومن أقصى الحلق مخرج الهمزة .

فلما ذلقت الحروف الستة ومذل بهن اللسان وسهلت عليه في المنطق كثرت في أبنية الكلام ، فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها ، فاذا ورد عليك خماسي معرى من هذه الحروف الذلق والشفوية فاعلم أنه مولّد وليس من صحيح كلام العرب ، نحو : "الخضعثج" وأشباه ذلك .[2]

ويبدو أن الأزهري لاحظ كثرة شيوع هذه الأصوات في اللغة العربية بحيث لا تكاد تخلو منها كلمة رباعية أو خماسية في أصولها لذا أطلق عليها حروف الذلاقة دون النظر الى مخرجها أو صفاتها أو أي ناحية من نواحي الدراسة الصوتية وهو رأي الخليل كما مرّ .

---

(1) الخليل . العين ، ج : 1 ، ص 57

(2) الأزهري . تهذيب اللغة . ص 44

باب أحيار الحروف :

أشرنا الى أنّ الخليل اعتمد فى وضع ألقاب الحروف على مدرجة كل حرف وموضعه الذى يبدأ منه فى فقرة ذكرناها سابقا (1) .

فقد اعترف بذلك الأزهرى حيث وضع هذه الفقرة فى مقدمة التهذيب تحت عنوان " باب أحياز الحروف " (2) .

فيقول : قال الخليل : ((وحروف العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج وأربعة أحرف يقال لها جوف . الواو أجوف ومثله الياء والألف اللينة والهمزة سميت جوفا لأنّها تخرج من الجوف فلا تخرج من مدرجة وهي فى الهواء فلم يكن لها حيّز تنسب اليه الا الجوف وكان يقول كثيرا : الألف اللينة ، والواو والياء هوائية ، أى أنّها فى الهواء .)) (3) .

ويروى الأزهرى نصّ الخليل وباقى مخارج الحروف على الترتيب (العين ، والهاء ، والخاء ، والغين ، وا لقاف ، والكاف ، والجيم ، والشين والضاد ، والصاد ، والسين ، والزاى ، والطاء ، والدال ، والتاء ، والظاء والذال ، والثاء ، والراء ، واللام ، والنون ، والفاء ، والباء ، والميم ، والألف والواو ، والياء ، والهمزة . (4)) .

---

(1) الخليل . العين . ص 65

(2) الأزهرى . تهذيب اللغة . ص 48

(3) الخليل . العين . ص 64

(4) الأزهرى . تهذيب اللغة . ص 48

ألقاب مخارج الحروف :

لم يضف الأزهري عن المصطلحات التي ذكرها الخليل في ألقاب مخارج الحروف اضافة جديدة تذكر بل روى نص الخليل كما ورد في مقدمة العين[1] وهي عنده : حلقية ، ولهوية ، وشجرية وأسلية ، ونطعية ، ولثوية ، وذلقية ، وشفهية ، وهوائية[2] .

ويقول : كان الخليل يسمي الميم مطبقة لأنها تطبق الفم اذا نطق بها .

عدد الحروف وأقسامها :

يقول الأزهري : وروى غير ابن المظفّر عن الخليل أنّه قال : الحروف التي بني منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفا لكل حرف منها صرف وجرس . أما الجرس فهو فهم الصوت وسكون الحرف . وأمّا الصرف فهو حركة الحرف[3] .

وهو يقابل : الجرس // بفهم الصوت و // سكون الحرف .

ومصطلح الصرف // بحركة الحرف .

أقسام الحروف :

يقسّم الأزهري الحروف الى نوعين : معتل وصحيح .

فالمعتل منها ثلاثة أحرف : الهمزة ، والياء ، والواو ، وهي التي تتغيّر من حال الى حال ويدخل بعضها على بعض ، ويستخلف بعضها من بعض .

---

(1) الخليل . العين . ص 65

(2) الأزهري . تهذيب اللغة . ص 48

(3) نفسه . ص 50

والصحيح منها 25 حرفا وهي التي لا تتغير عن حالها أبدا غير الهاء المؤنثة فانها تصير في الاتصال بالكاف تاء كقولك هذه شجره ، فتظهر الهاء ثم تقول هذه شجرتك فتذهب الهاء وتستخلف التاء لأن التاء مؤنثة .

يقول : ((وانما فعلوا ذلك لهاء التأنيث ليفرقوا بينها وبين الأصلية في بناء الكلمة ، وتنقسم الى حروف مذلقة ومصمتة .

فأما المذلقة فانها ستة : (و ، ف) حيزين أحدهما حيز الفاء فيه ثلاثة أحرف كما ترى (ف ، ب ، م) مخارجها من مدرجة واحدة لصوت بين الشفتين لاعمل للسان في شيء منها ، الحيز الآخر حيز اللام) فيه ثلاثة أحرف كما ترى (ل ، ر ، د) ، مخارجها من مدرجة واحدة بين أسلة اللسان ومقدم الغار الأعلى .

فهاتان المدرجتان هما موضعا الذلاقة ، وحروفها أخف الحروف في المنطق ، وأكثرها في الكلام وأحسنها في البناء .

أما المصمتة : وهي المصمت أيضا ، فانها تسعة عشر حرفا صحيحا منها خمسة أحرف مخارجها من الحلق وهي : (ع ح ، هـ خ غ) ومنها أربعة عشر حرفا مخارجها من الفم مدرجها على ظهر اللسان من أسلته الى طرفه منها خمس شواخص ، وهن : (ط ، ض ، ص ، ظ ، ق) وتسمى المستعلية ومنها تسعة مختفضة وهن : ك ، ج ، ش ، ز ، س ، د ، ت ، ذ ، ث) .

قال : وانما سميت مصمتة لأنها أصمت فلم تدخل في الابنية كلها ، واذا عريت من حروف الذلاقة قلت في البناء فلست واجدا في جميع كلام العرب خماسيا بناؤه بالحروف المصمتة خاصة ولا كلاما رباعيا كذلك غير التي ذكرتها .) (1)

---

(1) الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج : 1 ، ص 51

حروف العلة ومدارجها :

حروف العلة أربعة وهي : الهمزة ، والألف اللينة ، والياء والواو .

فأما الهمزة فلا هجاء لها وتكتب مرة ألفا ومرة واوا ومرة ياء وهي أقوى الحروف المعتلة ومخرجها من أقصى الحلق من عند العين[1] .

و أما الألف اللينة فلا حرف لها وانما هي جرس مدة بعد فتحة فاذا وقعت عليها الحركات ضعفت عن احتمالها الى الهمزة أو الياء أو الواو وهي أضعف الحروف المعتلة .

ويجعل الأزهري الياء والواو والألف اللينة منوطات بالهمزة .

مدارج حروف العلة :

ومدارج أصواتها مختلفة ، فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى ، ومدرجة الياء مختفضة نحو الأضراس ، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين وأصلهن عند الهمزة[2] .

ويتضح من كلام الأزهري أنه قلد الخليل وكرر النصوص التي وردت في العين نفسها ، بل انك تجد القول نفسه والعبارة نفسها ولم يورد اضافة أو زيادة تذكر .

---

(1) الأزهري . تهذيب اللغة . ص 52

(2) نفسه . ص 52 .

ج — مقدمة الجمهرة :

يعدّ "ابن دريد" (ت 321 هـ) من رواد المدرسة الثانية التي اعتمدت في بناء معجماتها على الترتيب الهجائي وقد اعتمد على دراسة من سبقوه من علماء العرب كالخليل وسيبويه وشيخه أبي عثمان الأشنانداني (ت 288 هـ) وسواهم ممن دعاهم بالنحويين، وقد حذا حذو الفراهيدي في بناء معجمه وأشار الى ذلك في أكثر من موضع في مقدمة الجمهرة وقال :

((وانّما على مثالهم نحتذي وسبيلهم نقتدي وعلى ما أصّلوا نبتني))(1)

ونقل عنه مقولته في صفة الحاء ((لولا بحّة في الحاء لاشتبهت بالعين .))(2) .

كما عالج ابن دريد موضوعات شتى في الدرس الصوتي منها : محاولة احصاء أصوات العربية وبيان مخارجها واجتلاء طائفة من صفاتها العامة، كالجهر والهمس، والشدة، والرخاوة والخاصة كالاطباق، والذلاقة، والاصمات، والتفشي، وما يدخل تحت قوانين علم الصوت من ائتلاف الأصوات في الكلمة والجملة مما يعرف بالمماثلة ((Assimilation)) وسواها من الظواهر المسماة بمسميات مختلفة عندهم من نحو : الابدال، والقلب، والادغام .

وسنأتي على ذكر أهم ما ورد في هذه الموضوعات .

---

(1) — ابن دريد . جمهرة اللغة . مكتبة المتنبي . بغداد . ج : 1 ص 9 .

(2) — الخليل . العين . ج : 1، ص 64 .

وانظر :

الجمهرة . ج : 1 . ص 1 .

خليل ابراهيم العطية . الفكر الصوتي عند ابن دريد . مجلة

أ — أصوات العربية :

ذكر ابن دريد رأيين في عدد أصوات العربية فهي عنده في موضع تسعة وعشرون صوتا عن قوم من النحويين[1] وفي موضع آخر بلغت تسعة وعشرين مرجعهن الى ثمانية وعشرين[2] ويبدو أنه مع الرأي الثاني لأنه عاد في حديثه عن الأصوات المصمتة والمذلقة فرجحه[3] ، ومجمل الخلاف في عدد أصوات العربية أتى من اختلافهم في صوت الهمزة نفصله في موضعه من هذا البحث .

أما من سماهم ابن دريد بالنحويين ممن يرون أصوات العربية تسعة وعشرين فان فيهم الفراهيدي وسيبويه وعليه جل العلماء العرب[4].

ب — مخارج الأصوات[5]:

يعد الفراهيدي أقدم من رتب مخارج الأصوات في العربية باعتماد " الذوق "[6] كما رأينا وهو ما يدخل تحت علم الصوت " الأكستيكي " " النطقي " وخلص الى ترتيبها من الحلق حتى

---

(1) — الجمهرة . ج : 1 . ص 8

(2) — نفسه . ج : 1 . ص 4

(3) — نفسه . ج : 1 . ص 6

(4) — خليل ابراهيم العطية . الفكر الصوتي عند ابن دريد . مجلة الآداب . جامعة البصرة . العدد 16 . ص 176 .

(5) — ابن دريد . الجمهرة . ص 8 .

(6) — راجع : ص . من هذا البحث .

الشفتين وارتأى أن لها تسعة مخارج ووهم حين عد "الألف ضمن أصوات الحلق وظل" هذا الوهم عند من تلاه من لغويي العرب مثل ابن دريد لكن ابن دريد جعل للأصوات الصوتية سبعة عشر مخرجا ، ويلاحظ اضطرابا في ايراد ابن دريد للمخارج حين نراه لا يوردها ايراد الفراهيدي وسيبويه لها في الابتداء بأصوات الحلق والانتهاء بأصوات الشفتين "النون الخفيفة"(1) وهي نهاية الأصوات عند سيبويه ، ثم يورد الضاد .

وقد خالف ابن دريد "الفراهيدي" في عدد أصوات الحلق فعند الأخير خمسة وهي عنده مقسمة ثلاثة أقسام :
أقصى الحلق ، وأوسطه ، وأدناه .
فمن أقصى الحلق مخرج (الهمزة ، والهاء ، والألف) .
ومن أوسط الحلق مخرج (العين ، والحاء) .
ومن أدنى الحلق مخرجا من الفم (الغين ، والخاء) .
وتكون بهذا سبعة عند ابن دريد .

وقد خالف المحدثون هذا الترتيب فهي عندهم :
الهمزة تليها الهاء فالعين فالخاء ثم الغين هي على هذا خمسة
وسنعود الى توضيح هذا في فصل لاحق ان شاء الله .

---

(1) — ابن دريد . الجمهرة . ج : 1 . ص 3 .

جعل ابن دريد "الضاد" تتركز على حافة اللسان في نقطة تبدو أكثر تقدما نحو سقف الحنك الصلب على الأضراس الأمامية فهي مثل الضاد الضعيفة التي أشار اليها سيبويه قبله[1].

خالف ابن دريد من سبقه في ترتيب بعض الحروف كالنون التي عدها سيبويه قبل اللام وهي عنده بعده ، واعتمد على الاختصار في وصف مخارج الحروف عكس سيبويه ومن سبقه .

جـ — الصفات العامة للأصوات[2]:

1 — الأصوات المجهورة والمهموسة :

عزا ابن دريد جهر الصوت الى اتساع المخارج فقال .

"انما سميت مجهورة لأن مخرجها لم يتسع فلم تسمع لها صوتا" واستثنى صوت الزاي من الأصوات المجهورة وجعلها ثمانية عشر صوتا .

والمهموسة سميت كذلك لأنها تسترخي في المجاري[3] .

ويقابل مصطلح "المجرى" هنا بـ"المخرج" عند سيبويه و"الحيز" عند الخليل ، وسنوضح هذا بعد حين .

2 — الأصوات الشديدة والرخوة :

حدد ابن دريد مصطلح الأصوات الرخوة بقوله :

"سميت رخوة لأنها تسترخي في المجاري[4]"

---

(1) — سيبويه . الكتاب . ج : 2 . ص 404 . ومابعدها .

(2) — ابن دريد . الجمهرة . ص 8 .

(3) — نفسه .

(4) — نفسه .

ولم يورد تعريفا للأصوات الشديدة كما فعل من سبقه وعد ابن دريد السين ضمن الأصوات الشديدة وقد خالفه سيبويه قبله اذ اعتبره صوت رخو مهموس وكذلك المحدثون .

خالف ابن دريد سيبويه في (العين) وعدها ضمن الأصوات الرخوة وهي عنده متوسطة الشدة كما سنرى فيما بعد .
ولا تزال "العين" تمثل مشكلة يحسر التعرف على خواصها تلك الخواص التي ما يزال بعضها غير واضح تماما .
ومن يدري فلعل الأيام تكشف حقيقة هذا الصوت .(1)

د — الصفات الخاصة :

أ — الذلاقة والاصمات :(2)

تناول ابن دريد هذه الظاهرة بالعرض وقسم المذلقة جنسين ما أسماه أولا : جنس الشفة : وهي الفاء والميم ، والباء لاعمل للسان في هذه الأحرف الثلاثة وانما عملهن في التقاء الشفتين وأسفلهم الفاء ثم الباء ثم الميم .

وعدّ صدور أصوات "الجنس الثاني" بين أسلة اللسان الى مقدم الغار الأعلى وهي الراء ، والنون ، واللام .(3)

---

(1) — انظر :

خليل ابراهيم العطية . الفكر الصوتي عند ابن دريد . مجلة الآداب . جامعة البصرة . العدد : 16 . 1980 . ص 182 .

(2) — ابن دريد . الجمهرة . ج : 1 . ص 6 .

(3) — نفسه . ص 7 .

وكان الفراهيدي السابق في وضع ضوابط الذلاقة والاصمات في الاصوات[1] . وخلص الى الاعتقاد أن أية كلمة رباعية أو خماسية معراة من أصوات الذلاقة فلا بد أن تكون مبتدعة أو مخترعة .

ب — الاطباق :

مصطلح الاطباق من صفات بعض الأصوات العربية ويقابله مصطلح " الانفتاح " فيها ويعني الاطباق اتخاذ اللسان مع طائفة من الأصوات شكلا مقعرا ، وقد تنبه العرب الى هذه الظاهرة وسموا أربعة (الصاد والضاد والطاء والظاء) .

وقد عالج ابن دريد هذه الصفة في الأصوات وعلل سببها بقوله : " لأنك اذا لفظت بها أطبقت عليها حتى تمنع النفس أن يجري معها "[2] .

جـ — التفشي :

مصطلح التفشي في الدرس الصوتي خاص بصوت الشين الذي يظهر فيه انتشار في اللسان على الحنك . فيتكون في وسطه نوع من القناة ينطلق منها النفس[3] .

---

(1) — العين . ج : 1 . ص 58 .
(2) — ابن دريد . الجمهرة . ص 8 .
(3) — كانتينو . دروس في علم أصوات العربية . ص 38 .

وقد عرف ابن دريد هذه الظاهرة وسبقه الى ذلك سيبويه وغيره من علماء العرب وقد أشار ابن دريد اليها في معرض حديثه عن بعض الاصوات فقال :

"... الا أنها دخلت على الشين لتفشي الشين وقربها من عقدة اللسان بل هي مجاورة للعكدة الى الفم"[1] .

وفسر العكدة في جمهرته[2] بأنها أصل اللسان ، والمدقال ذلك لقرب مخرج الشين من الجيم والياء . لأن هذه الأصوات عنده وعند سيبويه " من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى " .

التطور والتغيير في أصوات العربية :

تنتاب أصوات اللغة طائفة من التغيرات التركيبية والتاريخية من جراء استخدامها من قبل الناطقين بها ، تحت وطأة ظروف مختلفة[3] . كالاختلاف التشريحي ، والظروف المناخية والجغرافية ،والوراثة والنزوع نحو السهولة وتوفير الجهد .

والمقصود بمصطلح " التغيرات التركيبية " حدوث تطور ينشأ من مجاورة صوت لآخر في الكلمة أو الجملة ، والتاريخية ما يعتري أصوات اللغة من

---

(1) — ابن دريد . الجمهرة . ج : 1 . ص 6 .

(2) — نفسه . ج : 2 . ص 280 وج : 3ص 4 2 1 .

(3) — أنظر : أ عبد الرحمن أيوب . اللغة والتطور . ص 25 وما بعدها .

ب خليل ابراهيم العطية : الفكر الصوتي عند ابن دريد . مجلة كلية الآداب . العدد 16 . ص 185 .

تحول في نظام الصوتي " بحيث يصير الصوت اللغوي في جميع سياقاته صوتا آخر (1) .

وقد درس العلماء طائفة مهمة من هذه التغيرات وعالجوها في دروسهم النحوية واللغوية والصرفية تحت مصطلحات شتى : كالادغام والقلب والتقريب الذي عنوا به " المماثلة " والابدال والامالة وكراهة توالي الأمثال وما الى ذلك ويدخل هذا تحت دائرة التغيرات التركيبية الملمع اليها .

وتنبهوا الى ما يصيب أصوات العربية من تطور عند استقرائهم لهجات العرب ، فأوردوا طائفة مختلفة من تلك " الصيات " سميت عندهم تسميات مختلفة بادىء ذى بدء ، فسيبويه يطلق عليها مصطلح حروف غير مستحسنة في لغة من ترتضى عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر ويطلق عليها ابن دريد مصطلح " الحروف " المرغوب عنها حتى استقرت تسميتها باللغات المذمومة (2) . وأدرجوا تحتها جلّ الظواهر الحاصلة من تطور تاريخي وان كانوا خلطوا في هذا الباب كثيرا ما حقه أن يكون تحت التغير الاول الملمع اليه " أعني التغير التركيبي " .

---

(1) — أنظر : أ — بحث الدكتور رمضان عبد التواب . مجلة مجمع اللغة العربية دمشق . مج : 50 . ج : 1 . ص 143 ومابعدها .

ب — الفصل الثالث من كتاب الصوت اللغوي للدكتور أحمد مختار عمر . ص 317 ومابعدها .

(2) — ابن فارس . الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها . ص 53 راجع : باب اللغات المذمومة :

ولقد كان الفراهيدى من أوائل علمائنا العرب الذين تدارسوا جملة من هاتيك التطورات ، تعضده معرفة بالنغم فى أصول الموسيقى واستقراء تام لكلام العرب وطرائقهم فى ائتلاف الأصوات وتنافرها عندهم ، كما سبق أن ذكرنا (1) فلا مراء ان الفينا توصلة الى نتائج مهمة طلب موضع رعاية من تلاه من اللغويين العرب (2) .

وقد كان ابن دريد من هؤلاء العلماء الذين وجهوا عنايتهم فى مواضيع متفرقة فى مقدمة جمهرته وفى أثنائها الى تأثر الأصوات بعضها ببعض من جراء المجاورة فى الكلمات والجمل . مشيرا الى حروف لا تتكلم بها العرب الا ضرورة فاذا اضطروا اليها حولوها عند التكلم بها الى أقرب الحروف من مخارجها ، وهي ملاحظة عميقة نجد دهما وأخوات لها دالة على معرفة وبصر بقانون المماثلة — وان لم يسمه — الوارد عند سيبويه تارة باسم " التقريب (3) وآونة بالمضارعة " (4) آية ذلك معالجته شطرا مما يدخل تحت باب " التطور التاريخى " وآخر مما يدخل تحت باب " التغيير التركيبى " سنتحدث عن هذه التغيرات الصوتية فى مكانها من هذا البحث .

---

(1) — راجع : ص . 29 من هذا البحث .

(2) — أنظر : بحث الدكتور . خليل ابراهيم العطية . مجلة الآداب . عدد 16 . 1980م . ص 186 .

(3) — سيبوية . الكتاب . ج : 2 . ص 259 .

(4) — نفسه . ص 426 .

ففى باب التطور التاريخى : درس ابن دريد ظاهرة ابدال كاف الخطاب للمؤنثة شينا قال : وهذه اللغة تعرف فى مخاطبة المؤنث يقولون : رأيت غلامش أى غلامك ياامرأة اذا خاطبوا المرأة، وأ نشد لمجنون ليلى :

فعيناش عيناها وجيدش جيدها *** سوى عن عظم الساق منش دقيق

ولم يسميها فى مقدمته وسماها فى موضع آخر فى جمهرته بالكشكشة (1) • وتعزوها طائفة من ربيعة الى تميم (2) • (3) كما أشار الى ظواهر أخرى نتجت من تغييرات الأصوات وتقليباتها كالعنعنة عند تميم (4) •

وفى باب التغير التركيبى فى الكلمة أو الجملة تعرض ابن دريد لقوانين التجاور بين الأصوات كالمماثلة التى يقابلها مصطلح الادغام عند العرب والتى قسمها المحدثون الى تأثر تقدمى (Progressive) وتأثر رجعى (Regressive) ونستطيع أن نتبين ادراك ابن دريد لهذا الضرب من التغير فى قوله :

---

(1) — الجمهرة : ج : 1 • ص 153 وعزاها الى بكر •

(2) — العين • ج : 1 • ص 31 •

(3) — الابدال • ج : 2 • ص 230 •

(4) — راجع : مقال الفكر الصوتى عند ابن دريد • للدكتور خليل ابراهيم العطية • مجلة كلية الآداب • العدد 16• ص 187 •

فإذا سكنت الصاد ضعفت فيحولونها فى بعض اللغات زايا فإذا تحركت ردوها الى لفظهم مثل قولهم : " فلان يسزدق فى كلامه " فإذا قالوا : صدق قالوها بالصاد لتحركها (1) .

وأراد المماثلة عند ابن دريد حديثا عما ورد عن العرب بالسين والصاد من نحو : سقر وصقر فقال فى المقدمة " فأبدلوا السين صادا لأنها أقرب الحروف اليها لقرب المخرج ، والصاد أشد ارتفاعا (2) " واشارته بارتفاع الصاد يعنى أصوات الاستعلاء المجموعة فى قولهم : (قظ خص ضغط) لمجاورة السين وهو صوت أسنانى لثوى مهموس ، القاف وهو من أصوات الاستعلاء ، فكأنهم كرهوا الخروج منه الى صوت " مستفل " فأبدلوا السين صادا ليوافقه فى الهمس فيتماثل الصوتان وكذلك اذا اجتمعت السين مع هذه الحروف جاز قلبها صادا نحو : سطر وصطر ، وسقر وصقر ، وسلخت وصلخت ... الخ ويكون القلب على التراخى بينهما .

واذا كان الادغام محدودا فى أقصى درجات التأثر بين الأصوات المتجاورة لفناء أحد الصوتين فى الآخر حتى يصبحا صوتا واحدا ، هو فى الغالب الصوت الثانى فهي حقيقة أدركها ابن دريد وأورد أمثلة دالة على فهمه لها ، ولم يكن الوحيد من علماء العربية فى هذا فقد سبقه الى مثله سيبويه فى مواضع مختلفة من كتابه (3) .

---

(1) — نفسه ، ص 189 .

(2) — نفسه ، ص 190 .

(3) — نفسه ، ص 191 .

د ـ مقدمة لسان العرب :

أشار ابن منظور الى نواح من دراسة أصوات العربية متكاملة نوعا ما فتحدث عن مخارج الحروف وصفاتها وعنده أن الحروف تقسم بثلاث طرق :

1 ـ طريقة تتخذ مجرى الهواء الخارج من الجوف أساسا للتقسيم فاذا انحبس الهواء أوضاق مجراه بحيث يكون هناك احتكاك تكون القسم الأول الذى يسمى الحروف الصحاح ، واذا جرى الهواء دون انحباس أو تضييق يحدث احتكاكا تكون القسم الذى يسمى بالاحرف الهوائية أو الجوفية (حروف العلة) .

ويفصح ابن منظور فى لسان العرب أنه نقل معجمه من سابقيه نقلا تاما ، بعد أن يذكر التهذيب للازهرى ، والمحكم لابن سيدة والحواشى على الصحاح لمحمد بن برى ، والنهاية فى غريب الحديث لابن الاثير الجزرى ، يقول فى مقدمته " وليس فى هذا الكتاب فضيلة أمت بها ، ولا وسيلة أتمسك بسبيلها سوى أنى جمعت فيه ما تفرق فى تلك العلوم وبسطت القول فيه ولم أشبع باليسير ، وطالب العلم منهوم ." (1)

ومايتضح من هذا القول أنه كان يرجع الى التهذيب والصحاح والمحكم والجمهرة والعين ، والى هذا الأخير عن طريق غير مباشر

---

(1) ـ ابن منظور . اللسان . ط . بيروت . ج : 1 . ص 13 .

فينقل عن الخليل "أن الحروف العربية تسعة وعشرون حرفا ، منها خمسة وعشرون لها أحياز ومدارج ، وأربعة أحرف جوف ، الواو والياء والالف اللينة والهمزة ، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف ، فلا تخرج فى مدرج من مدارج الحلق ولا اللهاة فليس لها حيز تنسب اليه الا الجوف .

وقد جرت عادة دراسة المحدثين على عد الهمزة من الصحيح لأن الهواء ينحبس عن نطقها بوساطة الحبال الصوتية فى الحنجرة . وقد ورد عند ابن منظور مايفيد ادراك ذلك ، فاذا تابعنا النص الذى نقلناه عنه سابقا وجدناه يتحدث عن الحروف الهوائية دون أن يذكر الهمزة . وكان الخليل يقول : الالف اللينة والياء هوائية أى أنها فى الهواء(1) . ويزيد الأمر وضوحا فى حديثه عن الهمزة نقلا عن الأزهرى (والهمزة كالحرف الصحيح ، غير أن لها حالات من التليين والحذف والابدال والتخفيف تعتل فألحقت بالاحرف المعتلة الجوف ، وليست من الجوف انما هي حلقية من أقصى الفم "(2) .

2 — طريقة تتخذ الجهر والهمس أساسا للتفريق بين أصوات الحروف ، " ومعنى المجهور . . . انه لزم موضعه الى انقضاء حروفه ، وحبس النفس أن يجرى معه ، فصار مجهورا لأنه لم يخالطه شيء بغيره "(3)

---

(1) — ونقل عن الازهرى فى باب الواو والياء من المعتل أيضا ، "يقال للياء والواو والالف الأحرف الجوف " ولم يذكر الهمزة فيما بينها .

(2) — اللسان . ج : 1 : ص 17 .

(3) — نفسه . ص 13 . وانظر أول باب الكاف .

" ومعنى المهموس أنه حرف لان مخرجه دون المجهور ، وجرى معه النفس وكان دون المجهور في رفع الصوت "(1) .

والمجهور هو تسعة عشرة حرفا : الالف ، والعين ، والغين ، "والقاف"(2) والجيم ، والياء ، والضاد ، واللام ، والنون ، والراء ، والطاء ، والدال ، والزاى والظاء ، والذال ، والميم ، والواو ، والهمزة ، والباء .

والمهموس : هو عشرة أحرف : ("الهاء"(3) ، والحاء ، والكاف ، والشين ، والسين ، والتاء ، والصاد ، والثاء ، والفاء(4) ، والخاء .)

ورغم أن هذا التقسيم للاصوات العربية من ناحية الجهر والهمس يتفق أغلبه مع الدراسات الحديثة الا أن هذا التعريف ، عند المحدثين للمجهور والمهموس مختلف عن الذى نقله صاحب اللسان ، فالتعريف عندهم يتخذ الوترين الصوتيين أساسا :

المجهور ، هو الصوت الذى تصحب نطقه ذبذبة فى الاوتار الصوتية .

والمهموس ، هو مالا تصحب نطقه هذه الذبذبة(5) .

---

(1) — نفسه : وانظر : أول باب الكاف والخاء والهاء .

(2) — مابين قوسين ليس موضع اتفاق بين الدارسين وسنتحدث عنه فيما بعد .

(3) — اللسان . ط : بيروت . ج : 1 . ص 13 .

(4) — نفسه .

(5) — تمام حسان . مناهج البحث فى اللغة . ص 88 .

3 — الطريقة الثالثة أشار اليها ابن منظور دون أن يفصل القول فيها مثل مافصل فى الطريقتين المذكورتين والاساس فيه أن يكون الحرف شديدا أو يكون رخوا ، قال : وقد يكون المجهور شديدا أو رخوا، والمهموس كذلك"[1] .

واتماما للصورة فى هذا الموضوع أورد ماجاء عند أحد المحدثين فيه (أما تصنيف العرب لاصوات العربية حسب مانسميه الآن " طريقة النطق " فهو ذلك التصنيف الذى يرجع الى سيبويه ، والذى توضع الاصوات العربية على أساسه فى ثلاث طبقات هي : (الشديدة) و(الرخوة) "ومابين الشديدة والرخوة " والشديدة فى هذا التصنيف هي : الهمزة والقاف والكاف، والجيم ،والطاء، والتاء ، والدال ، والباء ، و" الرخوة " هي الهاء ، والحاء ، والغين ، والخاء ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والزاى، والسين ، والظاء ، والثاء ، والذال ، والفاء ، أما بين الشدة والرخاوة فتضم الهمزة ، واللام ، والميم ، والراء ، والواو ، والألف " كألف "ما"[2])

وتوضيحا للمخارج وللصفات الصوتية للحروف التى وردت عندابن منظور نرسم الجدول الآتى :

---

(1) — أنظر : مقدمة اللسان . ج : 1 ص 13 .

(2) — محمود السعران . علم اللغة . ص 96 .

المخـــارج	الصفـــات المجهـور	والمهمـوس
شفـــوى	ب ، م	ف
لثـــوى	ذ ، ظ	ث
نطعـــى	د ، ط	ت
شجـــرى	ج ، ض	ش
أسلـــى	ز	س ، ص
ذلقـــى	ر ، ل ، ن	
لهـــوى	ق	ك
حلقـــى	ء ، ع ، غ	ح ، خ ، هـ
هـــوائى	أ ، و ، ى	

ثانيا : كتب النحو

لقد خصص النحاة بعض الأبواب — جاءت متناثرة — في كتبهم النحوية للدراسة الصوتية ، ولم تكن دراستهم مقصودة لذاتها وانما كانت تمهيدا أو مدخلا من الظواهر الصرفية كالادغام ، أو الاعلال ، أو القلب ، أو الحذف ، أو الامالة ... الخ .
على نحو مانجده عند سيبويه ، والمبرد ، وابن جني ، والزجاجي ، والخفاجي ، والسكاكي وغيرهم ...

يقول سيبويه في كتابه : (... وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف مايحسن فيه الادغام ومايجوز ، ومالا يحسن فيه ذلك ولايجوز فيه ، وماتبدله استثقالا كما تدغم ، وماتخفيه وهو بزنة المتحرك (1) .

ويقول المبرد في مقتضبه : (... وانما قدمنا هذه المقدمات في مواضع الأصول لنجريها في مسائل الادغام على ماتقدم منا فيه غير رادين له . ثم نذكر الادغام على وجهه ان شاء الله) (2) .

ولعل أهم مؤلف جدير بالدراسة والشرح في ضوء الدراسات الحديثة للأصوات اللغوية ومصطلحاتها هو :

---

(1) — سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص 436 .
(2) — المبرد . المقتضب . ج : 1 . ص 196 .

أ ـ الكتـــاب :

ففي القرن الثاني الهجري عالج سيبويه (ت 180) الاصوات اللغوية (1) وتحدث عن النون الخفيفة والثقيلة (2) والهمز في الجزء الثالث من مؤلفه الكتاب (3)، وعن الامالة (4) والوقف (5) والاشباع (6) والقلب والتضعيف (7) في الجزء الرابع منه والذي ذيله بتلخيص آراء الخليل في أصوات اللغة قبل معالجة ظاهرة الادغام (8) فتحدث عن عدد الحروف العربية ومخارجها وصفاتها وأحوال صفاتها، فأغنى بذلك الدرس الصوتي عند العرب مستفيدا من خبرات أستاذه الفراهيدي باضافات ذكية أضاءت الطريق لمن تلاه من العلماء الذين اكتفوا بترديد كلامه في الالفاظ والحروف نفسها، دون أن يزيدوا عليه ما يستحق الذكر، ودون شرح واضح لتلك الآراء كما سنوضح ذلك في موضعه من هذا البحث .

---

(1) ـ سيبويه . الكتاب . ج : 3 . ص 509 .

(2) ـ نفسه . ص 541 .

(3) ـ نفسه . ج : 4 . ص 117 .

(4) ـ نفسه . ص 166 .

(5) ـ نفسه . ص 201 .

(6) ـ نفسه . ص 335 .

(7) ـ نفسه . ص 417 .

(8) ـ نفسه . ص 431 .

والمباحث الصوتية التى أوردها سيبويه وجدت سبيلهما الى الدراسة والتقويم نذكر أهم ما ورد منها فى هذا البحث المتواضع .

أصوات العربية :

ذكر سيبويه ثلاثة آراء فى عدد أصوات العربية ، فهي عنده تسعة وعشرون حرفا هي الأصول : الهمزة ، والألف ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والخاء ، والكاف ، والقاف ، والضاد ، والجيم ، والشين ، والياء ، واللام ، والراء ، والنون ، والطاء ، والدال ، والتاء ، والصاد ، والزاى ، والسين ، والظاء ، والذال ، والثاء ، والفاء ، والباء ، والميم ، والواو .(1)

وخمسة وثلاثون حرفا بحروف هن فروع وأصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن فى قرآءة القرآن والاشعار ، وهي :

1ـ النون الخفيفة .

2ـ الهمزة التى بين بين .

3ـ والألف التى تمال امالة شديدة .

4ـ والشين التى كالجيم .

5ـ الصاد التى تكون كالزاى .

6ـ ألف التفخيم .(2)

---

(1) ـ سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص 431 .

(2) ـ نفسه . ص 432 .

وتكون اثنين وأربعين حرفا بأصوات غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته ، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر وهي :

1 — الكاف التي بين الجيم والكاف .

2 — الجيم التي كالكاف .

3 — الجيم التي كالشين .

4 — الضاد الضعيفة .

5 — الصاد التي كالسين .

6 — الطاء التي كالتاء .

7 — الظاء التي كالثاء .

8 — الباء التي كالفاء .(1)

مخارج الأصوات :

يختلف عدد مخارج الأصوات عند الفراهيدي وسيبويه فهي عند الأول تسعة (2) ، وعند الثاني ستة عشر مخرجا وقد وافقه ابن دريد .

يقول سيبويه : (ولحروف العربية ستة عشر مخرجا .) فللحلق منها ثلاثة (3)

---

(1) — نفسه ، ص 132 .

(2) — راجع : ص من هذا البحث .

(3) — سيبويه ، الكتاب ، ج : 4 ، ص 433 .

فمن أقصى الحلق مخرج الهمزة والهاء والألف .
ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء .
ومن أدنى الحلق مخرجا من الفم ، الغين والخاء .

والهمزة عند الفراهيدي هاوية وقد أعادها سيبويه وابن دريد الى أصوات الحلق وهي عند المحدثين صوت حنجري مخرجه فتحة المزمار ولذلك يسمى غالبا عندهم " حبسة حنجرية " .
ووهم حين عدّ " الألف " من أصوات الحلق ، وظل هذا الوهم متداولا عند من تلاه من لغوي العرب مثل ابن دريد وسواه (1) ويخالفهما المحدثون في جملة من الأمور فهي مرتبة عندهم : الهمزة تليها الهاء فالعين فالخاء ثم الغين وهي على هذا حمسة .
وأخرى في أنهم لا يرون الألف صوتا من أصوات الحلق لأنه صوت ليّن .

أما القاف فمخرجها من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك والكاف مخرجها من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى .
ومخرج الجيم والشين والياء من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى .
ومخرج الضاد من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس .
ومخرج النون من حافة اللسان من أدناها الى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا .

---

(1) — راجع : بحث خليل ابراهيم العطية ، الفكر الصوتي عند ابن دريد مجلة كلية [illegible] ، ص 176 .

ومخرج الراء من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى الفم .

ومخرج الطاء والدال والتاء مم بين طرف اللسان وأصول الثنايا .

ومخرج الزاى والسين والصاد من بين طرف اللسان وفويق الثنايا .

ومخرج الظاء والذال والثاء من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا .

ومخرج الفاء مم باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا (1) .

ومخرج الباء والميم ، والواو من بين الشفتين .

ومخرج النون الخفيفة من الخياشيم (2) .

صفات الحروف :

يذكر سيبويه مصطلحات عديدة حين عرض لصفات الحروف فنعتها بالجهر ، والهمس ، والشدة والرخاوة ، والانحراف ، والتكرار ، واللين والهاوى ، والاطباق ، والانفتاح ، وغيرها مما سنعرض لتعريفه وتوضيحه في فصل لاحق مم هذا البحث ، وما نقوله في هذا المجال هو : لئن جهل علماؤنا العرب حقيقة الأوتار الصوتية وأهميتها في تبيان مجهور الصوت من مهموسه ، فانهم تمكنوا باتباع علم الصوت النطقي من الوصول الى نتائج حسنة أقرّها المحدثون .

(1) — نفسه . ص 433 .

(2) — نفسه . ص 434 .

ولعل أقدم من تصدى للتفريق بين الجهر في الصوت والهمس فيه من علماء العرب سيبويه حين عرف المجهور بأنه : (حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع الصوت أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت .) .[1]

والمهموس : (هو حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه) .[2]

ويقابل مصطلح " الموضع " عند سيبويه " المخرج " عند المحدثين[3] وأراد " باشباع الصوت " العملية العضوية المطلوبة في اصدار الصوت .[4]

أما قوله " منع النفس أن يجري معه " أو " الصوت يجري فيه " فملاحظة ذكية لدور الرئتين في عمليتي الجهر والهمس .

ولعل سيبويه أدرك الكثير من هذه الحقائق فلم يخالفه التوفيق في بيان مجهورات الأصوات ومهموساتها الا في أصوات يسيرة سيأتي بيانها في موضعها مما جعل علماءنا القدامى يقفون أمام تعريفه للمجهور والمهموس حائرين ، قانعين بترديد ألفاظه بنصها دون شرح واضح أو تعليق ذي قيمة ، ولا يكادون يقربون منه حتى ينقلبوا عنه كأنما

---

(1) — سيبويه . الكتاب . ج : 4 ص 434 .

(2) — نفسه . 3 .

(3) — محمود فهمي حجازي . التطور اللغوي . ص 231 .

(4) — ابراهيم أنيس . الأصوات اللغوية . ص 125 .

تخيلوا في ألفاظه قدسية تحول دون أي تغيير فيه أو تبديل ولو بكلمات مرادفة .

ونحن حين نحسن الظن بتحريف سيبويه ، نحكم بأنه كان على علم حقيقي بطبيعة المجهور والمهموس نستطيع بعد امعان النظر تغيير هذا التحريف في مكانه من هذا البحث أن شاء الله .

ب — المقتضب :

وفي القرن الثالث الهجري عالج المبرد (ت 285 هـ) موضوع " الهمز"[1] وظاهرة الادغام في الجزء الأول من مقتضبه[2] وقدم للأخير بمقدمة صوتية أفرد لها بابا كاملا تحدث فيه عن مخارج الحروف وقسمة أعدادها ، ومجهورها ، وشديدها ، ورخوها وما كان منها مطبقا وما كان من حروف القلقلة وما كان من حروف المد واللين .

وأفرد بابا كاملا لدراسة التنوين الثقيلة والخفيفة[3] ، كما أفرد أبوابا أخرى لموضوع الامالة[4] ، والحروف التي تمنع الامالة ، وباب

---

(1) — المبرد . المقتضب . تحقيق عبد الخالق عضيمة . عالم الكتب . بيروت ، ج : 1 ، ص 155 .

(2) — نفسه ، ص 192 .

(3) — نفسه ، ج : 3 ، ص 11

(4) — نفسه ، ص 42 .

الراء في الامالة وغير ذلك .

ففي عدد الحروف العربية :

يقول المبرد : (اعلم أن الحروف العربية خمسة وثلاثون حرفا منها ثمانية وعشرون لها صور ، والحروف السبعة جارية على الألسن مستدل عليها في الخط بالعلامات ، فأما في المشافهة فموجودة[1]) .

وهو بهذا القول يخالف سيبويه الذي عدها تسعة وعشرون حرفا الهمزة[2] والألف والهاء ... الخ .

ولم تعد همزة المبرد هنا من جهة أنها لا صورة ثابتة واعتبرها من الأصل فيقول : (اعلم أن الهمزة حرف يتباعد مخرجه عن مخارج[3] الحروف ولا يشركه في مخرجه شيء ولا يدانيه الا الهاء والألف .)

أما الألف فلا تكون الا بدلا أو زائدة ، وانما هي حرف هاو والهاء[4] خفية تقارب مخرج الألف ، والهمزة تحتها جميعا .

وأما الحروف الستة التي كملت خمسة وثلاثين حرفا فهي :

---

(2) — سيبويه . الكتاب ، ج : 2 ، ص 404 .

(3) — المبرد . المقتضب ، ج : 1 ، ص 155 .

(4) — نفسه .

الهمزة بين بين ، والألف الممالة ، وألف التفخيم ، والحرف المتوسط بين الشين والجيم ، والحرف المتوسط بين الزاي ، والصاد ، والنون الخفيفة ، فهي خمسة وثلاثون حرفاً (1) .

مخارج الحروف (2) :

أصوات الحلق : يجعل المبرد للحلق ثلاثة مخارج :

المخرج الأول : من أقصى الحلق وهو مخرج الهمزة وهي أبعد الحروف ، ويليها في البعد مخرج الهاء أو الألف هاوية هناك .

المخرج الثاني من الحلق : وهو مخرج الحاء ، و العين .

المخرج الثالث : من أدنى الحلق ، وهو مخرج الخاء والغين .

أصوات الفم : يقول المبرد : أول مخارج الفم مما يلي الحلق مخرج القاف ، ويتلو ذلك مخرج الكاف ، وبعدهما مخرج الشين ويليها مخرج الجيم .

ويعارضها الضاد ومخرجها من الشدق .

فبعض الناس تجرى له في الأيمن ، وبعضهم تجرى له في الأيسر .

---

(1) ـ المبرد . المقتضب . ج : 1 . ص 194 .

(2) ـ نفسه . ص 192 .

أصوات اللسان : تخرج اللام من حرف اللسان ، وأقرب المخارج منه مخرج النون المتحركة ، ولذلك لا يدغم فيها غير اللام .

فأما النون الساكنة فمخرجها من الخياشيم و النون المتحركة فأقرب الحروف منها اللام ، ثم من طرف اللسان وأصول الثنايا مصعدا الى الحنك مخرج الطاء والتاء والدال .

ومن طرف اللسان وملتقى الثنايا حروف الصفير وهي : السين ، والصاد ، والزاى .

ومن طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا مخرج الظاء والثاء والذال .

أصوات الشفة : ومن الشفة السفلى ، وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء ، ومن الشفة مخرج الواو ، والباء و الميم(1) .

صفات الحروف :

يصنف المبرد صفات الحروف بحسب جريان النفس أو الصوت أو انقطاعهما وهي عنده :

1 — حروف تجرى على النفس وهي التي تسمى الرخوة .

كالسين ، والشين ، والزاى ، والصاد ، والضاد .

---

(1) — المقتضب . ج : 1 . ص 193 .

2 — وحروف تمنع النفس ، وهي التي تسمى الشديدة نحو :
الهمزة ، والقاف ، والكاف ، والتاء .

3 — وحروف اذا رددتها في اللسان جرى معها الصوت ، وهي المهموسة وعددها عشرة أحرف ، الهاء ، والحاء ، والخاء ، والكاف ، والصاد والفاء ، والسين ، والشين ، والتاء ، والثاء .

4 — وحروف اذا أردتها ارتفع الصوت فيها ، ويمن المجهورة .

5 — ومنها حروف تسمع في الوقف عندها نبرة بعدها وهي حروف القلقلة ، وذلك لأنها ضغطت مواضعها ، كالقاف ، والكاف .

6 — ومنها المطبقة .

7 — ومنها المنفتحة .(1)

---

(1) — المبرد ، المقتضب ، ج : 1 ص 194 .

ج — سر صناعة الاعراب :

في القرن الرابع الهجري تعرض "ابن جني" (ت 392) الى أحكام الأصوات العربية في مؤلفه سرّ صناعة الاعراب وحسبه فخرا أنه جمع الدراسات الصوتية التي ابتدأها الخليل ومن تلاه في الأصوات من دراسات قديمة ، تتابع عليها مؤلفو العرب من بصريين وكوفيين ونحويين ، ومقرئين للقرآن ، وفلاسفة ، حتى وصلت على يد ابن جني الى هذا القدر الذي يحويه سرّ صناعة الاعراب .

ومن أحسن ما عرض له العرب في دراسة الأصوات ما نجده عند الخليل من وصف الجهاز الصوتي ، وهو الحلق ، والفم الى الشفتين ، وتقسيمه اياه الى مناطق ومدارج يختص كل منها بحروف أو بمجموعة حروف ، ومما أشار اليه الخليل أيضا من "ذوق الحروف" لبيان حقيقة المخرج بمقاييس صحيحة أقرّ كثيرا منها علماء الأصوات المحدثون وكذلك قوله في الحركات انها أبعاض حروف المد ، واختراعه لحركات الاعراب التي لا نزال نستعملها حتى اليوم من ضمة ، وفتحة ، وكسرة ، وقد نجد هذه المباحث عند ابن جني في سرّ صناعة الاعراب موضحة مبينة كما نجد عنده شيئا جديدا لعله اقتبسه من دراسات الفلاسفة للأصوات وهو تشبيه الحلق بالناي (المزمار) وتشبيهه مدارج الحروف ومخارجها بفتحات هذا المزمار التي توضع عليها الأصابع ، وهي لمحة تدل على قوة الملاحظة وصحة فهم ، وتشير منذ قديم الى حاجة دارس الأصوات الى الاتجاهات العملية التطبيقية ، المعتمدة على التجارب الآلية كما يصنع علماء الأصوات المحدثون في تجاربهم الصوتية واعتمادهم على الأجهزة والآلات الدقيقة .

ويمكن أن نجمل المباحث الصوتية في (سر صناعة الاعراب) كما يلي :

1 ـ ترتيب حروف المعجم .
2 ـ عدد الحروف العربية .
3 ـ وصف مخارج الأصوات وصفا تشريحيا دقيقا .
4 ـ صفات الحروف .
5 ـ أقسامها .
6 ـ ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير يؤدى الى الاعلال ، أو الابدال ، أو الادغام ، أو النقل ، أو الحذف .
7 ـ نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد ، وأنها راجعة الى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج . ولم يعدل ابن جني في شرح هذه النظرية الأخيرة ما بذله من جهد في سائر مباحثه الصوتية وانما تركها في اجمالها لمن يأتي بعده من الدارسين ، ليقوم الحكم عليها صحة أو خطأ ، ومصيرها من حياة أو موت .

ونقف عند المباحث الخمسة الأولى :

أ ـ ترتيب حروف المعجم :

رتب ابن جني حروف المعجم في سر الصناعة الترتيب المألوف عند المشارقة (أ . ب . ت . ث . ج . ح . خ . د . ذ . ر . ز . . . الخ) وهو الترتيب الذى نسب الى نصر بن عاصم الليثي وقد سبق هذا الترتيب ترتيب آخر عرفته الأمم السامية منذ القديم . وهو (أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ،

مخرج ، تشوشت] .[1]

ثم جاء الخليل فوضع للحروف في كتاب العين ترتيبا آخر صوتيا بناه على تدرج الحروف من أقصى الحلق الى الشفتين و هذا الترتيب كان أحق بالاتباع في سر صناعة الاعراب من الوجهة العلمية الخالصة لأنه ترتيب صوتي محض . لم ينظر فيه الى أي قصد غير الصوت ، وابن جني انما ألف كتابه في الأصوات ، و هو يصور المذهب ، وقد استفاد من الخليل أكثر مادة كتابه ، فكان جديرا باتباع الخليل في ترتيب الحروف ترتيبا صوتيا .

و الترتيب الذي آثره ابن جني ، هو ترتيب بصري أيضا لكنه اتجه به اتجاها آخر ، و هو التفرقة بتنقيط بعض الحروف و اهمال بعضها ، في الأحرف المتشابهة الصورة ، ليسهل على الأعاجم غير المطبوعين على الكلام العربي التمييز بينها .

فبدأ ابن جني بالكلام على الهمزة و وصفها وصفا صوتيا بأنها حرف مجهور ، و هو في الكلام على ثلاثة أضرب ، أصل ، وبدل ، و زائد .[2]

---

(1) راجع : ص و ص من هذا البحث .

(2) ابن جني . سر صناعة الاعراب . تحقيق لجنة من الأساتذة .

دار الثقافة العامة . شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

مصر . ط : 1 . 1374 هـ . 1954م . ج : 1 . ص 78 .

و يشرح المصطلحات التي أوردها في الوصف ، أصل ، وبدل ، و زائد . فيقول : (و معنى قولنا "أصل" أن يكون الحرف فاء الفعل أو عينه أو لامه ، و معنى قولنا " زائد " : أن يكون الحرف لا فاء الفعل ، ولا عينه ، ولا لامه ، و " البدل " : أن يقام حرف مقام حرف اما ضرورة واما استحسانا و صنعة .) ، و يأخذ في سوق الأمثلة على الاصالة والزيادة والابدال باسهاب .

و على هذا النحو يمضي في تبيين الحروف التي تكون أصلا و زائدة وبدلا مثل : الباء ، والتاء ، والثاء ... الخ لا يترك شيئا من الظواهر الصوتية تباعهما و هذا هما مما حفظته المعجمات حتى اذا فرغ من ذلك عرج على النحو فألم بأطراف من مسائل بينهما و بين الحرف الذي يدرسه .

عدد حروف المعجم :

يقول ابن جني : اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفا . فأولها الألف ، وآخرها الياء ، على المشهور من ترتيب حروف المعجم ، الا أن أبا العباس فانه كان يعدها ثمانية وعشرين حرفا ، و يجعل أولها الباء ، و يدع الألف من أولها ، و يقول هي همزة ، ولا تثبت على صورة واحدة و ليست لها صورة مستقرة فلا أعدها مع الحروف التي أشكالها محفوظة معروفة .(1)(2)

---

(1) — يقصد (المبرد)

راجع : المبرد . المقتضب . ج 1 ص 192 .

(2) — ابن جني . سر صناعة الاعراب . ص 46 .

ويرتب ابن جني الحروف على مذاقها وتصعدها على النحو التالي :
(ء . أ . هـ . ع . ح . غ . خ . ق . ك . ج . ش . ي . ض . ل . ر . ن . ط . د
ت . ص . ز . س . ظ . ذ . ث . ف . ب . م . و .) ويلحق الحروف الأصول
بستة أحرف تتفرع عنها حتى تكون خمسة وثلاثين حرفا سماها بالحروف
الفرعية المستحسنة يؤخذ بها في القرآن وفصيح الكلام ويكرر ذكر هذه
الحروف كما وردت عند سيبويه .

كما يلحق حروفا أخرى غير مستحسنة ولا يؤخذ بها في قراءة القرآن ولا في الشعر ، ولا تكاد توجد الا في لغة ضعيفة مرذولة غير متقبلة وهذه الحروف ورد ذكرها أيضا عند سيبويه ولم يضف عليها اضافة ذات قيمة تذكر (1) .

3 ـ مخارج الحروف :

جعل ابن جني للحروف العربية ستة عشر مخرجا . ثلاثة منها في الحلق ، ثم يقسم الحلق الى ثلاثة أقسام : أوله ، وأوسطه ، وأدناه .
مرتبة كالتالي : (ء . أ . هـ . ع . ح . غ . خ .) .
ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف .

ومن أسفل ذلك وأدنى الى مقدم الفم مخرج الكاف .
ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم ، والشين والياء .

---

(1) ـ راجع : سيبويه . الكتاب . ج : 4 ص 432 .

ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد .
ومن حافة اللسان من أدناها الى منتهى طرف اللسان ، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الناب الرباعية والثنية مخرج اللام .

ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام مخرج الراء[1].

ومن بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء .

ومما بين الثنايا وطرف اللسان ، مخرج الصاد ، والزاى ، والسين .

ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا ، مخرج الظاء والذال والثاء .

ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء .

ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو فلذلك ستة عشر مخرجا موافقا سيبويه على الرغم من اختلاف العلماء في عدّ مخارجها بين تسعة وأربعة عشرة ، وسبعة عشرة مخرجا .

4 — صفات الحروف وانقسامها :

يقسم ابن جني الحروف الى عدة أقسام فمن ذلك انقسامها في الجهر والهمس وهي على ضربين :

---

(1) — ابن جني . سر صناعة الاعراب . ج : 1 . ص 52 .

أ — مجهور ومهموس[1] : فالمهموس عشرة أحرف وهي :
(الهاء ، والحاء ، والخاء ، والكاف ، والشين ، والصاد ، والتاء والسين ، والثاء ، والفاء) ويجمعها في اللفظ قولك (ستشحثك خصفة) . وباقي الحروف تسعة عشر مجهور .

ويورد ابن جني نفس التعريف الذى أورده سيبويه في كتابه عن المجهور والمهموس[2] .

ب — الشديد والرخو والمتوسط : وللحروف عند ابن جني انقسام آخر الى الشدة والرخاوة والحروف الشديدة ثمانية ويجمعها في اللفظ قولك (أجدت طبقك[3])

وما بين الشدة والرخوة ثمانية أيضا ، ويجمعها في اللفظ قولك (لم يروعنا[4]) وما سوى هذه الحروف والتي قبلها هي الرخوة[5] .

ومعنى "الشديد" : أنه الحرف الذى يمنع الصوت من أن يجري فيه . فلو قلت : الحق ، والشط ، ثم رمت مد صوتك في القاف والطاء لكان ذلك ممتنعا .

---

(1) — ابن جني . سر صناعة الاعراب . ج : 1 . ص 68 .

(2) — راجع : سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص 435 .

(3) — ابن جني . سر صناعة الاعراب . ج : 1 . ص 69 .

(4) — نفسه .

(5) — نفسه . ص 70 .

والرخو : هو الذي يجري فيه الصوت ، فلو قلت المس والرش و مددت الصوت لرأيت ذلك جاريا مع السين والشين .

جـ — الاطباق والانفتاح :

الاطباق أن ترفع ظهر لسانك الى الحنك الأعلى مطبقا له ، ولولاه لصارت الطاء دالا ، والصاد سينا ، والظاء ذالا ،
والحروف المطبقة أربعة وهي : الضاد ، والطاء ، والصاد ، والظاء .
وما سوى ذلك فمنفتح (1) .

د — الاستعلاء والانخفاض :

ومعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى ، والحروف المستعلية سبعة وهي : الخاء ، والغين ، والقاف ، والضاد ، والطاء والصاد ، و الظاء ، وما عدا هذه الحروف فمنخفض (2) .

هـ — الصحيح والاعتلال :

جميع الحروف صحيح ، الا الألف والياء والواو ، اللواتي من حروف المدّ والاستطالة . وقد انفرد ابن جني بهذا التقسيم ولم يذكره سيبويه في كتابه .

---

(1) — نفسه .

(2) — نفسه ، ص 71 .

و ـ الساكن والمتحرك :(1)

فالساكن ما أمكن تحميله الحركات الثلاث . والمتحرك هو الذي لا يمكن تحميله أكثر من حركتين لأن الحركة فيه قد استغنى عنها بكونها فيه من اختلافها .

الأصل والزائد :

وحروف الزيادة عشرة يجمعها في اللفظ قولك (اليوم تنساه) أو (هويت السمان) أو (سألتمونيها) أو (أمان وتسهيل) وباقي الحروف أصول .(2)

وقد صرّح المبرد في مقتضبه بأن الهاء حرف من حروف الزيادة في هذا الباب وبيّن مواضع زيادتها ، وذكر هذا في باب البدل أيضا .(3)

لكن هذا التصريح من المبرد يقابله اصرار من كثير من النحويين على أن ينسبوا الى المبرد القول بأنه أخرج الهاء من حروف الزيادة وقال : " انما تأتي منفصلة لبيان حركة التأنيث "(4)

---

(1) ـ نفسه . ص 31 .

(2) ـ المبرد . المقتضب . ج : 1 . ص 56 .

(3) ـ نفسه . ج : 3 . ص 150 .

(4) ـ أنظر : سر صناعة الاعراب . لابن جني ، وابن يعيش في شرح المفصل . ج : 9 . ص 143 . والرضي الاستراباذي في شرح الشافية . ج : 2 . ص 382 .

المنحرف والمكرر :

ومن الحروف حرف منحرف وهو اللام لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت وحرف مكرر هو الراء لأن طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير . وهذا الكلام ورد عند سيبويه وابن جني بالتعريف نفسه .

5 — أنواع الحروف :

أ — المشربة : وهي الحروف التي تحفز في الوقف ولا تستطيع الوقوف عليها الا بصوت وتضغط عن مواضعها وهي حروف القلقلة وهي القاف والجيم والطاء والدال والباء . يقول ابن جني :

" وقد سميت كذلك لأنك لا تستطيع الوقوف عليها الا بصوت ، وذلك لشدة الحفز والضغط . وذلك نحو الحق ، وأذهب ، وأخلط ، وأخرج "(1) .

وقد ذكر هذه الحروف الخليل وتلميذه سيبويه .

ب — المهتوت : وهو الهاء وذلك لما فيه من الضعف والخفاء(2) وقد أشار الى هذا المصطلح كل من الخليل وسيبويه أيضا ولم يضف ابن جني شيئا جديدا عليهما .

ج — حروف الذلاقة والاصمات(3) :

حروف الذلاقة وهي التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة :

---

(1) — ابن جني . سر صناعة الاعراب . ج : 1 . ص 73 .

(2) — نفسه .

(3) — نفسه .

اللام ، والراء ، والنون ، والفاء ، والباء ، والميم .

وباقي الحروف فهو مصمت ، وقد ورد هذا التعريف عند الخليل وشرحه ابن جني بعده وقد سماه كذلك لكثرة دورانها في الكلام .

ويبدو أنّ ابن جني حين قابل مصطلح " الذلاقة " بالاصمات " قد لاحظ كثرة شيوع هذه الأصوات في اللغة العربية فلا تكاد تخلو منها كلمة رباعية أو خماسية في أصولها ، فوضع لها هذه التسمية و عدّ غيرها من الحروف المصمتة لأنه صمت عنها .

ويبدو أنّ مصطلح " الذلاقة " هنا لا يعني أكثر من معناه الشائع المألوف وهو القدرة على الانطلاق في الكلام بالعربية دون تعثر أو تلعثم . فذلاقة اللسان كما نعلم جودة نطقه وانطلاقه في أثناء الكلام ، ولما كانت (الراء واللام ، والنون والفاء ، والباء ، والميم) أكثر الحروف شيوعاً في الكلام العربي أطلق عليها حروف الذلاقة دون النظر الى مخرجها أو صفاتها أو أية ناحية من نواحي الدراسة الصوتية (1) .

د — الجمل :

وفي القرن الرابع الهجري عالج الزجاجي (ت 337 هـ) في كتابه " الجمل " موضوعات صوتية تحدث فيها عن "الوقف (2) .

---

(1) — ابراهيم أنيس . الأصوات اللغوية . ص 109 — 110 .

(2) — الزجاجي . الجمل . عني بنشره وتحقيقه وشرحه ابن أبي شنب . ط : الثانية . 1376 — 1957 . مطبعة كلنكسيك . باريس ص . 299 .

والامالة ومهد لظاهرة الادغام بمقدمة صوتية عرف فيها مخارج الحروف ومراتبها وتقاربها وتباينها ومهموسها ومجهورها وسائر ذلك من أنواعها[1].

عدد الحروف .

يقول الزجاجي : (حروف العربية تسعة وعشرون حرفا وهي : (ء . ا . هـ . ع . ح . غ . ق . ك . ض . ج . ش . ى . ل . ر . ن . ط . د . ت ص . ز . ى . ظ . ذ . ث . ف . ب . م . و) .

وهو نفس الترتيب الذي رأيناه عند سيبويه دون زيادة أو حذف .
وتصير خمسة وثلاثين حرفا بحروف مستحسنة نحو : النون الخفيفة والالف الممالة ، وهمزة بين بين والف التفخيم ، والصاد التى كالزاى والشين التى كالجيم .

ثم تصير اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة ولم يذكرها فى مولفه .

مخارج الحروف :

يتعرض الزجاجى لذكر مخارج الحروف مكررا نفس التقسيم الذى ورد عند سيبويه[2] بالنسبة لاصوات الحلق واللسان والاسنان والشفة .. الخ

---

(1) — نفسه . ص 375 .
(2) — نفسه . ص 376 .

صفات الحروف :

يقسم الزجاجي الحروف الى مهموسة ومجهورة ويكرر ذكر عددها وتصنيفها بنفس العبارات التي وردت عند سيبويه دون أن يضيف اضافات جديدة (1) .

أنواع الحروف :

فمنها المطبق والمنفتح والمكرر وحروف المد بنفس التعريف الذى ورد عند سيبويه (2) .

هـ — المفصل :

وفي القرن السادس أنهى الزمخشرى (ت 543 هـ) كتابه المفصل بالحديث عن الادغام وقدم بين يديه دراسة صوتية عن مخارج الحروف يقول الزمخشرى : (ومخارجها ستة عشر ، فللهمزة والهاء والألف أقصى الحلق ، وللعين والحاء أوسطه ، وللغين والخاء أدناه ، وللقاف أقصى اللسان وما فوقه من الحنك ، وللكاف من اللسان والحنك ما يلي مخرج القاف وللجيم والشين والياء وسط اللسان وما يحاذيه من وسط الحنك وللضاد أول حافة اللسان وما يليها من الاضراس ، وللام ما دون أول حافة اللسان الى منتهى طرفه وما يحاذى ذلك من الحنك الأعلى فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية ، وللنون ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا وللراء ما هو أدخل في ظهر اللسان قليلا من مخرج النون ، وللطاء والدال والتاء ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا وللصاد والسين والزاى

---

(1) — راجع : سيبويه . الكتاب ، ص 433 .

(2) — الزجاجي . الجمل ، ص 278 .

ما بين الثنايا وطرف اللسان ، والظاء والذال والثاء ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا ، وللفاء باطن الشفة السفلى ، وأطراف الثنايا العليا ، والباء والميم والواو ما بين الشفتين [1].

وقد تعرض الزمخشري لمخارج الحروف ليعلم المتقارب والمتباعد . وعرف " المخرج " بأنه " المقطع " وهذا المصطلح قد أطلقه ابن جني قائلا : (والمقطع هو الذى ينتهى الصوت عنده فمن ذلك الحلق و وسطه ... الخ ويستدل بآراء الخليل فى مخارج الحروف وبيان أحيازها [2] .

كما يذكر الزمخشري عدد الحروف وأنها ثلاثة وأربعين : الاصول تلك التسعة والعشرون ، والفروع ستة مأخوذ بها فى القرآن والبواقي حروف مستهجنة . وهو على خلاف مع المبرد الذى عدها ثمانية وعشرين حرفا أولها الباء وآخرها الياء ويدع الهمزة من أولها قائلا : لا صورة لها وانما تكتب تارة واوا وتارة ياء وتارة ألفا فلا أعدها مع التى أشكالها محفوظة معروفة فهى جارية على الألسن [3] .

ولم يخرج الزمخشري فى تقسيمه لعدد الحروف عن التقسيم الذى جاء به سيبويه فيقول : (وتنقسم الى المجهورة والمهموسة والشديدة والرخوة وما بين الشديدة والرخوة والمطبقة والمنفتحة والمستعلية والمنخفضة

---

(1) — ابن يعيش ، شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت ، القاهرة ، ط : 6 مج 3 ، 2 ج : 10 ، ص 123 .

(2) — نفسه .

(3) — نفسه ، مج 2 ، 3 .

وحروف القلقلة ، وحروف الصفير ، والذلاقة ، والمصمتة ، واللينة ، والمنحرف والهاوى واله مهتوت . (1)

وقد ردّد كلام الخليل دون زيادة تذكر .

ومما نشير اليه أن الزمخشرى تحدث عن الأصوات الصوتية فى مواضيع جمات متفرقة فى كتابه وقد تناثرت فى شرح ابن يعيش حيث نجده يتحدث عن" التنوين " فى باب أصناف الحروف ويعرفه بقوله :

(اعلم أن التنوين نون تلحق آخر الاسم المتمكن وغيره فمن وجوه التنوين يقال : نونت الكلمة اذا ألحقتها هذه النون فالتنوين مصدر غلب حتى صار اسما لهذه النون .) . (1)

ويذكر فى باب تصنيفه للمشترك الامالة :

(ويشترك فيها الاسم والفعل ، وهى أن تنحو بالألف نحو الكسرة ، ويتجانس الصوت كما أشربت الصاد صوت الزاى لذلك .) . (2)

ويشرح ابن يعيش الامالة عند الزمخشرى بأنها تقابل مصطلح " " الجنوح " أى العدول بالألف عن استوائه وجنوح به الى الياء فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء .

ويذكر أسباب الامالة ويجعلها ستة فمنها : وقوع الكسرة بقرب الألف أو ياء قبله أو تكون الألف منقلبة عن ياء أو كسرة أو مشبهة للمنقلب أو يكون الحرف الذى قبل الألف يكسر فى حال وامالته لامالته .

---

(1) – نفسه ، ج : 9 ، ص 29 .

(2) – نفسه ، ص 53 .

هـ ـ الوقف : وتشترك فيه الأضرب الثلاثة وفيه أربع لغات ، الاسكان الصريح ، والاشمام والروم وستعرض لشرح الوقف وأنواعه فى مكانه من هذا البحث .

وتخفيف الهمزة فيقول : (ولا تخفف الهمزة الا اذا تقدمها شىء فان لم يتقدمها نحو قولك : ابتداء ، أب ، أم ، ابل فالتخفيف ليس الا وفى تخفيفها ثلاثة أوجه الابدال والحذف ، وأن تجعل بين بين أى بين مخرجها وبين مخرج الحرف الذى منه حركتها .) (1)

وللزمخشرى مواضيع صوتية أخرى مثل الاسكان ، والتقاء الساكنين والوصل والزيادة ، والابدال ، والاعتلال ، والقلب ، والادغام ، والتقارب بين الحروف ، وكلها مواضيع رددها النحاة والصرفيون فى كتبهم قبله ، وجاءت فى مفصله مكررة كلام سيبويه دون زيادة تذكر . وسنعود لنوضح معالجات هذه المواضيع فى مكانها من هذه الرسالة ان شاء الله . بعد أن نشير الى أن هذه المواضيع المذكورة هي مواضيع صوتية بالدرجة الاولى .

---

(1) ـ نفسه ، ص 107 .

ثالثا : الرسائل

أ ـ رسالة الكندي (1)

لفيلسوف العرب أبي يوسف الكندي (ت بعد 256 هـ)
رسالة في اللثغة احتفظت بها خزانة جامع أيا صوفيا تحت رقم 4832 ، في مجموعة مخطوط بين 214 ـ 261 من صفحاته ، وعنها مصورة في معهد المخطوطات العربية تحت رقم 163 فلسفة ومنطق .

تقع الرسالة في ثمانية أبواب ، تحدث الكندي في الباب الأول عن أعضاء النطق عند الانسان ، وفي الباب الثاني في صلة النطق بالحرف ، وعرّف اللثغة في الباب الثالث بقوله : " تغيير اللسان عن الحال الجاري المجرى الطبيعي " وأن ذلك عائد الأمرين هما : التشنج والاسترخاء ، وقال : " فأما التشنج فهو أن يأتي بألفاظ خارجة عن الجاري المجرى الطبيعي على غير نظام . "

ووصف في الباب الرابع أصوات العربية فالدال في رأيه تحتاج الى نغمة مع همزة بطرف اللسان على طرف الحنك ومقاديم الاسنان

---

(1) ـ اعتمدت على كتاب في البحث الصوتي عند العرب في وصف هذا الكتاب . للدكتور خليل ابراهيم العطية . ص 94 ـ 96 .

وفتحة ثم عطفة الى داخل الحنك " ويقول فى نعت الزاى :

" تحتاج الى نغمة مع الزام طرف اللسان ومقدم الاسنان واخراج النفس خروجا يسيرا من بين الاسنان بزمزمة . ولعله عني بالزمزمة مايعرف بالصفيرية وهي من خصائص صوت الزاى " .

وظل الكندى على وفق هذا المنهج يعالج أصوات العربية باعجاب فائق ، اذ ليست لغة أفصح ولا أعذب ولا أخف من اللغة العربية " على رأيه .

وخصص الكندى الباب الخامس للأصوات التى تصيبها اللثغة عند العرب وأورد منها عشرة عند الشيوخ هي :
العين ، والسين ، الشين ، والكاف ، والضاد ، والجيم ، والحاء والزاي ، والقاف ، والراء ، أما عند الأطفال فهي أكثر من ذلك لأن الطفل "اذ قلت بين يديه مرة ومرتين خبرا ، حكى قولك فى ذلك وهو لا يعلم أين ينبغى له أن يضع لسانك من الأماكن الواجبة المنطق "وهي ملاحظة سديدة لاتحتاج الى فضل بيان .

ويشير الكندى فى الباب السادس الى أسماء عيوب النطق ويحدد مظاهر اللثغة ويسمى مراحلها ، فاللاثغ بالثاء المتمتم واللاثغ بالجيم يقال له المدمدم ، واللاثغ بالراء يقال له ذا المقل ، واللاثغ بالقاف يقال له ذا الحبس .

وفى الباب السابع محاولة لمعالجة الألكن والأخن باعتبار أن الألكن من غلط فى آلة النطق — يعني اللسان — لأن

" العضل المحركة لهذا العضوى لا تطيق حمله .وتحركه .وتقلبه من الا مماكن الواجبة للنطق " أما علة الاخن فان النفس يسبق الخياشيم."

ويعود الكندى فى الباب الثامن من رسالته ، فيعوض وجوهها الثلاثة وجهين متعلقين بما سماه (النفس الناطقة) فى حالتي قوتها وضعفها ، وثالث الوجهين يكون اما لزيادة آلة النطق واما لنقصانه وهكذا تبدو رسالة الكندى رسالة اللثغة وسواها من عيوب النطق التي أفردت لها الدراسات اللسانية الحديثة دراسة مستفيضة فى ميدان علم اللسان التطبيقي ..

ب — رسائل اخوان الصفا ، وخلان الوفاء :

لقد أحاط اخوان الصفا (القرن الرابع الهجرى) بالمعلومات الأساسية للصوت ، وتبين لهم أن منشأ الأصوات حركة الأجسام المصوتة ، وأن هذه الحركة تؤثر فى الهواء وهو : (لشدة لطافته وخفة جوهره ، وسرعة حركة أجزائه ، يتخلل الأجسام كلها ، فاذا صدم جسم جسما آخر انسل ذلك الهواء من بينهما ، وتدافع وتموج الى جميع الجهات ، وحدث من حركته شكل كروى ، واتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجاج فيها ، وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه الى أن يسكن ويضمحل ...الخ(1)

---

(1) — رسائل اخوان الصفا ، وخلان الوفاء . دار الطباعة والنشر بيروت . 1957 . ج : 1 . ص 189 .

وانظر :

خليل العطية . فى البحث الصوتي عند العرب . ص 7 .

كما أشاروا الى " الاثر السمعي للصوت " وسموه " القوة السامعة للأصوات " وعرفوا الوسط الناقل للصوت وأنواعه المختلفة ومع ما يشوب تقسيمهم الاصوات من روح الفلسفة والمنطق فانه دلّ على بصر بالصوت وحقيقته .

وقد تنبهوا الى الحقيقة العلمية التي ترى أن " علة عظم الصوت انما بحسب عظم الاجسام المصوتة ، وشدة صدمها ، وكثرة تموج الهواء فى الجهات عنها "(1) .

ولاخوان الصفا ملاحظات نافعة فى سعة الموجة وقسموها ثماني درجات متقابلة فيقولون " ان الاصوات تنقسم من جهة الكيفية ثمانية أنواع كل نوعين منها متقابلان من جنس المضاف فمنها العظيم والصغير ، والسريع والبطئ ، والحاد والغليظ ، والجهير والخفيف . "(2)

كما عرف اخوان الصفا دور الرئتين فى عملية احداث العملية الكلامية(3) .

ومما يلاحظ على " الرسائل " أن اخوان الصفا قد تعرضوا للسمات الفيزياوية للأصوات وألموا بأدق خصائصها وهي محاولات تدخل فى

(1) — الرسائل . ج : 1 . ص 183 .
(2) — نفسه . ص 193 .
(3) — نفسه . ص 393 .

علم الصوت السمعي وهو أحد فروع الدرس الصوتي الحديث تتلخص مهمته في دراسة الصوت من حيث انتقال ذبذباته في الهواء الى اذن السامع واستكناه أثره السمعي .

وقد فرق اخوان الصفا بين الصوت والكلام فقالوا : (ان الكلام هو صوت بحروف مقطعة دالة على معان مفهومة من مخارج مختلفة وأبعد مخارج الحروف أقصى الحلق وهو مما يلي أعلى الصدر . والصوت من الجسم في الرئة بيت الهواء وأصل الأصوات في الرئة هواء يصعد الى أن يصير الى الحلق فيديره اللسان على حسب مخارجه فان خرج على حروف مقطعة مؤلفة ، عرف معناه وعلم خبره وان خرج على غير عرف لم يفهم ، كان كالنهاق والرغاء والسعال وما أشبه ذلك .
فان رده اللسان الى مخرجه المعلوم في حروف مفهومة يسمى كلاما ونطقا[1] .)

وهم في هذا التعريف يتعرضون لمصطلحات أعضاء النطق ، ومخارج الحروف وكيفية أدائها لعملية النطق وما يترتب عليها من كلام وأصوات . وفي ذلك لم يخرجوا في تعريفهم للكلام على ماعرفه النحاة بأنه اللفظ المفيد الدال على معنى يحسن السكوت عليه .

ويجعلون أصل اختلاف اللغات هو اختلاف مخارج الحروف ونقصها عن تأدية مايؤديه البليغ[2] .

---

(1) ــ الرسائل . اخوان الصفا . ج : 3 ص 114 .
(2) ــ نفسه . ص . 118 .

ويذكر إخوان الصفا أقسام الحروف العربية في الموازين الشعرية ويعدونها ثمانية وأربعين حرفا ، عشرون منها سواكن ، وثمانية وعشرون حرفا متحركا . ويستعملون مصطلحي ساكن ومتحرك والحركة عندهم نوعان سريعة وبطيئة : والحركة السريعة هي التي يقطع المتحرك مسافة بعيدة في زمان قصير .

والبطيئة هي التي يقطع المتحرك بمسافة بعيدة في ذلك الزمان بعينه . والسكون هو وقوف المتحرك في مكانه الأول زمانا يمكنه أن يكون متحركا فيه حركة ما .

ويقسمون الأصوات من جهة الكيفية الى ثمانية أنواع :
العظيم والصغير ، والسريع والبطيء ، والحاد والغليظ ، والجهير والخفيف وهذه مصطلحات لصفات الأصوات مشخصة في صفات مادية تتحكم فيها القوات ، أو الدقات أو القرع المعروف عند ابن سينا .

---

(1) — نفسه . ص . 193

ج — أسباب حدوث الحروف :

اهتم ابن سينا (ت 428 هـ) في القرن الخامس الهجري اهتماما جليا بالصوت ، يمكننا تبيانه من خلال كتابه الشفاء والقانون ورسالته أسباب حدوث الحروف وسواهم من آثاره .

وربما كانت رسالته الوحيدة من نوعها — فيما نعلم — في العربية تقع في ستة فصول تحدث ابن سينا في الفصل الأول عن سبب حدوث الصوت وعرفه : (بأنه تموج الهواء ودفعه بقوة وسرعة من أي سبب كان [1]).

والعلة القريبة لحدوث الصوت هي : التموج وللتموج علتان قرع وقلع [2].

وفي كتاب الشفاء يشرح ابن سينا مصطلحي (القرع والقلع) والصوت عنده نوعان : نوع سماه قرع يختص بـ (مثل ما تقرع صخرة أو خشبة) وآخر دعاه قلعا ومثل له "بقلع أحد شقي مشقوق من الآخر كخشبة تنحى عليهما بأن تبين أحد شقين عن الآخر طولا [3].

---

(1) — ابن سينا . أسباب حدوث الحروف . تحقيق محمد حسان الطيان . ويحيى مير علم . دمشق . ط: 1 ، 1403هـ 1983م . ص 56 .

(2) — نفسه . ص 58 .

(3) — ابن سينا . الشفاء . ج : 6 . ص 70 .

وفصل ما أورده بالقول : ولا تجد مع كل قرع صوتا فان قرعت جسما كالصوت بقرع لين جدا لم تحس صوتا بل يجب أن تكون للجسم الذى تقرعه مقاومة ما وأن تكون للحركة التى للمقروع به عنف صارم فهنالك يحس .

وكذلك أيضا اذا شققت شيئا يسيرا وكان الشيء لا صلابة له لم يكن للقلع صوت البتة ، والقرع بما هو قرع لا يختلف لأن أحدهما احساس والآخر تفريق لكن الاحساس يخالف الاحساس بالقوة والسرعة .

وهذا تأكيد على بصر بالصوت وعلى معرفة بأثر التذبذبات ووصول ذلك الأثر الى أذن السامع لاشتراط المحدثين وصول الأثر السمعي حتى يسمى صوتا[1].

وفى الفصل الثاني في سبب حدوث الحروف فيقول :

" أما نفس التموج فانه يفعل الصوت وأما حال المتموج فى نفسه من اتصال أجزائه وتملسها ، وتشظيها فيفعل الحدة والثقل وأما حال التموج من جهة الهيئات التى يستفيدها من المخارج والمحابس فى مسلكه فيفعل الحرف .

ويعرف الحرف بأنه : " هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله فى الحدة والثقل تميزا فى المسموع[2] .

---

(1) — خليل ابراهيم العطية . البحث الصوتي عند العرب . ص 9 .

(2) — ابن سينا . أسباب حدوث الحروف . ص 60 .

وما يلاحظ عن هذا النص أن ابن سينا يشير الى درجة الصوت لأن طول الموجة مع الصوت الحاد أقصر منه مع الصوت الثقيل وجعل حدة الصوت أو ثقله متوقفا على طبيعة الصوت المقروع .

والحروف عنده بعضها مفردة وهي التي تحدث عن حبسات تامة للصوت أو الهواء الفاعل للصوت يتبعها اطلاق دفعة وهي : الباء ،التاء ، والجيم ، والدال ، والضاد ، والطاء ،والقاف ، والكاف ، واللام ، والميم ، والنون أيضا من وجه[1].

وما نلاحظه أن الصوت المفرد عند ابن سينا هو ما يسميه سيبويه بالشديد والمحدثون بالانفجاري .

وبعضها مركبة : تحدث عن حبسات غير تامة لكن تتبع اطلاقا .

كما نلاحظ أن الأصوات المركبة عند ابن سينا هي الرخوة عند سيبويه والاحتكاكية عند المحدثين .

وأخرى تشترك في أنها تمتد زمانا وتفنى مع زمان الاطلاق التام . وانما تمتد في الزمان الذي يجمع فيه الحبس مع الاطلاق[2]. ولعل هذه الأخيرة هي ما نسميها بالحروف المتوسطة .

وفي الفصل الثالث نعرض لتشريح الحنجرة واللسان .

---

(1) — نفسه . ص 61 .

(2) — نفسه . ص 62 .

وارتأى أن الحنجرة تتركب من غضاريف ثلاثة :

وسمي الغضروف الأول " الدّرقي " و " الترسي " وعده من القصبة الهوائية لأنه موضوع الى قدّام يناله المس في المهازيل جدا عند أعلى الحلق تحت الذقن وشكله شكل القصعة حدبته الى خارج والى قدام وتقعيره الى الداخل والى الخلف .

والغضروف الثاني خلفه . مقابل سطحه . متصل به بالرباطات يمنة ويسرة . ومنفصل عنه الى فوق ويسمى "عديم الاسم" .

والغضروف الثالث كقصعة مكبوبة عليهما . وهو منفصل عن الدرقي موصول بالذي لا اسم له من خلف بمفصل مضاعف يحدث من زائدتين تصعدان من الذي لا اسم له وتستقران في نقرتين له . ويسمى المكبي والطرجهاري (1) .

وعرف في القانون (2) الحنجرة عضو غضروفي خلق آلة للصوت وهو مؤلف من غضاريف ثلاثة : الدرقي أو الترسي ، والذي لا اسم له . والمكبي .

---

(1) ـ ابن سينا . أسباب حدوث الحروف . ص 65 .

(2) ـ اعتمدت على كتاب البحث الصوتي عند العرب . للدكتور خليل ابراهيم العطية . راجع :

ابن سينا . القانون . ج : 1 . ص 44 .

ويتضح من وصفه لهذا الغضروف أن ابن سينا كان على علم دقيق بالتشريح بحيث تسنى له وصف هذا الغضروف وسواه . ولم يتأثر كغيره بكتاب سيبويه بل تحدث في القانون والرسالة حديث علماء وظائف الأعضاء حين تناول الجهاز الصوتي عند الانسان .

كما يتضح أن ابن سينا على معرفة بالقصبة الهوائية التي سماها قصبة الرئة " . وقال في كتاب القانون :

((أما قصبة الرئة فهي عضو مؤلف من غضاريف كثيرة دوائر دوائر يصل بعضها على بعض وعلى رأسه الفوقاني الذي يلي الفم والحنجرة .)) (1) .

واذا كان الرعيل الأول أشاروا الى ما بان من أعضاء النطق كالخليل وسيبويه والمبرد وابن جني فان الآخرين أتموا هذا النقص بالاشارة الى الأعضاء الأخرى .

ففي تشريح ابن سينا للسان يقول :

وأما اللسان فيحركه عند التحقيق ثماني عضلات (2) منها : عضلتان تأتيان من الزوائد السمعية التي عند الآذان يمنة ويسرة وتتصلان بجانبي اللسان فاذا تشنجتا عرضتاه (3))) .

---

(1) ـ نفسه . ص 24

(2) ـ جاء في القانون : العضلة : " عضو مؤلف من العصب والعقب و ليفهما واللحم الحامي والغشاء المجلل " . ج : 1 ص 40 .

(3) ـ ابن سينا . أسباب حدوث الحروف . ص 70 .

والضاد والصاد ، والسين ، والزاي ، والطاء ، والظاء ، والذال والراء ، والفاء ، والباء ، والميم ، والنون ، والواو الصامتة ، والألف المصوتة ، والواو المصوتة ، وأختها الضمة ، والياء المصوتة ، وأختها الكسرة ، وغيرها مما يطول ذكره في هذا الصدد[1] ، وسنعود الى تحديد هذه المحابس في شيء من التفصيل في مكانهما من هذا البحث .

وخص ابن سينا الفصل الخامس للحروف الشبيهة بهذه الحروف (وليست في لغة العرب)[2].

فمن ذلك : الكاف الخفيفة : وهي التي يستعملها العرب في عصرنا هذا بدل القاف وهي تحدث حيث تحدث الكاف الا انها أدخل قليلا والحبس أضعف[3] .

ومنها الحرف الذي ينطق به في أول اسم البئر بالفارسية وهو " جاه " وهذه الجيم يفعلها اطباق من طرف اللسان أكثر وأشد للهواء عند القلع أقوى . ونسبة الجيم العربية الى هذه الجيم هي نسبة الكاف الغير العربية الى الكاف العربية[4] .

---

(1) — راجع : ابن سينا . أسباب حدوث الحروف . ص 72— 85 .

(2) — نفسه . ص 86 — 92 .

(3) — نفسه . ص 87 .

(4) — نفسه .

ومنها ثلاثة حروف لا توجد في العربية والفارسية .. ولكن توجد في لغات أخرى ، وكلها بيّن فيها ما في الجيم من استعمال رطوبة تفعل جرساً ما وهي الرطوبة المعدة وراء الحبس ، ويكون عليها اء ساد الهواء عند الاطلاق فاذا سلبت هذه الرطوبة واعتمد الجزء الذى وقع عليه الحبس حدث هناك همس .

فتارة تضرب الى شبه الزاى ، وتارة الى شبه السين ، وتارة الى شبه الصاد ... الخ (1) وغيرها حروف كثيرة لا مجال لذكرها ما دام الحديث عنها غير متعلق باللغة العربية .

كاللام المطبقة في لغة الترك ، والفاء الشبيهة بالباء في لغة الفرس وكذلك الباء المشددة عند قولهم " بيروزى " .

ويختم ابن سينا رسالته في الفصل السادس بالحديث عن الحروف التي تسمع من حركات غير نطقية .

— فتسمع السين من كل اخراج هواء بعنف عن مخرج رطب .
— والحاء عن أضيق منه وأعرض .
— والخاء عن حك كل (جسم) لين حكاً كالقشر بجسم صلب .
— والهاء عن نفوذ الهواء بقوة في جسم غير ممانع كالهواء نفسه . (2)
— والقاف عن شق الأجسام وقلعها دفعة .

وهكذا مع بقية الحروف ، وستتعرض لذكرها في موضعها من هذه الرسالة ان شاء الله .

---

(1) — نفسه . ص 89 .
(2) — نفسه . ص 93 .

وما نخلص إليه أن ابن سينا قد سلك مسلكا مغايرا للقدماء في معالجة أصوات اللغة لأنه عالجها علاجا فريدا لا يشركه فيه أحد من العلماء القدماء وتميز كلامه بمصطلحات لا نعرف أن أحدا من العلماء يشاركه فيها .

وجاء حديثه حديث الطبيب المشرح حين وصف أجزاء الحنجرة واللسان ، وحديث العالم الذى ألم بأسرار الطبيعة حين أشار الى كنه الصوت وأسبابه . ولم يحم حول المصطلحات الصوتية التي قيلت قبله دون اضافة جديدة كما فعل من جاء بعد سيبويه أمثال ابن جني ، والزمخشرى ، وابن الجزرى ، وغيرهم .

رابعـا : كتب القـراءات .

أسهم علماء التجويد والقراءات القرآنية بقدر لا يجحد في الدراسات الصوتية ، وكان الهدف من هذا العلم تثبيت أصول التلاوة على وفق قراءة الرسول (ص) التي تلا بها القرآن الكريم على أصحابه أيام البعثة واذا كنا في صدد الحديث عن كتب القراءات والتجويد وما أفادتهما في مجال الدرس الصوتي . . فمن الجميل أن نقف عند بعض المصادر التي وردت فيها الدراسات الصوتية وأمدتنا بمصطلحات عديدة نذكر منها :

أ — الحجة في علل القراءات السبع :

يعد كتاب الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الحسن ابن أحمد الفارسي ، (ت 377 هـ) مصدرا جليلا من مصادر تراثنا المجيد في اللغة ، والنحو ، والصرف ، ومسائل الخلاف ، والشواهد ، والأصوات ، ولهجات القبائل . وما يهمنا في هذا المجال هو الوقوف عند بعض المباحث الصوتية التي وردت فيه وفي مقدمتها :

الامالـــة :

ففي فاتحة الكتاب يذكر " الفارسي " الاختلاف في اثبات و اسقاط ألف " ملك يوم الدين "(1) ويتطرق الى مباحث الامالة في آي القرآن جاءت متفرقة في الجزء الأول من مؤلفه ، والى حكمة الامالة وقفا وتركها وصلا ، ووجه امالة ما آخره ألف التأنيث ، وامالة الألف

---

(1) — أبو علي الحسن ابن أحمد الفارسي . الحجة في علل القراءات السبع . تحقيق ، علي النجدي ناصف ، وآخرين . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ط : الثانية .1983م . ج : 1 . ص . 5

التي بعدها راء مكسورة تحدث مجانسة في الصوت[1]، كما يذكر الامالة عند بعض القراء مثل : ابن كثير ، وابن عامر ، وابن عمرو وحمزة والكسائي وغيرهم[2] .

وفي الابدال :

يتعرض الى الاختلاف في قراءة قوله تعالى " الصراط المستقيم " يذكر احتجاج ابن سراج لقراءة (الصراط) بالسين والصاد والمضارعة بين الزاي والصاد[3] .

كما يتناول موضوع ابدال الهاء من الياء والعكس[4]، وابدال الهمزة والواو من الألف .

وفي تشابه الحروف :

يتعرض الى تشابه الهاء والألف والكاف والهاء[5]، ومشابهة الألف للياء ، واجتماع الحروف المتشابهة ، واجتماع المثلين من حروف الحلق .

---

(1) — نفسه ، ص 302 .

(2) — نفسه ، ص 306 .

(3) — نفسه ، ص 36 — 42 .

(4) — نفسه ، ص 50 — 51 .

(5) — نفسه ، 51 — 52 .

وفي الاشباع :

اشباع الضمة والكسرة .(1)

وفي الحركات :

يتطرق الى الاختلاف في ضم الهاء والميم من (عليهم) واجراء الوصل مجرى الوقف . وكراهية اجتماع أربع متحركات .(2) ونقل الحركة من حروف العلة ، وعلة نقل الحركات .

وفي الادغام :

يتعرض لزيادة الصوت من أنها تمنع الادغام فيما لا زيادة فيه ، فيقول الفارسي : ((ألا ترى أن الصاد والسين والزاي لم يدغمن في الطاء والتاء والدال ، ولا في الظاء والثاء والذال لما فيهن من زيادة الصوت التي ليست في هذه الستة وهو الصفير . وأدغمن فيهن ولم يجز ادغام الياء والواو في الألف لأنها لا تكون الا ساكنة والمدغم فيه تلزمه الحركة ، ولأن الحروف المجانسة لها يكره فيها الادغام .))(3) .

كما يتعرض للتخفيف بالادغام ، وادغام المثلين دون المنفصلين .

---

(1) — نفسه ، ص 51 — 52 .

(2) — نفسه ، ص 60 .

(3) — أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي . الحجة في علل القراءات السبع . ص 66 .

وفي الاتباع : يذكر اتباع الفتحة الكسرة واتباع الهمزة وأخواتها[1]

وفي تقارب الحروف :

يذكر تقريب الصاد من الزاي وحسن تجانس الأصوات واستكراه اجتماع الحروف المتقاربة والمتماثلة[2] .

وفي الهمز :

ابدال الهمزة وقلبها وتخفيفها مثل : تخفيف همزة (شيء) وتخفيف (الكمأة) و (المرأة)[3] .

وفي خفاء الحروف تحدث عن الهاء والنون والراء والصاد في وزن الشعر ، كما تحدث عن الزيادة في تأليف الحروف والتخفيف بالقلب والحذف[4] .

وفي موضوع الاشمام :

يذكر الاشمام الذي لا يمنع الادغام والروم الذي يمنع الادغام[5] واشمام الضمة الكسرة واشمام الضمة كما يتحدث عن عدم لزوم الاشمام حروف القلف[5] .

---

(1) — نفسه ، ص 70 .

(2) — نفسه ، ص 155 .

(3) — نفسه ، ص 299 .

(4) — نفسه ، ص 155 .

(5) — نفسه ، ص 158 .

ب — المحتسب :

ألف ابن مجاهد على رأس المائة الثالثة من الهجرة كتاب القراءات السبعة فانقسمت القراءات الى شاذة وغير شاذة وغلب وصف الشاذ على ما عدا القراءات السبع •

وبدا لأبي علي الفارسي أن يحتج للقراءات السبع فألف كتابه الحجة وفكر بعض الوقت أن يؤلف كتابا مثله يحتج فيه للقراءات الشاذة بل انه فيما يقوله ابن جني في مقدمة المحتسب :

((قد هم أن يصبح يده فيه ويبدأ به فاعترضت خوالج هذا الدهر دونه وحالت كبواته بينه وبينه[1])) •

من أجل هذا تجرد ابن جني للقراءات الشاذة ينوب شيخه في الاحتجاج لها ويؤدي حقها عليه كما أدى شيخه حق القراءات غير الشاذة عليه •

وليس عجيبا أن يتشابه الكتابان في المنهج على هذا النحو فموضوعهما واحد وصاحب الحجة أستاذ لصاحب المحتسب ووحدة الموضوع تستدعي تشابهما في علاج مسائله وللأستاذ في تلميذه تأثير وللتلميذ في أستاذه قدوة[2] •

ولهذا كان المحتسب كما كانت الحجة معرضا حافلا يزخر بكثير من الشواهد والتوجيهات وألوان من الآراء والبحوث اللغوية

---

(1) — ابن جني • المحتسب • في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها • تحقيق علي النجدي ناصف • عبد الحليم النجار • وعبد الفتاح اسماعيل شلبي • القاهرة • 1386 • ص 11 •

(2) — نفسه • ج : 1 • ص 13 •

والصوتية التى تدل على القراءة والتمكن وعلى شمول الاحاطة ودقة الملاحظة وبراعة القياس وصحة الاستنباط .

ولم يخرج (ابن جني) في محتسبه عن المباحث الصوتية التى تعرض اليها (الفارسي) الا نادرا ، فتعرض الى الامالة والاشمام والروم والقلب والابدال والحذف والتخفيف والهمز والتسكين ، والاعلال

ومنهج المحتسب كمنهج الحجة لا يخالفه الا بمقدار ماتقتضيه طبيعة الاحتجاج لقراءة الجماعة وقراءة الشاذة .

ففي سورة فاتحة الكتاب يتعرض (ابو الفتح) الى قراءة أهل البادية[1] : " الحمد لله[2] " مضمومة الدال واللام ، ورواها لي بعض أصحابنا قراءة لابراهيم بن أبي عبلة[3] : " الحمد لله " مكسورتان ورواها لي أيضا قراءة لزيد بن علي (رضي الله عنهما) والحسن البصري رحمه الله[4] .

---

(1) - يراد بقراءة أهل البادية ما يقرؤه بعضهم بسليقته ، لا يراعي الرواية في القراءة ومن ذلك قراءة رؤبة (فأما الزبد فيذهب جفالا) ذكرها الزمخشري في الكشاف .

(2) - سورة الفاتحة . الآية (2) .

(3) - تابعي أخذ القراءة عن أم الدرداء الصغرى ، هجيمة بنت يحيى الاوصابية كما قرأ على الزهري وروى عنه وعن أبي أمامة وأنس (ت 153) . طبقات القراء لابن الجزري . ج : 1 . ص 19 .

(4) - هو أبي سعيد الحسن البصري امام أهل البصرة ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر وكان جامعا عالما (ت 110 هـ) . شذرات الذهب . ج : 1 ، ص 136 .

((وكلاهما شاذ فى القياس والاستعمال ، الا أن من وراء ما أذكره لك وهو أن هذا اللفظ كثر فى كلامهم ، وشاع استعماله وهم لما كثر فى استعمالهم أشد تغييرا كما جاء عنهم لذلك : لم يك ، ولا أدر ، ولم أبل ، وأيش ، وجايحى ، وسا سو ، بحذف همزتيهما فلما اطرد هذا ونحوه لكثرة استعماله ، اتبعوا أحد الصوتين الآخر وشبهوهما بالجزء الواحد .

وان كانا جملة من مبتدأ وخبر فصارت " الحمد لله " كعنق وطنب والحمد لله ، كابل واطل ، الا أن (الحمد لله) بضم الحرفين أسهل من (الحمد لله) بكسرهما)) .

وهكذا يستمر (ابن جنى) فى منهجه بعرض القراءة ومن قرأ بها ثم يرجع أمرها الى اللغة يلتمس لها شذوذا فيرويه أو نظيرا فيقيسها عليه أو لهجة فيردها اليها ويؤنسها بها .

وفى ابدال الواو همزة يعرض (ابن جنى) لقراءة الحسن (ثم استخرجها من وعاء أخيه) بضم الواو .

قال أبو الفتح : وقرأ سعيد بن جبير " اعاء أخيه " بهمزة ، و أصله وعاء . فأبدلت الواو وان كانت مكسورة همزة . كما قالوا فى وسادة اسادة . وفى وجاح : اجاح . وهو الستر . وهمزة وعاء بالضم أقيس من همز المكسور الواو . بل يقوى أعاء أخيه ونحوه " اذا الرسل أقتت " وقالوا فى وجوه : أجوه ، وفى وعد : أعد .

وهكذا حفل المحتسب بالقراءات الشاذة والظواهر الصوتية التى تظهر من خلالها .

ومن ذلك قراءة أيوب السجستاني:[1] " ولا الضّألين "[2] بالهمز .

قال أبو الفتح : ذكر بعض أصحابنا أن أيوب سئل عن هذه الهمز الهمزة . فقال : هي بدل من المدة لالتقاء الساكنين واعلم أن أصل هذه ونحوه : الضالين ، وهو الفاعلون ، من ضل يضل فكرة اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد على غير الصورة المحتملة في ذلك فأسكنت اللام الأولى وأدغمت في الآخرة ؛ فالتقى ساكنان الألف واللام الأولى المدغمة فزيد في مدة الألف واعتمدت وطأة المد فكان ذلك نحوا من تحريك الألف ؛ وذلك أن الحرف يزيد صوتا بحركاته كما يزيد صوت الألف باشباع مدته .[3]

وعن أبي زيد قال : سمعت عمروا بن عبيد يقرأ " فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جأن "[4] قال أبو زيد : فظننته لحن الى أن سمعت العرب تقول شأبة ، ومأدة ، ودأبة ، وعليه قول كثير .

---

(1) — هو فقيه أهل البصرة . وكان علم الحفاظ ، قال شعبة عنه : كان سيد الفقهاء مات سنة 131 . شذرات الذهب ، ج : 1 ص 181 .

(2) — سورة الفاتحة . الآية . 7 .

(3) — ابن جني . المحتسب . ج : 1 . ص 46 .

(4) — سورة الرحمن . الآية . 74 .

جـ ـ النشر في القراءات العشر :

يعتبر كتاب " النشر في القراءات العشر " لابن الجزري (ت 833هـ) مجمع الطرق المتواترة عن رواة القراءات العشر : كان حقا على المسلمين عموما وجماعات حفاظ القرآن خصوصا من أهل العصر .

هذا الى ما انطوى في ثناياه من علوم الأداء الجارية في فقه اللغة مجرى الأساس من البناء فمن علم مخارج الحروف وصفاتها الى علم الوقوف وأحكامها الى بحوث في الادغامين والهمزات والياءين ، والضم والامالة والرسم وفني الابتداء والختم وغيرها من المباحث الامر الذي دفعني أن أقف عند بعض المباحث الصوتية التي تهمنى في هذا البحث ولعل أهم مايجب الوقوف عنده :

مخارج الحروف :

يقول ابن الجزري : (أما مخارج الحروف فقد اختلفوا في عددها فالصحيح المختار عندنا وعند من تقدمنا من المحققين كالخليل ومكي بن أبي طالب وأبي قاسم الهذلي ، وأبي الحسن وغيرهم سبعة عشرة مخرجا وهو الذي اثبته أبو علي بن سينا في مؤلفه[1] الذي أخصه لمخارج الحروف وصفاتها .

وقال كثير من النحاة والقراء هي ستة عشرة مخرجا فأسقطوا مخرج الحروف الجوفية التي هي حروف المد واللين وجعلوا مخرج الألف من أقصى الحلق ، "والواو " من مخرج المتحركة وكذلك " الياء "

---

(1)ـ يقصد رسالته في أسباب حدوث الحروف .

وذهب قطرب والجرمي والفراء وابن دريد وابن كيسان الى أنها أربعة عشر فاسقطوا مخرج النون والراء واللام وجعلوها من مخرج واحد وهو طرف اللسان والصحيح عندنا الاول لظهور ذلك في الاختيار[1] .

فمخارج الحروف عند ابن الجزري سبعة عشرة :

المخرج الأول : للحروف الجوفية . (الالف ، والواو الساكنة ، والياء الساكنة .)

المخرج الثاني : أقصى الحلق وهو : (الهمزة ، والهاء) .

المخرج الثالث : وسط الحلق (للعين ، والحاء .) .

المخرج الرابع : أدنى الحلق الى الفم (للغين ، والخاء .) .

المخرج الخامس : أقصى اللسان ممايلي الحلق ومافوق الحنك (للقاف) .

المخرج السادس : أقصى اللسان من أسفل مخرج القاف من اللسان قليلا ومايليه من الحنك (للكاف) .
وهذان الحرفان يقال لكل منهما لهوي نسبة الى اللهاة وهي بين الفم والحلق .

المخرج السابع : (للجيم والشين المعجمية ، والياء غير المدية) . من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك — ويقال — ان الجيم قبلهما .

---

(1) — ابن الجزري . النشر في القراءات العشر . تصحيح ومراجعة على محمد الضباع . دار الكتب العلمية . بيروت . ج 1 . ص 198 — 199 .

المخرج الثامن : (للضاء المعجمة) من أول حافة اللسان ومايليه من الاضراس من الجانب الأيسر عند الاكثر ، ومن الايمن عند الاقل . وكلام " سيبويه " يدل على على أنها تكون من الجانبين ، وقال الخليل : انها شجرية يعني من مخرج الثلاثة قبلها . والشجرة عنده : مفرج الفم ، أي مفتحه (1) .

المخرج التاسع : (للام) من حافة اللسان من أدناها الى طرفه .

المخرج العاشر : (للنون) من طرف اللسان بينه وبين مافوق الثنايا أسفل اللام قليلا .

المخرج الحادي عشر : (للراء) وهو من مخرج النون من طرف اللسان بينه وبين مافوق الثنايا العليا غير أنها أدخل في ظهر اللسان وهذه الثلاثة يقال لها : الذلقية نسبة الى طرف اللسان .

المخرج الثاني عشر : (للطاء والدال والتاء ، من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعدا الى جهة الحنك ويقال لهذه الثلاثة : النطعية لأنها تخرج من نطع الغار الأعلى وهو سقفه .

---

(1) — الخليل بن أحمد الفراهيدي . العين . ص 65 .

المخرج الثالث عشر: لحروف الصفير وهي : (الصاد والسين والزاى) من بين طرف اللسان فويق الثنايا السفلى ويقال لها الحروف (الأسلية).

المخرج الرابع عشر : (للظاء والذال والثاء من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا. ويقال لها: اللثوية.

المخرج الخامس عشر : (للفاء) من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا.

المخرج السادس عشر : (للواو وغير المدية، والباء، والميم) مما بين الشفتين — فينطبقان على الباء والميم — وهذه الأربعة يقال لها الشفهية نسبة الى الموضع الذى تخرج منه وهو الشفتان.

المخرج السابع عشر : (الخيشوم) وهو للغنة، وهى تكون فى النون والميم الساكنتين حالة الاخفاء.[1]

ولبعض هذه الحروف فروع صحت القراءة بها فمن ذلك الهمزة المسهلة بين بين، وألف الامالة والتفخيم، وامالة بين بين لم يعتدها سيبويه وانما اعتد الامالة المحضة، وقال التى تمال امالة شديدة كانها حرف آخر قرب من الياء.

---

(1) — ابن الجزرى. النشر فى القراءات العشر. ج: 1 ص. 198— 201.

ومنه الصاد المشممة وهي التي بين الصاد والزاي فرع عن الصاد الخالصة وعن الزاي .

ومنه اللام المفخمة فرع عن المرققه ، وذلك في اسم الله تعالى بعد فتحة وضمة .(1)

وأما صفات الحروف فمنها المجهورة وضدها المهموسة ، والرخوة وضدها الشديدة والمتوسطة ، والمتوسطة بين الشدة والرخاوة .

ومنها الحروف المستفلة ، وضدها المستعلية ، ومنها الحروف المنفتحة وضدها المنطبقة ، وحروف الصفير .

ومنها حروف القلقلة ، ويقال لها اللقلقة وهي خمس يجمعها (قطب جد) وأضاف بعضهم اليها الهمزة لأنها مجهورة شديدة وانما لم يذكرها جمهور لما يدخلها من التخفيف حالة السكون ففارقت أخواتها ولم يعتريها من الاعلال وذكر سيبويه معها التاء مع أنها المهموسة وذكر لها نفخا وهو قوى في الاختيار ، وذكر المبرد منها الكاف الا أنه جعلها دون القاف . قال ابن الجزري : (وهذه القلقلة بعضها أشد من بعض وسميت هذه الحروف بذلك لأنها اذ سكنت ضعفت فاشتبهت بغيرها فيحتاج الى ظهور صوت يشبه النبرة حال سكونهن في الوقت وغيره الى زيادة النطق بهن . فذلك الصوت في سكونهن أبين منه في حركتهن . وهو الوقوف أمكن ، وأصل هذه الحروف " القاف " لانه لا يقدر

---

(1) — نفسه . ج : 1 . ص 203 .

أن يوتى بـه ساكنـا الا مع صوت زائد لشدة استعلائه.[1]

وذهب متأخرو أئمتنا الى تخصيص القلقلة بالوقف تمسكا بظاهرة مارأوه من عبارة المتقدمين أن القلقلة تظهر في هذه الحروف بالوقف. فظنوا أن المراد بالوقف ضد الوصل وليس المراد سوى السكون فان المتقدمين يطلقون الوقف على السكون.[2]

وقوى الشبهة في ذلك كون القلقلة في الوقف العرفي أبين في حسبانهم أن القلقلة حركة وليس كذلك. قال الخليل: القلقلة شدة الصياح. واللقلقة شدة الصوت[3] ولم يضف ابن الجزري زيادة تذكر في وصف الحروف على ماوصفه بها سيبويه.

وتطرق " ابن الجزري " لظاهرة الوقف والابتداء.[4]

وقال أنهما حالتان " الاولى " معرفة مايوقف عليه وما يبتدأ بـه، و " الثانية " كيف يوقف وكيف يبدأ وهذه تتعلق بالقراءات، وقد اصطلح الائمة لانواع أقسام الوقف والابتداء مصطلحات وقسموه الى "اختياري"

---

(1) — نفسه. ج: 1. ص 203.

(2) — نفسه ص 203.

(3) — نفسه.

(4) — نفسه ج 1: ص 224.

و" اضطراری " لأنّ الكلام اما أن يتم أولا ، فان تم كان اختياريا وكونه تاما لا يخلو ، اما ان لا يكون له تعلق بما بعده ، البتة أی لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى ، فهو الوقف الذی اصطلح عليه الائمة " بالتام "

وهو أكثر مايكون فی رؤوس الآی وانقضاء القصص نحو الوقف على (بسم الله الرحمن الرحيم) والابتداء ، " الحمد لله رب العالمين "ونحو الوقف على " مالك يوم الدين " والابتداء " اياك نعبد واياك نستعين"

و" الوقف الكافی " : يكون فی الفواصل وغيرها نحو : " ومما رزقناهم ينفقون[1] " وعلى (من قبلك[2]) وعلى " هدى من ربهم[3] " وكذا : " يخادعون الله والذين آمنوا — وكذا الا أنفسهم[4] .

والوقف الحسن : نحو الوقف على : " بسم الله[5] " وعلى "الحمد لله[6]"

---

(1) — سورة : البقرة الآية 3

(2) — سورة : البقرة الاية 4

(3) — سورة : البقرة الاية 5

(4) — سورة : البقرة . الآيــة : 9 .

(5) — البسملة

(6) — سورة : الفاتحة . الآية : 1 .

و" رب العالمين"[1] وعلى " الرحمن"[2] وعلى : " الرحيم"[3] و" الصراط المستقيم"[4] و " أنعمت عليهم"[5] .

والوقف القبيح : نحو الوقف على : بسم ، والحمد ، وعلى رب[6]

وأما الابتداء فلا يكون الا اختياريا[7] لانه ليس كالوقف تدعو اليه ضرورة فلا يجوز الا بمستقل بالمعنى موف بالمقصود ، وهو في اقسامه كأقسام الوقف الاربعة ، ويتفاوت تماما وكفاية وحسنا وقبحا بحسب التمام وعدمه وفساد المعنى احالته نحو الوقف على (' ومن الناس) فان الابتداء " بالناس" قبيح ، وكذا الوقف على " ختم الله " قبيح ، والابتداء بالله أقبح .

وقد فرق ابن الجزري بين مصطلح الوقف ، والقطع ، والسكت[8]

---

(1) — سورة :الفاتحة . الآية : 2 .

(2) — نفسها . الآية : 3 .

(3) — سورة : الفاتحة : الآية : 3 .

(4) — نفسها . الآية : 8 .

(5) — نفسها . الآية . 12 .

(6) — ابن الجزري . النشر في القراءات العشر . ج : 1. ص 229 .

(7) — نفسه . ص 230 .

(8) — نفسه . 238 .

حيث يقول : هي عبارات جرت عند كثير من المتقدمين مرادا بها الوقف غالبا ولا يريدون بها غير الوقف الا مقيدة ، وأما عند المتأخرين وغيرهم من المحققين فان القطع عبارة عن قطع القراءة رأسا ، فهو كالانتهاء فالقارئ به كالمعرض عن القراءة ، والمنتقل منها الى حالة أخرى سوى القراءة كالذي يقطع على حزب أوفي ركعة ثم يركع. وغير ذلك مما يؤذن انقضاء القراءة ، والانتقال منها الى حالة أخرى ، ولا يكون الا على رأس الآية لأن رؤوس الآي في نفسها مقاطع .(1)

والوقف عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة اما بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله(2)

والسكت هو عبارة عن قطع صوت زمنا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس، وقد اختلفت الفاظ أئمتنا في التأدية عنه بما يدل على طول السكت وقصره .

فقال أصحاب سليم عنه عن حمزة في السكت على الساكن قبل الهمزة سكتة يسيرة ، وقال جعفر عن علي بن سليم عن خلاد لم يكن يسكت على السواكن كثيرا .(3)

كما تطرق ابن الجزري للمد والقصر(4) فقال :

---

(1) — نفسه ج : 1 . ص 239 .

(2) — نفسه . ص 240 .

(3) — نفسه .

(4) — نفسه . ص 312 .

"والمد" في هذا الباب هو عبارة عن زيادة مط في حرف المد على المد الطبيعي وهو الذي لا يقوم ذات حرف المد دونه .

"والقصر" عبارة عن ترك تلك الزيادة وابقاء المد الطبيعي على حاله وقد تقدم ذكر حروف المد وهي الحروف الجوفية "الالف" ولا تكون الا ساكنة ولا يكون قبلها الا مفتوح .

والواو الساكنة المضموم ماقبلها ، والياء الساكنة المكسور ماقبلها .(1)

وأفرد " ابن الجزرى " بابا في الهمزتين المجتمعتين(2) من كلمة وتأتي الاولى منها همزة زائدة للاستفهام ولغيره ولا تكون الا متحركة ولا تكون همزة الاستفهام الا مفتوحة .

وتأتي الثانية منها متحركة وساكنة ، فالمتحركة همزة قطع وهمزة وصل(3) .

كما أفرد بابا في نقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها وهو نوع من أنواع تخفيف الهمز المفرد لغة لبعض العرب ، اختص بروايته بشرط أن يكون آخر كلمة وأن يكون غير حرف مد ، وأن تكون الهمزة أول الكلمة الأخرى سواء كان الساكن تنوينا أو لام تعريف أو غير ذلك

---

(1) — نفسه ، ص 312 .

(2) — نفسه ، ص 357 .

(3) — نفسه ، ص 357 .

فيتحرك الساكن بحركة الهمزة وتسقط هي من اللفظ لسكونها وتقدير سكونها وذلك نحو : " ومتاع الى حين " و" كل شيء أحصيناه ، وخير الا تعبد ، ولأى يوم أجلت ، ونحو : الآخرة ، والآخر ، والأرض والاسماء ".(1)

وتطرق الى الوقوف على الهمز.(2)

كما تطرق الى الادغام ، والاخفاء ، والاظهار ، وقسم " ابن الجزرى " الادغام الى قسمين :(3)

الأول : ادغام حرف من كلمة فى حروف متعددة من كلمة متفرقة ، وينحصر فى فصول اذ ، وقد ، وتاء التأنيث ، وهل ، وبل .

الثانى : ادغام حرف فى حرف من كلمة أو كلمتين حيث وقع وهو المعبر عندهم بحروف قربت مخارجها ، ويلتحق بهما قسم آخر اختلف فى بعضه فذكر جمهور أئمتنا عقب ذلك وهذا الكلام على أحكام النون الساكنة والتنوين خاصة الا أنه يتعلق به أحكام أخرى سوى الادغام والاظهار من الاخفاء والقلب .(4)

كما تطرق الى " الامالة " وعرفها بقوله : (أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء .) . ويطلق ابن الجزرى على مصطلح

---

(1) — نفسه . ص 404 .

(2) — نفسه . ص 428 .

(3) — نفسه . ص 274 .

(4) — نفسه . ص 223 .

" الامالة " مسطلحات أخرى فيقال لها : " الاضجاح " ، و" البطح "، و" الكسر ". وتنقسم الى قسمين : " امالة شديدة "، و" امالة متوسطة "، وكلاهما جائز في القراءة جاري في لغة العرب.(1)

ولم يضيف ابن الجزري في باب الامالة على ماجاء به سيبويه. وخصص فصلا في امالة أحرف الهجاء في أوائل السور وبابا في امالة هاء التأنيث وماقبلها في الوقف.

كما عقد بابا في مذاهب القراء حول ترقيق الراءات، وتفخيمها، وفصلا في الوقف على الراء وغيرها من المواضيع الصوتية التي يظهر بعضها في النطق والكتابة، وبعضها يظهر في النطق فقط وعليها يترتب تجويد القراءات القرآنية كالاشمام، والروم وغيرهما.

د ـ لطائف الاشارات لفنون القراءات :

الف شهاب الدين القسطلاني (ت 923 هـ) كتابه لطائف الاشارات لفنون القراءات، وضمن الجزء الاول منه فصولا متفرقة في أصحاب القراءات وطرق رواياتهم ومذاهبهم، وختمه بمباحث صوتية تعرض فيها الى مخارج الحروف وتعريفها، والحروف العربية، واختلاف الناس في أسبقية الحرف أو الحركة، وعدد مخارج الحروف الاصول، وصفات الحروف، وذكر صفات كل حرف من حروف الهجاء، وتفخيم الحروف وترقيقها، وأحكام الحروف مفردة ومركبة، والوقف، والابتداء،

---

(1) ـ ابن الجزري . النشر في القراءات العشر. ج 2 ، ص 90 .

وأقسامهما ، وانحصار الرسم في الحذف ، والاثبات ، والزيادة ، والهمز ، والبدل ، والوصل . والفصل ، وحذف الياء والواو ، رسما ، وزيادة الياء والواو ، ورسم الالف ياء وغير ذلك ... مما سنذكره بشيء من التفصيل في مكانه من هذه الرسالة ، وسنتعرض الى بعض مباحث الصوتية في هذا الفصل .

مخارج الحروف :

ففي حديث القسطلاني عن مخارج الحروف يتعرض للتعريف بمصطلحات صوتية مثل : المخارج ، والحروف ، والاصوات ، والحروف الاصول ، وحروف الفماجم ، والحروف المستحسنة ، والحروف المستقبحة ، والحركات ، والاختلاس والسكون ... الخ

ويعرف المخارج بقوله : (المخارج : ج مخرج ، اسم للموضع الذي ينشأ منه الحرف ، وهو عبارة عن الحيز المولد له)[1]

ومخارج الحروف الأصول سبعة عشر مخرجا على الصحيح ، وهو مذهب الزمخشري وغيره ، من المحققين ، وهو الذي يظهر من حيث الاختبار وتقريب معرفته أن يسكن الحرف ، وتدخل عليه همزة الوصل للتوصل الى النطق به ، فيستقر اللسان بذلك في موضعه فيتبين مخرجه ، واذا سئلت [illegible] ظ به فان كان ساكنا حكيته كما تقدم ، وان كان متحركا

---

(1) ـــ شهاب الدين القسطلاني . لطائف الاشارات لفنون القراءات . تحقيق وتعليق الشيخ عامر السيد عثمان ، وعبد الصبور شاهين . القاهرة . 1392 هـ ، 1972م ج : 1 ، ص 182 .

حكيتــه بهـاء السكــت .(1)

وفـى تعريفـه للحـروف يقـول : الحروف ج : حـرف ، وهو صوت معتمد على مقطـع محـقق أو مقـدر .(2)

والصـوت : هو الحاصـل من دفـع الرئـة الهواء المحتبـس بالقـوة الدافعـة ، فيتمـوج ، فيصـدم الهواء الساكـن فيحـدث الصوت من قـرع الهـواء بالهـواء المنـدفـع من الرئـة .(3)

والحـروف الأصول تسمى حـروف الهجـاء أو التهجـى و قـد رأينـا أن سيبويـه والخليـل يسميانها بـ " حـروف العربيـة " ، أى حروف اللغـة العربيـة ، وهـي التى يتـركـب منها الكـلام العربـى وتسمـى حروف" المعاجم" لأنهـا مقطعـة لا تفهـم الا باضـافـة بعضها الى بعـض ، أو لأنهـا يـنقط منهـا ما ينقـط يقـال : أعجمت الحروف ، ومعناهـا حروف الخط المعجـم .(4)

ويـذكر القسطلاني أن الحروف الأصـول تسعـة وعشرون حـرفا باتفـاق البصرييـن الا المبـرد فـانـه جعـل الألـف همـزة وهي بذلك ثمانية وعشرون حـرفـا .(5)

---

(1) ـ نفســه . ص 188 .

(2) ـ نفســه . ص 183 .

(3) ـ نفســه .

(4) ـ نفســه .

(5) ـ نفســه . ص 183 .

كما يتعرض القسطلاني الى ذكر الحروف المستحسنة وغير المستحسنة مرددا كلام سيبويه[1] وابن جني[2] دون أن يضيف زيادة تذكر ،كما يتعرض الى الخلاف فى أسبقية الحرف أو الحركة فيعرض كلام ابن جنى دون أن يضيف شيئا جديدا يذكر أيضا[3].

ويعرف " القسطلاني " (الاختلاس)" بقوله :

(... والاختلاس هو الاسراع بالحركة ، حتى يظن سامعها أن المسموع سكون لا حركة ، ووزن الحركة فى التخفيف نصف الحرف المتولد عنها ، ولذلك سموا الفتحة " الألف الصغرى ، و " الكسرة " : الياء الصغرى ، و" الضمة " : الواو الصغرى فنقص الحركة كما أجمع عليه لحن ، والاختلاس الاتيان ببعض الحركة[4]) .

وأما السكون نوعان : حي وميت .

والثانى : الألف وأختاها لأنهن لا حيز ولا مقطع لهن محقق ، فان انفتح ماقبل الواو والياء فسكونهما حي ، لأخذ اللسان الياء والشفتين .

والواو كسائر الحروف ، كما تجد الجيم التى هي أخت الياء فى مخرجها فقد أخذها اللسان فى قولك : رميت كذلك رميت كذلك تجد الواو قد أخذتها الشفتان فى قولك : عفوت .

---

(1) — راجع : سيبويه . الكتاب . ج : 4 ص 432 .

(2) — ابن جنى . سر صناعة الاعراب . ج : 1 ص 56 .

(3) — نفسه . ص 186 .

(4) — نفسه . ص 187 .

صفات الحروف :

تنقسم صفات الحروف عند القسطلاني إلى قوى ، وضعيف فالأولى : (كالجهر ، والشدة ، والثانية : كالهمس والرخاوة) .

والى صفات ذات أضداد وغيرها ، فالأولى : المجهورة والرخوة ، والمستفلة ، والمنفتحة ، والمصمتة ، وضدها المهموسة ، والشديدة والمنطبقة ، والمذلقة .

والثانية كالصفير ، والقلقلة وغيرها مما يأتي التعريف بها في[1] مكانها من هذا البحث .

وفي الابدال : يذكر القسطلاني حروف الابدال ويعدها اثنى عشر حرفا ، جمعوها في لفظ (طال يوم أنجدته) لأنها تبدل من غيرها كما ذكر حروف الزيادة وهي عشرة عنده يجمعها قولك : (سألتمونيها)[2]

النطق بالحروف : تطرق القسطلاني الى كيفية النطق بالحروف في قراءات القرآن الكريم وقال : أما الالف فالنطق بها على حسب الفتحة قبلها ، ترقيقا وتفخيما ، وهذا هو الصحيح .

وأما الهمزة فيتلطف بها (سلسة) في النطق من غير تعسف لبعد مخرجها مع التحفظ بترقيقها نحو (الحمد لله) ، فأنذرتهم ، لا سيما اذا أتى بعدها ألف ك (ءايات) ، ويتأكد قبل مفتح نحو : "الطلق" وقبل مجانس أو مقارب أشد ك (اهدنا) خوف التهوع بها .

---

(1) — نفسه . ص 203 .

وبالهاء متحفظا ببيانها لخفائها نحو: بهتان ، " واهدنا " وربما خرجت ممزوجة " بالحاء " لا سيما ان كانت مكسورة ك " عليهم " ويتأكد عند مجاورة مقارب ك " وعد الله حق " لا سيما ان اكتنفها الفان " كطحاها " لاجتماع ثلاثة أحرف خفية .

والغين المعجمة يتعين بيانها عند مجاورتها لحلقى ك"أفرغ علينا " أو قاف نحو : " لا تزغ قلوبنا " ... الخ

وكذا يتطرق القسطلانى لبقية الحروف فى التجويد ويجتهد فى تحرير النطق بلفظه ، وآداب تلاوته .

وسأتى فى آخر ما عرضناه من مواضيع صوتية عند القراء على ذكر موضع الدراسات القرآنية فى الدرس الصوتى الحديث .

علم الأصوات والأداء القرآنى :

لقد كان الأداء القرآنى على وجهه الصحيح من أهم العوامل التى ساعدت على تقدم البحث الصوتى عند العرب ، وقد اهتمت البحوث التى قام بها أهل هذا الأداء باسم خاص هو علم التجويد ولما كان الأداء القرآنى يختلف أحيانا باختلاف القراءات القرآنية فانه كثيرا ما نجد كتب القراءات تحوى أيضا بحوث علم التجويد ، ولعل كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزرى خير مثال لذلك ، بيد أننا لا نعدم في كثير من الاحيان مؤلفات خاصة بعلم التجويد ، ومن أمثلة ذلك كتاب "كتاب نهاية القول المفيد فى علم التجويد لمحمد مكي نصر" (1)

(1) - طبع هذا الكتاب للمرة الأولى فى بولاق سنة 1306هـ، ويتولى اعادة طبعه الآن صاحب مكتبة الحلبي فى القاهرة .

وقد اختص بعض الناظمين هذا العلم بمنظوماتهم التى تساعد الناشئين على الالمام بمسائله وقضاياه ، ومن أمثلة ذلك تحفة الأطفال للشيخ سليمان الجمزورى ، ومتن الجزرية للعلامة الجزرى الشافعى ، واغاثة الملهوف في عدد صفات الحروف للشيخ ابراهيم سعد (1) .

ومن البحوث الصوتية التى أولاها علماء التجويد عناية كبيرة وكذلك المحدثون ، النون الساكنة (2) ولقد جرت عادة المؤلفين أن يقرنوا النون الساكنة بالتنوين عندما يذكرون الأحكام الادائية الخاصة بالنون الساكنة ولعل الذى دفعهم الى اعتبارهما شيئين لا شيئا واحدا هو مراعاة الفروق الوظيفى بين النون باعتبارهما وحدة صوتية " Phonemes " تدخل فى بناء الكلمة مثلها فى ذلك مثل الياء أو الميم أو أى حرف آخر ، والنون الساكنة باعتبارها وحدة صرفية (3) " Morpheme " أو بالاحرى وحدة صوتية وصرفية فى آن واحد " Morpho phonem " وربما كان لطريقة الكتابة العربية دخل فى هذا

---

(1) — طبعت هذه المنظومات الثلاث فى القاهرة سنة 1973 م .(دار القاهرة للطباعة)

(2) — نقصد بمصطلح " النون الساكنة " هنا مايشمل نون التنوين واذا كان الفصل بينهما جائزا في مجال الصرف أو النحو فليس الأمر كذلك فى مجال الاصوات .

(3) — المراد بالوحدة الصرفية مايدل على معنى مستقل فى الكلمة مثل نون التنوين هذه اذ تدل عادة على التنكير ومثل ال الدالة على التعريف .

الاعتبار اذ جعلت للنون عندما تكون حرف مبني أي عندما تكون داخلة في بناء الكلمة رمزا معينا ولم تجعل لنفس النون عندما تكون حرف معنى أي عندما تلحق أواخر الكلمات المعربة للدلالة على التنكير أو غيره من الوظائف[1] أي رمز مستقل الا بأخر وعندما حدث ذلك كان رمز التنوين مختلفا كل الاختلاف عن الرمز الكتابي للنون[2] .

وربما كان السبب في عدم تسجيل رمز كتابي لنون التنوين منذ البداية هو أن الكتابة العربية كانت تسجل الكلمات في حالة الوقف لا في حالة الوصل[3] . ولما كانت نون التنوين هذه تسقط في الوصل لم يضعها برمز معين .

أما فيما يتعلق بالدرس الصوتي الحديث فانه لايوجد فرق على الاطلاق في الخصائص الصوتية لكلا نوعي النون أي النون الساكنة ونون التنوين ولهذا آثرنا أن نعالجهما معا كشيء واحد لا كشيئين مختلفين .

انه لحري بنا قبل أن نعرض لاحكام النون الساكنة وهي في السياق أن نعرض لصفاتها الفائقة "Distinctive facture " وهي مجردة عن مدى احتفاظها أو فقدها لهذه الصفات أو بعضها ، والسبب الصوتي الذي يدعو الى ذلك .

---

(1) — من وظائف التنوين في العربية عدا التنكير وظائف التمكين ، والعوض ، والمقابلة .

(2) — وقد حدث عندما وضعت رموز للضمة والفتحة والكسرة أما التنوين فهو فتحتان أو ضمتان أو كسرتان .

(3) — أنظر في هذا F/ Sher hand duch der arabishen dialecte. P. 17.

النون المفردة : صوت أسناني لثوي أنفي مجهور وهذا يعني أن لها صفات فارقة ثلاث هي :

1 — كونها أسنانية لثوية وهذه صفة المخرج وتعني أن العائق الهوائي أو القصبة التي تعترض طريقه لتكون نتيجة اتصال طرف اللسان بأصول الثنايا العليا .

2 — كونها صوتا أنفيا وذلك أن الهواء عندما يعاق طريقه في الفم فانه يجد متسربا له من الأنف .

3 — كونها صوتا مجهورا لاهتزاز الأوتار الصوتية حين النطق بها .

النون في السياق :

عالج العلماء علماء التجويد أحكام النون الساكنة أي أحوالها المختلفة وهي في السياق أو في التركيب[1] ، اشتراط سكون النون يعني اتصالها مباشرة بما بعدها حيث لا يفصل بين هذه النون والصوت الذي يليها فاصل من حركة أو وقف وقد ذكر العلماء لهذه النون الساكنة غير الموقوف عليها أحكاما منها :

1 — الحكم الأول : ويطلق أهل الأداء عليه مصطلح " الاظهار " ويعني الاظهار احتفاظ النون بكل صفاتها الفارقة دون تأثر بالصوت الذي يليها ويكون ذلك بالاجماع اذا وليها صوت الهمزة أو الهاء

---

(1) — أنظر : ابن الجزري . النشر في القراءات العشر . ج : 1ص 162 .

أما النحاة فيطلقون عليه مصطلح " البيان " ومن أمثلة ذلك[1] الآيات الكريمة :

" وهم ينهون عنه وينأون عنه "[2]

" أولئك الذين أنعم الله عليهم "[3]

" فصل لربك وانحر "[4]

والسبب الصوتي الذي يدعو الى هذا الاظهار هو بعد مابين المخرجين اذ أن " الهمزة والهاء " مخرجهما من الحنجرة و " العين والحاء " من الحلق وهو أبعد المخارج من النون .

وهناك سبب آخر هو أنه لا يترتب على اظهار " النون " وهو الأصل أدنى مشقة عندما يليها أحد هذه الحروف اذ ان الهواء عندما يعاق عند طرف اللسان وما يحاذيه من الحنك الاعلى فانه يتسرب من التجويف الانفي فاذا أردنا بعد ذلك النطق بحرف حنجري أو حلقي فان المنطقة التي يعاق فيها الهواء تكون خلف تجويف الانف فلا يحدث حينئذ أي نوع من التداخل بين الصوتين .

(1) — راجع : سيبويه . الكتاب . ج : 2 . ص 415 .

(2) — سورة . الانعام . الآية : 26 .

(3) — سورة . مريم . الاية : 56 .

(4) — سورة . الكوثر . الآية : 2 .

أما اذا ولى النون غين أو خاء وهما أيضا من حروف الحلق في اصطلاح القدماء (1) فقد اختلف في حكم هذه النون اذ ان أكثر العرب يظهرونها عن الأصل وبعضهم يخفيها يقول : سيبويه ((وتكون النون مع الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء بينة أي مظهر موضعها من الفم وذلك أن هذه الستة تباعدت من مخرج النون وليست من قبيلها فلم تخف هنا ، كما لم تدغم في هذا الموضع، وبعد أن ذكر أمثلة عن ذلك عقب بقوله " هذا الأجود الأكثر وبعض العرب يجري الغين والخاء مجرى القاف (2) .

أي أنهم يخفون النون مع الغين والخاء كما يخفونها اذا وليتها القاف .

ومانشير اليه أن كل ماسبق ذكره يعبر عما سجله النحاة عن الفصحاء من العرب .

أما موقف أهل الأداء والمقرئين فقد كان انعكاسا صادقا لذلك اذا اتفق جميع القراء على اظهار النون اذا وليتها همزة أو هاء أو عين أو حاء فاذا وليتها غين في نحو قوله تعالى : " ونزعنا في صدورهم من غل " (3)

أو خاء في نحو قوله تعالى وماتنفقوا من خير فلأنفسكم " (4)

---

(1) — أما المحدثون فيرون أنها من حروف أقصى الحنك وهي المنطقة المسماة بالط[...]

(2) — سيبويه . الكتاب . ج : 2 . ص 415 .

(3) — سورة الحجر . الآية : 47 .

(4) — سورة البقرة . الاية : 272 .

قان جمهور القراء يظهرونها ولم يقرأ بالادغام سوى أبى جعفر (1) كما نقل الاخفاء أيضا عن "قالون" راوية "نافع" قارئ أهل المدينة ، فاذا عرفنا أن أبا جعفر كان أيضا من قراء المدينة استطعنا ونحن مطمئنون أن نقرر أن أهل المدينة هم الذين أشار اليهم سيبويه بقوله : "وبعض العرب كانوا يجرون الخاء والغين مجرى القاف فى الاخفاء" (2)

ولقد أوضح النحاة وأهل الأداء السبب الصوتى الذى يدعو الى اخفاء النون عند بعض العرب وبعض القراء اذا وليتها غين أوخاء وهو قرب مخرجهما من اللسان (3) وتشير الدراسات الصوتية الحديثة الى أن مخرج هذين الصوتين هو الحنك الأقصى أو ما يسمى بالطبق ومن ثم فهما من حروف الفم كالقلف ، بل هما أدخل في الفم من القاف التى قيسا عليها عند القدماء (4) .

الحكم الثانى : ويطلق عليه أصحاب الأداء مصطلح "الاخفاء" والاخفاء فى اصطلاح القراء "حال بين الاظهار والادغام" (5) .

واذا كنا قد عرفنا قبلا أن الاظهار يعنى احتفاظ النون لكل خواصها وصفاتها الفارقة ، فان الاخفاء حينئذ يمكن تفسيره على أنه احتفاظ

---

(1) — أبو جعفر ونافع هم من الائمة العشرة أصحاب القراءات المشهورة .

(2) — سيبويه . الكتاب . ج : 2 . ص 223 .

(3) — أنظر الكتاب لسيبويه (السطر الأخير قارن بالشرح : 2 ص 23 .

(4) — كمال بشر . علم اللغة العام . الأصوات: ص 109 .

(5) — سيبويه . الكتاب . ج : 2 ص 415 وكذا المبرد . ج : 1 . ص 353 .

النون ببعض الصفات الفارقة وتخليصها عن البعض الأخرى واذا ذهبنا نلتمس مافقده من الصفات وما تحتفظ به منها فى ضوء كتب التراث صادفنا على الفور ماذكره شيخ النحاة فى كتابه حيث يقول " وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفا خفيا مخرجه من الخياشيم (1) . ويفهم من هذا احتفاظها بصفة الانفية أو بالغنة ولكنها تتخلى عن صفة المخرج الخاص بكونها صوتا أسنانيا (2) .

وقد تابع سيبويه جل النحاة العرب فى تقرير حكم الاخفاء للنون اذا وليها حرف من حروف الفم كما أجمع على ذلك أهل الأداء القرآنى، والمقصود بحروف الفم هنا خمسة عشر حرفا ثمان مجهورات وهي القاف والجيم والزاى والطاء والضاد والدال والذال وسبع مهموسات: الكاف والشين والسين والصاد والتاء والثاء والفاء .

ولقد أشار بعض علماء التجويد الى أن الاخفاء ليس درجة واحدة ولعلهم يقصدون بذلك أن الزمن الذى تستغرقه غنة النون المخفاة تختلف باختلاف مايليها من حروف الاخفاء التى تختلف فيما بينها من حيث درجة قرب مخرجها من النون الساكنة وكلما ازداد القرب قصر زمن الغنة .

وعلى هذا فمراتب الاخفاء هي :

---

(1) — نفسه .

(2) — ابن يعيش . شرح المفصل ج : 10 . ص 126 .

1ـ اخفاء أعلى ، ويكون مع أقرب حروف الفم الى النون " الدال والتاء والطاء " ويكون الزمن الذى تستغرقه الغنة أقل مايكون .

2ـ اخفاء أدنى ويكون مع أبعد الحروف عن النون " القاف و الكاف " و " الغين والخاء " ويكون الزمن الذى تستغرقه الغنة أطول مايكون .

3ـ اخفاء أوسط ، ويكون مع باقى حروف الاخفاء ويكون زمن الغنة متوسطا بين القصر والطول .

ومانجزم به القول أننا نستطيع فى ضوء معارفنا الصوتية الحديثة أن نحدد هذا الزمن تحديدا دقيقا اذا عرفنا أن الغنة تتفق فى التوقيت مع وضع اللسان فى مخرج حرف الفم الذى يأتى بعد النون واطالة زمن النطق بهذا الحرف المصاحب للغنة حتى يصير بمقدار حرفين أولهما ساكن والثانى متحرك . ولما كانت المدة التى تستغرقها الحروف التالية للنون مختلفة فان الزمن الذى تستغرقه النون المخفاة مع مايليها لابد وأن يختلف كذلك فاذا عرفنا أن نطق الكاف اليوم مثلا يستغرق زمنا متوسطا قدره 120 جزء ا من ألف من الثانية . وأن النون المفردة تستغرق فى المتوسط حوالى 85 جزءا فان الغنة حينئذ تستغرق 205 جزء ا من ألف من الثانية .

ويجب أن نضيف من الوجهة النظرية البحتة أن هذا الزمن الذى تستغرقه الغنة لا يتوقف فقط على مدى القرب أو البعد

من مخــرج النــون وانمــا يتــوقــف كذلــك على نــوع الحــرف الذى يليهمــــا من حيــث الصفــة أيضــا،(1) ويجــب أن نــوكــد هنا أن القــراءات موقــوفـــة علـــى السمــاع والتلقــى من أفــواه المجــيــد يــن ، وأن الدرس الصوتـــى الحــديــث مبنــي فى الغــالــب على النطــق المعاصــر الــذى قــد يختلــف الـــى حــد كبيــر أو قليــل عن النطــق الصحيــح الذى تناقلــه أهل الأداء جيــلا بعــــد جيــــل .

وقبــل أن نختم حديثنا عن الاخفاء نود الاشارة الــى أنــه يوجــد بيــن علمــاء الأدّاء من يعتبــر الادغام بغنــة " في غير الميم والنـــون "(2) نوعا من الاخفاء، وهنــاك من يقابــل مصطلــح " الادغــام " با " لاخفــاء " ويعتبــر الاخفــاء نوعا من الادغام ، وهــذه مسـألــة اصطلاح لا أكثـــر .

أما فى حقيقــة الامر فان كــلا من الادغام بغنة والاخفاء كلاهما يمثلان مــن الوجهة الصوتية الحديثة نوعا واحــدا وهو " المماثلــة الجزئية " وان شئت قلــت: " الادغام الجزئى " الذى دعــت اليه ضرورة انسجام النطق بالنون مــع ما يجاورها من أصوات الفــم ، وسنعود الى دراسة ظاهرة الادغام فى فصل التغيرات الصوتيــة بعــد حيـــن .

---

(1) — أنظــر :

(2) — ابن الجزرى . النشــر فــى القــراءات العشــر . ج : 2 . ص 28 .

خامسا : كتب حديثة مؤلفة فى موضوعات صوتية :

لقد ابتدأت البحوث الصوتية المتعلقة بميدان اللغة العربية فى أوروبا فى منتصف القرن الماضى بدراسة البحوث الصوتية التى قام بها النحاة العرب ومقارنتها فيما أمكن استخلاصه من عناصر من كيفية النطق التقليدى بالعربية الفصحى ومن مختلف كيفيات النطق .

ولقد كانت دراسات المستشرقين الألمانيين " فليين " (WILLIN) سنة 1855 و " بروكة " (BRÜKE) سنة 1960 و " لبسيوس " 1981 م دراسات من هذا القبيل ، ثم صدر الفصل الأول الذى كتبه " فولارز " سنة 1892 بعنوان " نظام الأصوات العربية " فجمع فيه ما ورد فى كتب النحاة العرب من معلومات صوتية . ثم أصدر كتابه المسمى .

" لغة الشعب ولغة الكتابة فى الجزيرة العربية قديما " فكان دراسة لطائفة من الأمور الصوتية الهامة المتعلقة بالألسن الدرجة التى كانت شائعة فى الجزيرة العربية ، وبعد سنين قلائل صدر كتاب " علم الأصوات عند سيبويه " للمستشرق الألمانى "شاده"(1) فكان تلخيصا فى بعض الصفحات لما جاء عند سيبويه من معلومات صوتية سنة 1931 وفى الفترة نفسها فقدمت البحوث فى الألسن

---

(1) ـ د . رمضان عبد التواب . المدخل الى علم اللغة . مكتبة الخانجى القاهرة . 1980 . 1400 هـ ص 16

العربية الدارجة تقدما أفاد منه علم الأصوات عدة معطيات جديدة فقد احتوى كتاب "اشتيمه" (Stumme) الخاص بلهجة تونس، وكتاب "مارس" (V. MARCAIS) في لهجة تلمسان 1902 ، وكتابه في لهجة أولاد ابراهيم لمدينة صيدا. 1908، كتاب "ماتسون" (MATTSON) الخاص بلهجة بيروت، وكتاب "كوهين" (MR. KOHEN) المتعلق بلهجة يهود مدينة الجزائر، وقد احتوت هذه التآليف على فصول في الصوتيات لكن كتاب "ماتسون" في الحقيقة اقتصر على دراسة الصوتيات فقط.

ومن هنا نجد أن بوادر الدراسة الصوتية الحديثة عند العرب لم تظهر الا في الربع الأول من القرن التاسع عشر حين أخذ علماء الغرب يهتمون بتراثنا الصوتي العربي ويقارنون اللغات الهند أوروبية بعضها ببعض، أما المؤلفات الحديثة التي ظهرت في علم الأصوات باللغة العربية أذكر منها :

1 — الباب الأول من كتاب "التطور النحوي" للمستشرق الألماني "برغستراسر" وهو عبارة عن سلسلة من المحاضرات (1) بلسان مدينة دمشق الدارج ، وقد ضم هذا الكتاب مقدمة كادت تكون كلها متعلقة بالصوتيات وخصصه صاحبه لصوتيات اللهجات الشرقية تحدث فيه عن اللسان العربي الدارج "بتدمر" ، ودراسات في لهجات بعض البدو ، ولهجات حوران كما يحتوي على أطلس لغوي فيه عدد من الترابط الصوتي سنة 1924 .

(1) — ص . 5 — 47 .

2 ـ كتاب " فندريس " فى اللغة وقد احتوى على دراسة المادة الصوتية فى الجزء الأوّل ، والنظام الصوتى وتغيراته فى الفصل الثانى وقد صدر الكتاب سنة 1962 م .

3ـ الصوت " لألكسندر افون " تناول فيه طبيعة الصوت الفزيائية ، والسماع والكلام والموسيقى ، والموجة الصوتية ، وسرعة الصوت ، والكتاب فى مجمله يتحدث عن علم الصوت الفزيائى بصفة عامة . 1962 م .

4 ـ دروس فى علم أصوات العربية " لجان كانتينو " تناول فيه نظام الحروف ، والحروف المائعة ، وصفات الحروف ،ومخارجها ونظا مّ الحركات ، والمقطع ، والنبر ، والايقاع ، وختمه بمعجم للمصطلحا ت الصوتية . 1966 م .

5 ـ محاضرات فى الألسنية العامة " لفرديناد ده سوسير " الذى تعرض فى الفصل السابع منه الى التصويتية ، وأنواعها ، وتعريف الصوتيم والسلسلة الكلامية ، ولا تخللو هذه الدراسة من مصطلحات صوتية حديثة عامة تذكرها فى موضعها . 1984 .

6 ـ فصل من كتاب " مناهج البحث فى اللغة " تمام حسان اهتم فيه بعلم الصوت التجريدى وقد ظهر 1955 م .

7ـ الباب الثانى من كتاب " علم اللغة للدكتور محمود السعرا ن وقد أفاد فيه مؤلفه من كثير من مؤلفات الغرب فى الدراسات الصوتية وتناول فيه علم الاصوات اللغوية فى صورته الحاضرة والدراسة الصوتية الآلية ، والكتابة الصوتية ، والنطق ، وأعضائه ،

وآليته ، والصوت الكلامي ، والفونولوجيا 1962 .

8 ــ مقالة بعنوان " جهود علماء العربية في الدراسة الصوتية "، ابراهيم أنيس . مجلة مجمع اللغة العربية مج 15 1963 م .

9 ــ " أصوات اللغة " عبد الرحمن أيوب ، الطبعة الأولى 1963 الثانية 1968 وقد اعتمد فيه على كتاب " هفنر " علم الأصوات العام المطبوع في أمريكا . 1952 والكتاب يتناول بحق الجوانب التشريحية والأكستيكية في دراسة الأصوات على نحو يمتاز بالدقة والوضوح .

10 ــ مجلة اللسانيات . أربع مجلدات . دكتور حاج صالح تناول في الجزء الأول منها التحليل العلمي للسلن البشرى ، والتعريف بالصوت اللغوى ، والحروف الخطى ، ونظام الكتابة ، وقد استعمل المخبر للتطبيق وأدخل الأصوات في المجال العلمي وعليه اعتمد كثير من المحدثين . 1971 م

11 ــ الأصوات والاشارات . ترجمة شوقي جلال . تعرض فيه الى التعريف بعلم السيموطيقا ، والرموز والاشارات والأصوات . 1972 م

12 ــ فصل من كتاب " فقه اللغة لمحمد المبارك ، وهو عبارة عن دراسة تقليدية تعتمد على ترديد كلام السابقين من اللغويين العرب في مجال البحث الصوتي . 1972 م

13 ـ " الأصوات اللغوية " للدكتور ابراهيم أنيس وهو أول كتاب متكامل باللغة العربية عن الدراسات الصوتية على المنهج اللغوى الحديث ، تناول فيه ظاهرة الصوت وأعضاء النطق ، ومقاييس الأصوات ، ومخارجها ، ومعنى المصطلحات الصوتية عند سيبويه ، وطول الصوت والمقطع ، والنبر ، والمماثلة ، والتطورات الصوتية . 1975 .

14 ـ دراسة الصوت اللغوى " للدكتور أحمد مختار عمر ، تناول فيه دراسة الفونيمات التركيبية ، والتطور فى أصوات اللغة العربية ، والقوانين الصوتية ، وبعض الظواهر الصوتيه ، كالمماثلة والمخالفة وأهمية علم الأصوات ومجالاته التطبيقية . 1976 .

15 ـ المصطلحات اللغوية الحديثة فى اللغة العربية . محمد رشاد الحمزاوى حاول صاحب هذا الكتاب وضع منهج يوضح معالم المصطلحات اللغوية ، ومقابلتها بالمصطلحات العالمية آملا أن يكون بادرة طيبة لوضع معجم لغوى يقوم على احياء المصطلحات العربية القديمة اعتمادا على فرضيات ونظريات لا تخلو من طرافة وجدة . العدد 14 . 1977 .

16 ـ الأصوات . للدكتور كمال بشر . القسم الثانى من كتابه علم اللغة العام . تحدث فيه عن علم الأصوات وجوانبه ، وجهاز النطق ، وتصنيف الأصوات ، والحركات ، وهو في ذلك كله يتعرض الى الجانب النظرى ثم يتفرع الى المنحى التطبيقى متجها الى أصوات العربية . 1980م .

17 ـ الفصل الأول من كتاب " المدخل الى علم اللغة " للدكتور رمضان عبد التواب ، تعرض فيه الى كيفية حدوث الصوت ، ودراسة الأصوات الصامتة ، والمتحركة ونظرية الفونيم ، والكتابة ، والمقاطع الصوتية ، والنبر ، والتنغيم . 1980 م .

18 ـ دراسة السمع والكلام ، للدكتور عبد العزيز مصلوح . تناول فيه دراسة فيزيقا الصوت والتشريح الوظيفي لجهاز النطق ، والتحليل النطقي للكلام ، ويعد الكتاب حلقة وصل بين المشتغلين بأمر السمع والكلام على اختلاف تخصصاتهم . 1980م

19 ـ المدخل الى علم الأصوات . دراسة مقارنة للدكتور صلاح الدين صالح حسنين ، تناول فيه صاحبه علم الفونيتيك ، وعلم الفونولوجيا ، وعلم الاصوات التاريخي . 1981 م

20 ـ في البحث الصوتي عند العرب . د : خليل ابراهيم العطية . تحدث فيه عن الصوت اللغوي ، وجهاز النطق ، ومخارج الأصوات وصفاتها ، والنبر والتنغيم والامالة والادغام والمخالفة ، وعيوب النطق ، وغيرها من المواضيع الصوتية التي تختلف في مضمونها عن علم الفونولوجيا أي علم الصوت الوظيفي . 1983 م

21 ـ من وظائف الصوت اللغوي . د . أحمد كشك . وهذا الكتاب محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي عن طريق الدراسة الصوتية . 1983م .

الاصوات في القراءات العربية :

يتضح لنا مما سبق ذكره من مصادر أن التراث اللغوي العربي يحتوي على رصيد ضخم من المباحث الصوتية يمكن أن نتجه فيها اليوم اتجاها حديثا ، فنميز بين ما هو تشريحي يخص الفونتيك ، وبين ما هو وظيفي ، يخص الفونولوجيا .

مثل ذلك أن لغويينا منذ " الخليل بن أحمد " ميزوا الأصوات تشريحا ، الى حروف حلق ، ولهاة ، وأسلة ، ولثة ، وشفة وحروف نطعية ، وذلقية ، وهوائية ، ومطبقة ، وغيرها .

وقد تحدث سيبويه عن الادغام ، وأمدنا بمصطلحات صوتية في التغيرات الصوتية تقابل المماثلة والمخالفة عند المحدثين في باب التأثرات الصوتية وتبادلها .

وجاءت كتب النحو مليئة بالتحليلات الشيقة للتغيرات الصوتية، وخاصة منها تغيرات " الاعلال ، والابدال ، والقلب ، والحذف ، والادغام ، والاسكان ، واقتنع النحاة أن الدراسة الصوتية هي المنطلق الأساس لكل دراسة لغوية .

وقد أثرت كتب القراءات والتجويد البحث الصوتي بدراسة الأصوات العربية وأصنافها ، وأحكامها من حيث الادغام ، والاظهار ، والاخفاء ، والوقف ، والابتداء ، والامالة ، والروم ، والاشمام ، وترقيق الاصوات وتفخيمها .

واذا كان علم الأصوات في بدايته جزءا من أجزاء النحو فانه سرعان ما انزوى عند أهل القراءات والتجويد وزاد فيه هؤلاء الكثير من المباحث مستوحاة من القرآن الكريم .

ولا شك أن تمثل أصوات الحروف وظيفيا اليوم خطوة علمية حديثة . فقد أطلق " تروبتسكي " على البحث الذي يدرس (علم وظائف الصوت) بالنحو والصرف " المورفو — فونولوجيا " وله فيها اجتهادات متنوعة ، اذ أنه عني بتبيين هوية الفونيم كوحدة صوتية ، وظيفية تعمل على اظهار مميزاته بين التقابلات الصوتية .

وقد وضع اللغويون المحدثون ، ولا سيما في الغرب عدة مصطلحات توخيت البحث في الأصوات واللغة وظواهرها وأن الاطلاع عليها يزيد في توضيح الدرس الصوتي مضمونا ، وقد ذكر كثير من هذه المصطلحات في لغة التراث ، وهي متفقة أو مقاربة لما يستعمل مثلها في الدرس الصوتي اليوم . وهذه المصطلحات تقتضي معاودة للتنظيم والتوجيه .

والآن ماتلك المصطلحات ؟ وما الظواهر التي تضمنتها ؟ وماذلك السياق التاريخي الذي اشتمل عليها ؟ فكل ذلك سوف نعرض له في الفصول التالية .

الفصل الثاني

المصطلحات الأساسيّه

اللغة

أ – تعريف اللغة : تحليله ومناقشته .

ان الكلام الذى يجرى بين الناس في شتى شؤون حياتهم وتفاهمهم في مرافق أعمالهم ، وحوارهم في أسواقهم، وخطابهم في محافلهم ، وما يسمعونه بينهم مشافهة أو قراءة في شيء مدون انما هو أحداث اللغة ووقائعها .

فهذا تعيين لمصطلح " اللغة " وتوضيح لما هيتها ، وتحديد لمواضيعها التى يتناولها الدرس اللغوى ، وتوجيه لمناهج البحث فيها .

بيد أن في عرض عدة تعاريف لها يزيد في دقة التعيين ويخرج ما ليس من مواضيعها ، وينفى عنها كل اشكال يتعلق ببعض من عناصرها المحددة .

فاللغة عنصر ثابت في العلم والمعرفة سواء ماكان منها علما دقيقا أو معرفة نسبية أو تفكيرا مجردا .

فباللغة نتحدث عن اللغة ، وتلك هي وظيفة " ماوراء اللغة "

ولكننا باللغة أيضا نعالج حديثنا عن اللغة ، بل اننا باللغة – بعد هذا وذاك – نتحدث عن علاقة الفكر اذ يفكر باللغة حين هي تقول ماتقول . ومن هنا نتحول الى تعريف

مصطلح " لغة " في اللغة والاصطلاح :

مصطلح " لغة " عند اللغويين مأخوذ من :

لغا : اللّغو : واللّغا : السقط ومالا يعتد به من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع .(1)

وقال الأصمعي : " ذلك الشيء لك لغو " ولغا ، ولغوى ، : وهو الشيء الذي لا يعتد به .

وقال الأزهري : واللغة من الأسماء الناقصة ، وأصلها لغوة من لغا اذا تكلم .

ويقال : لغي يلغى بالامر : لهج به .

اللغا : " مص) : الصوت .

واللغة : ج : لغى ، ولغات ، ولغون : الكلام المصطلح عليه بين كل قوم . وربما كانت اللفظة مأخوذة من لفظة "لوغوص" اليونانية ومعناها " كلمة " .

وقد أطلق اللغويون القدماء مصطلح " لغة " على جميع أقسام العلوم العربية ومن هنا نشأت عدة مفاهيم للغة .

---

(1)— مادة (لغ) ابن منظور . لسان العرب . دار لسان العرب . بيروت . مج : 3 ص 378 .

قال ابن يعقوب المغربي فى شرح التلخيص :

" علم متن اللغة أى معرفة أوضاع المفردات اللغوية ويسمى هذا العلم علم المتن لأن المتن هو ظهر الشيء ووسطه وقوته ، وهذا العلم تعلق بذات اللفظة فى معناه (1) .

فمما تدل عليه اللغة — وهو مدلول معروف شائع — مجموعة المفردات التى يتكون منها لسان من الالسنة ، ودراستها هي مايسمى بالفرنسية " Lexicologie " أى علم المفردات والنسبة الى لغة : لغوى ، واللغوى عندهم هو صاحب المعجمات .

2 — المفهوم الناتج من مقابلة لغة بمصطلح " اصطلاح "وهذا التقابل يجرى استعماله بكثرة فى التحديدات اللغوية خصوصا فى تحديد معانى المصطلحات . ففى كل الكتب الفقهية مثلا نعثر على مثل هذه العبارات : الصلاة : لغة هي الدعاء وفى الاصطلاح : هي كذا . . . الخ .
فاللغة بهذا المعنى هي المفردات المتداولة عند جميع الناطقين أى " اللغة غير الفنية " .

3 — كثيرا مايستعمل مصطلح " لغة " فى الكتب النحوية واللغوية بصفة عامة استعمالا حقيقيا يلتفت اليه وهو الذى نجده فى مثل هذه العبارات : " والرفع فى جميع هذا عربي كثير في جميع لغات العرب " (2)

---

(1) — ابن يعقوب . شرح التلخيص . ج : 1 ، ص 146 .

(2) — سيبويه . الكتاب . ج : 1 . ص 110 — 111 .

1- المفهوم الناتج عند مقابلتها لكلمة "(نحو) مقابلة الشيء لقسيمه ، وكذا مقابلتها للعربية (علم اللسان العربي) مقابلة الخاص للعام .

قال ابن يعيش في شرح المفصل :

" المراد بالعربية : اللغة ، وان كانت العربية أعم من اللغة تقع على كل مفرد من كلام العرب والعربية تقع على المفرد والمركب" (1)

وقال الرضى في شرح الكافية :

" ان الواضع اما أن يضع ألفاظا معينة سماعية وتلك التي يحتاج فيها الى علم اللغة ، واما أن تضع قانونا كليا تعرف به الالفاظ فهي قياسية ، وذلك القانون اما أن يعرف به المفردات ... ويحتاج في معرفتها الى علم التصريف ، واما أن يعرف به المركبات القياسية ويحتاج في معرفة بعضها الى التصريف وفي معرفة بعضها الى غيره من علم النحو ." (2)

وقد سمى العلماء المتأخرون " علم اللغة " بهذا المعنى " علم متن اللغة " تمييزا له عن علم العربية الذى هو أعم منه كما رأينا

---

(1) - ابن يعيش . شرح المفصل . ج : 1 . ص 4 .

(2) - الرضى الاستراباذى . شرح الكافية . ج : 1 . ص 5 .

" لغة جيدة "[1] .

لغة أهل الحجاز[2] .

لغة هذيل[3] . وتميم ...... الخ .

ومن البين أن مصطلح " لغة " يدل مهنا على استعمالات لغوية اقليمية أو قبلية تمتاز عن الاستعمال العام بمميزات خاصة هي اذا كيفيات محلية في أداء اللغة العربية (Réalisations locales)

ويطلق مصطلح " لغة " - خلافا لما يظن - على الكيفيات الجزئية (مثل : نصب أهل الحجاز لخبر ما المشبهة بليس) . وقد يدل على مفهوم (لهجة) قليلا لأن قول سيبويه " على لغة هذيل " لا يعني في اللغة فيه لسان هذيل كله بل الأداء الخاص الجزئي الذي هو فتح عين الكلمة مثل في جمع فعلات مع كونها حرف مثل بيضات وجوزات ، وكذلك قالوا : " ان في جزاق ثلاث لغات " أي ثلاث كيفيات في أدائها انفردت بها بعض الجماعات دون بعض . وقد يتفق أن تكون هذه الكيفية الأدائية واسعة المجال وتعتبر مع ذلك " لغة محلية " .

أما في الاصطلاح .

فهناك تعريفات كثيرة " للغة " عرفتها الموسوعات العلمية المختلفة

فهي عند ابن سيدة : " صوت يعبر به عن المعنى المقصود في النفس "[4] .

---

(1) — نفسه . ص 314 .

(2) — نفسه . ص 23، 11، 256 .

(3) — نفسه . ص 11، 191 .

(4) — ابن سيدة . المخصص . ج : 1 . ص 6 .

وعند ابن جني : يطلق مصطلح " لغة " على تلك الأصوات التي يتجهها جهاز النطق في الانسان معبروا بها عما يحس به من حاجات يريد بيانها والايضاح عنها ، هكذا عرفها حين قال :

"أما حدها — أي اللغة — فانها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"(1)

فهذا تعريف دقيق يذكر كثيرا من الجوانب المميزة للغة ويدل على احاطة اللغويين العرب ودراستها في ذلك العصر البعيد وبألفاظه وأجزاء عباراته وتحليلها في الكشف، عما وراء كل منها يمكن أن يوضح ، عناصر الأحداث اللغوية من جهة وفهم اللغويين العرب للغة من جهة ثانية ونجد أن ألفاظه وأجزاء عباراته هي : أصوات ، ويعبر بها كل قوم عن أغراضهم .

وأول أجزاء التعريف هو " أصوات " وذكره يوجب أشياء مهمة منها :

1 — أن الأصوات يميزها السمع ، ولا يكون ذلك الا من طرق الأذن وقد بلغتنا لغتنا اللغة العربية من هذا الطريق ، اذ أخذت عن أهلها سماعا ، ونقلت مشافهة ، ورويت مسندة ، وزاد في ضبطها التقييد والكتابة على نحو تمثله كتابة المصاحف ورسمها ، بل ان في صور أخذ اللغة الأخرى ، حتى المكاتبة ما يشعر بالسماع فيها أو يدعو الى السماع .

2 — وأن أهل هذه اللغة ميزوا بين الأصوات والحروف بل أن تمييزهم هذا شمل تعدد الصوت الواحد ، أو ما يعرف اليوم

---

(1) — ابن جني . الخصائص . ج : 1 ، ص 33 .

بالفونيم ، ذكر ذلك ابن جني وقال : " وليس غرضنا في هذا الكتاب ذكر هذه الحروف مؤلفة ، لأن ذلك كان يقود الى استيعاب جميع اللغة ، وهذا مما يطول جدا ، وليس عليه عقدنا هذا الكتاب وانما الغرض فيه ذكر أحوال الحروف مفردة ، ومنتزعة من أبنية الكلم التي هي مصوغة فيها لما يخصها من القول في أنفسها".(1)

3 — وأن العرب سبقوا الى تحليل لغوي لأصغر وحدات اللغة حمل بعض علماء اللغة والمؤرخين أن يعترفوا بوجود هذا العلم في الأصوات ، وبأنه علم فذ ممتاز ، لم يكن له مثيل في أوروبا طوال العصر الوسيط ، وحمل بعضا آخرين على أن يفترضوا اقتباسا عن حضارات سابقة تتمتع بمفاهيم لغوية متطورة كالحضارة الاغريقية والهندوسية .

وقد أشار " فولرز " الى وجود التشابه بين جهود " بانيني " جهود العرب الصوتية ولا سيما الجيل الأول من لغويي العرب كالخليل مثلا : وأما بروكلمان فقد اعتبر جهد العرب ظاهرة مهمة بذاتها بعد أن تخلى عن وجهة النظر التي ذكرها فولرز .(2)

وثاني اصطلاح في التعريف هو : يعبر بها كل قوم ، وهو يفيد ما يلي :

---

(1) — ابن جني . سر صناعة الاعراب . ج : 2 . ص 50 (مخطوط) .
(2) — أنظر : تاريخ علم اللغة . ص 106 .

1 — وفاء اللغة بحاجة أصحابها في كل ظروف الحياة ومختلف الشؤون ، ذلك أن المتكلمين متفاوتون في بيئاتهم وأعمالهم وثقافتهم وعلمهم ، فهي تمد كل طائفة من هؤلاء بحاجتهم منها ، وتفي بغرضهم في كل عصر ، وتتكيف مع كل تطور ، حتى كأنما هي مرآة الحياة الصادقة تتلاءم فيها كل أبعادها ، وتعكس شخصية المتكلمين بها وسماتهم العقلية والنفسية .

2 — وقدرتها على الأداء والاستمرار فيه بما لها من خصائص تكمن في عناصرها جميعها ، وبما لأصحابها من استعداد لاستعمالها ومعرفة بالتصرف بها ، وبمناهج تعليمها وطرق تدريسها .

3 — واحتواؤها على كل ألوان الأداء ، فلا تؤدي عن العلم وحده ولا عن الفكر وحده ، بل تؤدي عن كل ذلك ، بل عن الحياة في كل ظروفها ، فهي معادل الحياة بكل وقائعها ، ومن ثم صح التعبير عن مستويات اللغة بأنها أحداث .

4 — واستغراق الاستعمال لكل مستوياتها ، اذ تتعرض لكل تأثير في الحياة على شمولها واتساعها ، ولذا فانها عرضة لذلك التأثير ، فيظهر فيها من هذا الجانب أو ذاك ، فهي تكون سجلا لما يقع في الحياة .

5 — وأنها وسيلة ، لا غاية ، لاستيعاب الحياة وحفظ التراث ونقله ذلك أن استعمالها والحرص على أن تكون مؤدية عن حاجة أصحابها موفية بحق الحياة وتطورها ، ينفي عنها أن تكون غاية ، ويجعلها وسيلة ناجحة في كل حال .

6 — وشيوع استعمالها لكل المتكلمين بها دون استثناء ، فهي لكل الأعمار ، ولكل الاختصاصات ، ولكل مستوى ثقافي ، أي أنها رهينة الاستعمال في كل بيئة ، ولدى كل فيئة من المتحدثين بها .

هـ — وثالث اصطلاح في التعريف هو : عن أغراضهم ، وهذا يعني أمورا أهمها :

1 — سعة تلك الأغراض وتطورها ، وهو لا يكاد يحاط به كما أن مضي الزمان يقتضي التطور في مضمون تلك الأغراض ويلزم أصحابها أن يبحثوا عن معادل لها من اللغة ، وهو شيء ملاحظ في اختراع كل ذي صنعة ومهنة ، وتجدد الحياة وحاجاتها ، وتأثير المجتمعات بعضها في بعض ، وميل الانسان الى الابتكار والبحث عن الوسائل وتطويرها بقصد الرفاهية ، وتيسير الحياة وظروفها .

2 — وشمول حاجات المتحدثين بها ، وتنوع تلك الحاجات ، وتعدد بيئاتها وحيوية التعبير عنها ، ومرونة عناصرها في استغراق ذلك كله .

3 — وتجدد هذه الأغراض وصلتها بالحياة ، وتأثيرها في اللغة كلها ومعادلة اللغة ذلك التأثير في قبولها للجديد ، واعطائها له سمته وموضعه منها .

ومما نستنتجه أن تعريف ابن جني تعريف دقيق ذكر فيه كثيرا من الجوانب المميزة للغة ، وأكد على الطبيعة الصوتية للغة ، كما ذكر

وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر ، وذكر أيضا أنها تستخدم في كل مجتمع ولكل قوم لغتهم[1] .

بين اللغة واللسان :

بديهي أن موقف الفرد أمام هذه الأصوات لا يتعدى أحد احتماليين : فاما أن يكون منتجا للأصوات ، واما أن يكون متلقيا لها . وتتم عملية التفاهم بين الأفراد في حدود هذا الاصدار والتلقي ، وبذلك تكون اللغة قد أدت وظيفتها الاجتماعية ، وتنشأ بفضلها حضارة الانسان . ومعنى هذا أن اللغة هي " الكلام " منطوقا أو مسموعا أى أنها تتعامل مع عضوى اللسان والأذن .

ومعلوم هنا أن " اللسان " هو العضو الأساسي في جهاز النطق الانساني ، حتى لتجده يستعمل في كثير من اللغات بمعنى " اللغة " وقد ورد استعماله بهذا المعنى في القرآن الكريم ، قال تعالى : " فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين ، وتنذر به قوما لدا "[2] . وقال : " وانه لتنزيل رب العالمين . . . بلسان عربي مبين "[3] .

وهو أيضا بنفس المعنى في الفرنسية ، فمصطلح (langue) هي : (لسان) وهي (لغة) ، غير أن (اللسان) بمعنى (اللغة) يعتبر من باب

---

(1) — ابن جني . الخصائص . ج : 1 . ص 33 .

(2) — سورة : مريم . الآية : 97 .

(3) — سورة : الشعراء . الآية : 192 و 195 .

الاستعمال المجازي المتفرع من دلالته الحقيقية ، بمعنى العضو المعروف في الفم ، سواء في ذلك العربية والفرنسية ، والأمر لا يختلف في الانجليزية بالنسبة الى كلمة (langue) ، ومن هنا نقول : "علم اللسان" ، و "اللسانيات" ، و "الألسنية" ، بمعنى "علم اللغة العام" .

هذا ويقوم الباحثون المحدثون بتعريفات مختلفة لمصطلح "اللغة" وتؤكد كل هذه التعريفات الحديثة الطبيعة الصوتية للغة ، والوظيفة الاجتماعية للغة ، وتنوع البنية اللغوية من مجتمع انساني لآخر .

يقول ابن خلدون : (اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لساني ناشئة عن القصد لافادة الكلام فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو "اللسان" وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم[1] .

واللغة ملكة في اللسان وكذا الخط صناعة ملكتها في اليد)[2].

وفي تعريف الموسوعتين البريطانية والأمريكية للغة :
"انما هي نظام من الرموز الصوتية ، أو نظام من العلامات الصوتية الاصطلاحية) .

---

(1) — ابن خلدون . المقدمة مراجعة لجنة من العلماء . دار الرائد العربي . بيروت . 1982م . ص 546 .

(2) — نفسه .

وهي عند " فندريس " : السمعية التي تسمى أيضا لغة الكلام أو اللغة الملفوظة "[1] .

وعند " هوايتهد " : " جوهر الفكر وماهيته "[2] .

وعند " كارول " : آية لغة من اللغات هي نظام بنيوي : "structural system" من الأصوات الصوتية المنطوقة ، ومن تتابعات الأصوات التي تستخدم في التعامل بين الأفراد عند مجموعة من البشر ، ويصف الأشياء والأحداث والعمليات التي تتم في البيئة الانسانية .

ونرى أن هذه التعاريف تتفق على أن اللغة أصوات مسموعة ولا شيء آخر سواها ، ولكن لما كانت اللغة منذ عرفها بنو الانسان وسيلة اتصال فيما بينهم مستحيلة على الاحتفاظ بها واثباتها بحالتها المسموعة عند النطق بها ، فقد اجتهد الناس ليحتفظوا بها على نحو ما ، فصوروها مرة ، ورمزوا اليها بأشكال من عالم الأشياء والطبيعة مرة أخرى ، و نقشوا ذلك في الحجر والطين حينا ، وفي العظام والخشب حينا آخر ثم رسموا وكتبوا رموزها التي اصطلحوا عليها بعد زمن طويل في الورق وجعلوا يستعيدون ماهيتها بقراءتها كلما أرادوا ، حتى تم لهم قبيل نيف قرن أن يجدوا فيما جاءت به التقنية الحديثة مثل الاسطوانة أو الا ثم الشريط المسجل ثانيا ، وسيلة يحفظون بها اللغة ، ويثبتون فيها أحداثها ووقائعها .

---

(1) — فندريس . اللغة . ص 32 .

(1) — أنظر : الأعلام ولغة الحضارة . ص 27 .

ولهذا فاللغة هي أصوات مسموعة سواء أكانت مخاطبة أو ما هو من قبلها أم قراءة من نص مدوّن .

واذا كان تعريف " هوايتهد " لا يذكر أنها أصوات ، كما جاء عند المذكورين معه من أصحاب التعاريف فانه يتضمن ذلك ، لكنه اهتم بذكر مضمون اللغة أو أثرها في حياة أصحابها من أنها وسيلة الفكر والتفكير .

وفي تعريف " فندريس " تأكيد على جانب من اللغة بذاته هو الملفوظ والمنطوق ، وتحديد لمضمون هذا الملفوظ اذ جعله أو وصفه بأنه كلام ، و " الكلام هو القول المفيد معنى ولغرض بعينه " ، وكأنما يلتقي تعريفه وتعريف ابن جني أو ابن سيدة .

وأما تعريف الموسوعتين فيوشك أن يشكل بقول : الرموز الصوتية ، والعلامات الصوتية ، لأن أكثر هذه الرموز وكذا العلامات ، وان تضمن ذكرها في التعريف أنها سمعية أو مسموعة ، مقطوعة عن الغرض منها لكنه تعريف يختص بتعريف اللغة ظاهرة دون النظر الى وظيفتها . وهو اتجاه في دراسة اللغة ، ومنهج معروف في تناولها والبحث فيها .

ومن هذا الأخير نتعرض لتعريف اللغة كظاهرة اجتماعية عند أحد أعلام اللسانيات الحديثة وهو العالم السويسري " فرديناد دي سوسير " الذي خلق منهجا شكليا تركيبيا للغة مبنيا على وجهة نظر " دوركايم " في علم الاجتماع ، وفي هذا المنهج يفرق " دي سوسير " بين ثلاثة مصطلحات :

1 ـ اللغة (بالمعنى العام أي بمعنى الظاهرة الاجتماعية ، والتي أطلق عليها : (le langage) .

2 ـ اللغة المحددة (وهي التي تتخذ موضوعا للدراسة كالعربية) والتي أطلق عليها : (La langue) .

3 ـ الكلام (وهو النشاط العضلي الصوتي الفردي) : (1) (La parole) .

ويتساءل في محاضراته عن ماهية اللغة ؟ فيقول :
ولكن ما اللغة ؟ ففي نظرنا لابد من التمييز وعدم الخلط بينها وبين اللسان . وصحيح أن اللغة ليست سوى جزء جوهري محدد منه ، و هي في وقت واحد نتاج اجتماعي لملكة اللسان ، وتواضعات ملحة ولازمة يتبناها الجسم الاجتماعي لتسهيل ممارسة هذه الملكة لدى الأفراد . و اذا ما نظرنا الى اللسان ككل فاننا نجد تعددا في الشكل واختلافا فيه ، وهو ، أي اللسان ، يمتد الى أصعدة مختلفة ، فيزيائية وفيزيولوجية ونفسية وذلك في آن واحد ، كما ينتمي الى المجالين الفردي والاجتماعي وفوق كل ذلك فانه ليصعب تصنيفه في أية فئة من الوقائع البشرية ، وما هذا الا لقصورنا وعجزنا عن معرفة اكتشاف وحدته .

وعلى العكس من ذلك ، فان اللغة كلّ في حدّ ذاتها ، ومبدأ للتصنيف ، وما أن توليها المكان الأول بين وقائع اللسان حتى تدخل ترتيبا

---

(1) ـ فرديناد ده سوسير . محاضرات في الألسنية العامة . ترجمة يوسف غازي . مجيد نصر . دار نعمان للثقافة . لبنان ص 31 .

طبيعيا في مجموعة تتمود على أى تصنيف آخر .[1]

ومما يهمنا من تعريف سوسير للغة ، أن اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية تقع في مجال علم الاجتماع كما تقع في مجال علم اللغة ، ولها جانبان من جوانب الدراسة أحد هما أطلق عليه مصطلح : " اللغة المعينة " والثاني مصطلح : " الكلام " .

يقول : (تشتمل دراسة اللغة على ناحيتين احداهما جوهرية موضوعها اللغة المعينة التي هي اجتماعية في جوهرها ومستقلة عن الفرد وهذه الناحية نفسية فحسب ، أما الأخرى فتتناول الدورة الفردية للغة باعتبارها موضوعا لها أو بعبارة أخرى الكلام المكون من أصوات وهذه نفسية وعضوية معا) .[2]

واللغة المعينة في نظره جزء من الوعي الاجتماعي (أو العقل الجمعي كما يسميه بعض الباحثين) .[3] (Conscience collective) .
وهذا العقل الجمعي انما يوصف به الكائن الاجتماعي الذى قال به دوركايم ، وهذا الكائن الاجتماعي هو ملخص للمجتمع .

---

(1) — نفسه . ص 21 .

(2) — سوسير . محاضرات في الألسنية العامة . ص 21 .

(3) — وايتني . WHITNEY راجع : محاضرات في الألسنية العامة . ص 21 .

وأمام هذه التعاريف المتعددة للغة قديما وحديثا تقول : ان اللغة أكثر من مجموعة أصوات ، وأكثر من أن تكون أداة للفكر أو تعبيرا عن عاطفة اللغة جزء من كياننا البسيكولوجي الروحي ، وهي عملية فيزيائية اجتماعية بسيكولوجية - كما قال سوسير - على غاية من التعقيد ، وتتناول أربعة أمور لتمام العملية المعقدة :

أ - متكلم .
ب - مخاطب .
ج - أشياء أو فكرة يتكلم عنهما .
د - كلمات أو مفردات (أو اشارات ملامحية أو يدوية) .

وهي مجموعة فونيمات لها في الذهن صور معينة .

وقد نطالب بتعريف دقيق فنقول :

اللغة ظاهرة بسيكولوجية اجتماعية ثقافية مكتسبة (1) ، لا صفة بيولوجية (2) ، ملازمة للفرد ، تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق الاختيار معاني مقررة في الذهن ، وبهذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة

---

(1) - اذا فصم طفل عن المجتمع فانه لا يتكلم بل ينطق بأصوات غير لغوية كسائر الحيوانات وقد يكون لها معان . وكذلك اذا نشأ في محيط غير محيطه فانه يكتسب لغة القوم الذين يعايشهم .

(2) - ان أعضاء النطق كالحلق ، واللسان ، والرئتين ، والحنجرة ، وغيرها كثير ليست للنطق أولا أى أن وظيفتها الأولى هي غير النطق .

ما أن نتفاهم و نتفاعل .

و باللغة فقط صار الانسان انسانا ، و باللغة فقط تطورت الحضارات و تقدم العمران و بلغ العقل الانساني ذروته . فدرس اللغة درسا علميا فلسفيا ، درس في الانسان وفكره . هذا من جهة و من جهة أخرى نقول أن جميع التعاريف المذكورة و غير المذكورة للغة تجعلنا نقف عند مصطلحات لوصف مستويات الاستخدام اللغوي المختلفة فنطلق :

1 — مصطلح " لغة القرآن " بمعنى : أسلوب
2 — مصطلح " لغة الحيوان " و " لغة الطيور " بمعنى غير لغوي تقليدي .
3 — و"لغة الصعيد" بمعنى " لهجة " .
4 — " اللغة الأم (Langue parenté)(1) بمعنى اللغة الأصلية و هي اللغة التي ينشئها اللغوي من اعادة فرضية لبناء أصل لمجموعة مترابطة من اللغات و هي اما معروفة مثل " اللغة اللاتينية " للغات الرومانية و اما مفترضة مثل " اللغة السامية " الأم للغات السامية " .

5 — اللغة البشلمارية : " Bichlamar " احدى اللغات المهينة و هي خليط " Langue mixte " من الانجليزية و لهجات الملايو

---

(1) — مجمع المصطلحات العلمية و الفنية . لمجمع اللغة بالقاهرة . مج : 10 . ص . 137 .

(2) — نفسه . ص 139 .

تستعمل فـي بعض جـزر أند ونوسيا و ماليزيا لأغـراض تجاريـة .

6 ـ اللغـات الثابتـة الجـذور : (Langue atomique radicale langage) (1)

هـي التـي تتكـون مـن أصـول لا تتغيـر صورهـا و لا تدخلهـا لواحـق ولا سوابـق ولا تقبـل الاشتقـاق ولا التصريـف وتحـدد وظيفـة الكلمـة وموضعهـا مـن الجملـة وأوضـح مثـل لذلك اللغـة الصينيـة .

7 ـ لغـة تحليليـة : (La langue analytique) (2)

مـن تصنيـف اللغـات مـن الناحيـة المـورفولوجيـة تقسـم اللغـات الـى " تحليليـة " و " تركيبـة " .

التحليليـة كاللغـة الصينيـة الحديثـة حيث كـل كلمـة مـن كلماتهـا "مورفيـم " أحـادى المقطـع أو المقاطـع . أو كلمـة " مركبـة " أو عبارة فـي كلمـة ، مـن هنـا نقـول :

اللغـة التحليليـة : لغـة يعبـر فيهـا عـن العلاقـات النحـوية بأدوات مستقلة (3) مثـال ذلك : " أعطيتكـم " و " أعطيتـك ايـاه " ومـن أوضـح أمثلتهـا فـي اللغـات الأوروبيـة اللغـة الانجليزية .

---

(1) ـ نفسـه . مج : 3 ص 114 .

(2) ـ محمـود السعـران . علـم اللغـة . ص 395 .

(3) ـ مجمـع المصطلحـات العلميـة والفنيـة . لمجمـع اللغة بالقاهـرة . مج : 9 ص 109 .

اللغة الاندماجية : (Langue agglomérante)[1]

لغة تندمج فيها العناصر التعبيرية اندماجا تاما بحيث تتكون منها عبارة واحدة لا انفصال بين أجزائها مثل ما في لغات الأورال .

لغة المراسيم[2] : (Langue des decrets officiels)

التي يصدرها رئيس الدولة في الشؤون السياسية كتكليف وزارة بالحكم أو اقالة وزارة أو افتتاح البرلمان أو تأجيله أو تعطيله .

وقد تكون اللغة الرسمية هي اللغة الوطنية كما هي الحال في كثير من دول العالم ، وقد تكون امتدادا للغة الرسمية في عهد الاستعمار وهذه الحال في كثير من الدول الجديدة في افريقيا وآسيا .

لغات تركيبية[3] : (Langue synthétique) مثل لغة الاسكيمو

اللغات الاشتقاقية : (Langue anal[...]ent s) لغات خصائصها العامة

---

(1) — نفسه ، ص 107 .

(2) — محمود السعران ، اللغة والمجتمع ، رأى ومنهج ، ص 111 .

(3) — محمود السعران ، علم اللغة ، ص 395 .

(4) — مجمع المصطلحات العلمية والفنية ، مج : 9 ، ص 108 .

أن ترتبط فيها الدلالات الصرفية بأصول الكلمات ارتباطا يؤثر في معناها مثل لغات الهند وأوروبية واللغات السامية .

اللغات التصريفية : (Langue Elexionnelles)(1)

اللغة الصغيرة : (La langue enfantines)(2)

اللغة الخاصة بالطفل وفي هذه الفترة يكون الطفل من الوجهة اللغوية متفردا .

لغة مصنوعة : (langue artificelle)(3)

ولها صورتان :

1 — لغة وضعتها جماعة من الناس لاستعمالها لغرض كالتعمية أو تمييزهم عن غيرهم .

2— لغة توضع بقصد استعمالها عالميا بين الشعوب على اختلاف لغاتها مثل : " الاسبرنتو " .

اللغة التصويرية :(langue conceptionnelles)(4)

التي ترقى تدريجيا نحو مستوى التحديد والتعميم وفي هذه المرحلة التي تتحول عندها اللغة

---

(1) — نفسه . مج : 10 . ص 135 .

(2) — محمود السعران . اللغة والمجتمع . رأى ومنهج . ص 86 .

(3) — مجمع المصطلحات العلمية والفنية . مج : 9 . ص 112 .

(4) — محمود السعران . اللغة والمجتمع . رأى ومنهج . ص 84 .

من مستواها الانفعالي البحث الى مستواها التصويرى ملمس ما بين العوامل الفيسيولوجية والنفسية من تظافر وثيق .

اللغة العازلة : (Langues isolantes)

ومن هذه اللغات الصينية وهي التي لا تستعمل الأشكال المقيدة أو المحددة وذلك مثل " y " في كلمة (Cheguby) وما اليها ، وهي تدخل على الكلمة فتعطيها شكلا خاصا ومعنى خاصا ولكنها لا توجد في نفس اللغة مستقلة بمعنى مستقل .(1)

اللغة المعينة (2) :

وهي التي تؤخذ موضوعا للدراسة كالعربية .

لغة الأغاني والأناشيد (3) :

وهي لغات مرتبطة بثورات معينة فنقول مثلا بأن النشأة الحقيقية للأناشيد الجزائرية الوطنية مرتبطة بثورة التحرير .

اللغة الكلاسيكية (4) : (langue classique)

كل لغة ذات تراث أدبي في أزهى عصورها القديمة والعربية الكلاسيكية هي التي حدد العلماء عصورها بعصور الاحتجاج .

---

(1) — محمود السعران . علم اللغة . ص 395 .
(2) — تمام حسان . مناهج البحث في اللغة . ص 31 .
(3) — محمود السعران . علم اللغة . ص 112 .
(4) — مجموعة المصطلحات العلمية والفنية . لمجمع اللغة بالقاهرة . مج : 10 . ص 135 .

لغـــات لصقيـــة : (Langue agglutinante) (1)

مثـل اللغـة التركيـة وهـي اللغـات التـي تكـون فيهـا الأشكـال المقيـدة يلـي أحـدهـا الآخـر ليس غيـر . أى التـي تـؤدى بهـا الـروابـط الصـرفيـة بوسـاطـة زوائـد تضـاف الـى الأصـل اللغـوى كمـا فـي اللغـات الآجـوريـة والبولونيـة والتركيـة .

لغـــة الانتخابـات : (langues des élections) (2)

اللغـة المستعملـة فـي الحمـلات الانتخابيـة تحـريضـا علـى انتخـاب مـرشـح وتنفيـرا مـن انتخـاب سـواه مـع بيان اختـلافهـا باختـلاف طبقـة الناخبيـن والمرشحيـن ، واللغـة المتصلة بالتقسيـم الادارى للـدوائـر الانتخابيـة وباعطـاء الأصـوات و " فـرزهـا " واعـلان نتيجـة الانتخـاب ، ولغـة القـوانيـن التـي تصـدرهـا الدولة فيمـا يتعلـق بهـذا الموضـوع . ولغـة الصحف والمجـلات والاذاعة فـي هـذا الشـأن وتعليقـات الجماهيـر علـى كـل أولئـك .

اللغـــات النظـاميـــة : (Langue analogique) (3)

وهـي التـي تلتـزم عـادة ترتيبـا نظـاميـا ثابتـا فـي تركيـب جملها .

اللغـة الهجينـــة : (langue mixte) (4)

وتـوصـف اللغـة التـي تستخدم فـي المجـالات التعليميـة والثقافيـة والتقنيـة بأنهـا :

---

(1) ـ نفســه . مج : 9 . ص 107 .

(2) ـ محمـود السعـران . اللغـة والمجتمـع . ص 110 .

(3) ـ مجمـع المصطلحـات العلميـة والفنيـة . القـاهـرة . مج : 9 . ص 109 .

(4) ـ نفســه . مج : 3 . ص 139 .

لغـة التعليـم : (Educational langage)

أو لغـة الثقـافـة (Cultural langage)

أو اللغـة التقنيـة (Technical langage) .

وكثيـرا مـاتكـون اللغـة الرسميـة لغـة التقـابـل في هـذه المجـالات ، و لكـن عـددا كبيـرا مـن الجماعـات اللغـويـة فـي العـالـم المعاصـر تتعامـل فـي المجـالات التقنيـة بلغـة تختلـف عـن اللغـة الرسميـة التـي نص عليهـا الدستـور فتدريـس العلـوم والهندسـة والطـب يتـم فـي أكثـر الجامعـات العربيـة باللغـة الأنكليـزيـة أو الفرنسـيـة مـع أن دساتيـر هـذه الدول تنص علـى كـون اللغـة الرسميـة هـي اللغـة العربيـة .

اللغـة المقـدسـة : فتستعمـل عـادة فـي الطقـوس الدينيـة مثـل اللغـة اللاتينيـة فـي المناطـق الكاثوليكيـة الرومانيـة . ومثـل هـذه اللغـة تـؤثـر بعمـق فـي اللغـة المتكلـة بهـذه المناطـق ، حيث يظهـر مفعولهـا فـي شكـل كلمـات وصيـغ وتعبيـرات كثيـرة . واللغـة العربيـة باعتبـارهـا لغـة القـرآن المقـدسـة تتكلـم وتفهـم علـى شكـل واسـع فـي البـلاد المسلمـة التـي لا تتكلـم اللغـة العربيـة مثـل ايـران وباكستـان .(1)

اللغـة الوسـط : هـي تلـك الصيغـة التـي تحـوى مـلامح مـن لهجـات عـدة متصلـة ، والتـي تبـرز فـي النهـايـة كلغـة بلديـة ورسميـة .

---

(1) ـ مـاريـوبـاى . أسـس علـم اللغـة . ص 186 .

اللغة الأساسية : مثل اللغة الانكليزية التي حول فيها تقليل عدد المفردات عن طريق الاستعانة بالعبارات المفسرة المرادفة واستخدام التجمعات الكلامية .

اللغة الأولية : يشير هذا المصطلح الى اللغة التي وضعت من غير إشارة ، وغير مماثلة لأى لغة موجودة بالفعل .

اللغة الدارجة : يتناول هذا المصطلح اللغة التي تتمتع بصفة التفاهم المشترك أو اللغة العامة التي يستعملها الى درجة كبيرة أو صغيرة ، كل المنتمين الى شتى الطبقات الاجتماعية .(1)

---

(1) ــ أنظر :

1 ــ ماريوباى . أسس علم اللغة . ترجمة وتعليق الدكتور أحمد مختار عمر . عالم الكتب ، القاهرة . ط : 2 . 1403هـ ــ 1983م ص . 195 .

3 — اللغة وعلومها في التراث العربي :

يحاول عدد من الدارسين اللغويين الاستمرار في اصطناع مصطلح " فقه اللغة " العربي القديم ، أو تطوير المقصود من اليوم بمبدأ يتلاءم مع الحال المتطورة ، والحال التي عليها العلوم اللغوية وقد كان ما يسمى ب " الفيلولوجيا " عند الغربيين القدامى يقابل مصطلح " فقه اللغة " ، وهو علم كان يدرس اللغة في أدبها ونصوصها ، ومفرداتها دراسة نقدية ، وتاريخية ، ومقارنة .

في حين أن الواجب يحتم علينا أن ننوه اليوم ، أن الغربيين المحدثين وخاصة بعد (دي سوسير) يطلقون على العلوم والدراسات اللغوية الحديثة المختلفة (مصطلحات) مغايرة ، وجديدة مثل : " مصطلح علم اللغة العام " ، و " علم اللغة المقارن " ، و " تاريخ اللغات " ..

ونثبت فيما يلي آراء (علي عبد الواحد وافي[1]) فيما يسميه " بعلم اللغة " و " فقه اللغة " قال :

... عرضنا في كتابنا (علم اللغة) لدراسة النواميس العامة التي تسير عليها اللغات الانسانية ، في نشأتها وانتقالها من السلف الى الخلف ، وتكون مجموعاتها ، وفصائلها ، وصراعها بعضها مع بعض ، وانشعاب الأصل الواحد منها الى شعب وفروع وتطورها من مختلف الوجوه .

---

(1) — علي عبد الواحد وافي . علم اللغة . دار نهضة مصر للطبع والنشر . ص . 15 .

ثم يقول : ان " فقه اللغة " هو بمثابة الجزء الثاني لعلم اللغة وأنه يدرس على ضوء الحقائق العامة التي لعلم اللغة فصيلة من فصائل اللغات الانسانية ، فهي فصيلة اللغات السامية ثم اللغة العربية بالذات فيها .

وينص (علي عبد الواحد وافي) في كتابه — علم اللغة — على أن هذا العلم (يضم ثلاثة موضوعات تمثل أهم مشكلات اللغات وتنطوي دراستها على أهم ما تتناول البحوث ، وهي نشأة اللغة عند الانسان و نشأة اللغة عند الطفل ثم حياة اللغة ...

هذا الاتجاه العلمي الاجتماعي ، النفسي في دراسة اللغة يجوز مبدئيا أن نطلق عليه مصطلح (علم اللغة) شريطة أن يظل مجرد بحث علمي اجتماعي ، أو نفسي ، وألا يظل بعيدا عن اللغة نفسها وأحوال مفرداتها ومدوناتها المختلفة .

والفصل ان كتابي (علم اللغة) و (فقه اللغة) لعلي عبد الواحد يضمان جداول موسوعية ، وتاريخية عن تطور المعارف والمناهج اللغوية عند العرب ، والافرنج ، كما يحويان على استطرادات الفيلولوجيا ، و الأساليب ، والبلاغة ... الا أن (علوم اللغة) اليوم تعدت هذا النوع من الدراسة اللغوية ، وآثرت عليه التخصص في بحث البنية اللغوية الواحدة في اللغة الواحدة ، وما يتعلق بها كلاميا ، ودلاليا ...

ومع ذلك ، نسجل أن (علي عبد الواحد وافي) رغم وضوح موقفه الاجتماعي ، والنفسي من ظواهر اللغة ، يرفض دعوة (دي سوسير) .

الى اجتماعية اللغة ، وانكاره أن يكون لغير الظواهر الاجتماعية أثر في نشوئها ، وحياتها ...

وموقفه في هذا يشبه موقف أستاذه (هنري دي لا كروا) الذي أفرد الفصل الثاني من كتابه : "اللغة والفكر" للرد على دي سوسير كما ردّ عليه بعض اللغويين مثل : (دوزا) في كتابه "فلسفة اللغة" .

انّ مصطلح "اللغة" في نظر (علي عبد الواحد وافي) تخضع لسنن الظواهر المادية والمعنوية التي للبيئة ، والمحيط والظروف النفسية والحضارية ، والتاريخية المختلفة ، ويتسع مصطلح (علم اللغة) في نظره ، لبحث ذلك كله ومع ذلك فقد خص اجتماعية اللغة بكتاب هو (اللغة والمجتمع) مصر 1946 ، كما درس نشأة اللغة عند الانسان و الطفل في كتاب يحمل العنوان نفسه مصر 1947 .

ب — الكلام :

تعريفه في اللغة والاصطلاح :

يحمل الكلام عند اللغويين معان كثيرة منها :

أ — قال ابن سيدة : الكلام : القول ، المعروف ، وقيل الكلام ما كان مكتفيا بنفسه وهو الجملة ، والقول ما لم يكن مكتفيا بنفسه وهو الجزء من الجملة .

ب — وقال سيبويه : اعلم ان قلت انما وقعت في الكلام على أن يحكى بها ما كان كلاما لا قولا ، ومن أدل الدليل على الفرق بين الكلام والقول اجماع الناس على أن يقولوا القرآن كلام الله ولا يقولوا القرآن قول الله ، وذلك أن هذا موضع ضيق متحجر لا يمكن تحريفه ولا يسوغ تبديل شيء من حروفه فعبر لذلك عنه بالكلام الذى لا يكون الا أصواتا تامة مفيدة .(1)

وقال الجوهرى : الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير والكلم يكون أقل من ثلاث كلمات لأنه جمع كلمة مثل : (نبق ، ونبق) ولهذا قال سيبويه : هذا باب علم ما الكلم من العربية ، ولم يقل ما الكلام لأنه أراد ثلاثة أشياء : الاسم ، والفعل ، والحرف .(2)

---

(1) — مادة . (ك . ل . م) . ابن منظور . لسان العرب . مج : 3 . (ق . ى) ص 290 — 291 .

(2) — مادة . (ك . ل . م) . الصحاح . تاج اللغة وصحاح العربية . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار . ج : 5 . ص 2023 .

فجاء بما لا يكون الا جمعا وترك ما يمكن أن يقع على الواحد الجماعة .

د — دلالته على ما يتكون في العقل قبل أن ينطق به اللسان أو يجري به القلم ومن ذلك قول الأخطل :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

و — دلالته على الخط والرموز الكتابية كقول العرب (القلم أحد اللسانين)

ز — دلالته على الرمز كما في قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام (قال رب اجعل لي آية ، قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا وأذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار .[(1)]

فاستثناء الرمز بللا دليل على أن الرمز من مدلولات الكلام اللغوي والأصل أن يكون الاستثناء متصلا .

أما الكلام في اصطلاح النحويين :

فهو عبارة عن " اللفظ المفيد فائدة تامة يحسن السكوت عليها "

قال ابن مالك : كلامنا لفظ مفيد : كا ستقم

واسم وفعل ، ثم حرف ، الكلم

وعند ابن هشام : (هو قول دال على نسبة اسنادية)

وقوله دال على نسبة اسنادية معناه أنه فصل أول مخرج للمفردات ك " زيد " و " عمرو " و " قام " و " هل " فانها لا تدل على نسبة ...

(1) — سورة : آل عمران ، آية . 41 .

(2) — شرح ابن عقيل . دار التراث . القاهرة . ط : 20 . ج : 1 ص 13 .

(1)
(اسنادية) فصل مخرج ما بقي ممنا عدا الكلام وهي المركبات التي لا تفيد مع اشتمالها على نسبة لكونها غير اسنادية . وأسمي — بالاسنادية — نسبة الشيء الى الشيء على سبيل الاستقلال . فخرج بذلك النسب الناقصة كنسبة المضاف للمضاف اليه . ك (غلام زيد) والنعت للمنعوت ك (زيد الخياط) اذا لم تقدره خبرا والعامل للمعمول نحو (ضاربا زيد) فهذا حده ومقتضاه أن الكلام لا يختص بالمفيد لأن الحد صادق على كل جملتي الشرط والجزاء ، والجملة الواقعة صلة ، مع أن كلا من ذلك غير مفيد و قد وافق ابن هشام ما جاء في المفصل من تعريف للكلام اذ يقول : (الكلام هو المركب من كلمتين أسندت احداهما للأخرى ، وذلك لا يتأتى الا في اسمين أو فعل أو اسم وتسمى جملة)[2] .

وابن الحاجب في كافيته : (الكلام ما تضمن كلمتين بالاسناد ولا يتأتى ذلك الا في اسمين أو فعل واسم)[3] .

وذهب جماعة الى أن شرط الكلام الافادة ، وهو اختيار الجزولي وابن مالك وابن معط والحريري وغيرهم[4] .

أما الكلم ، وهو ما تركب من ثلاث كلمات فأكثر ، سواء أكان لها معنى مفيدا ، أم لم يكن ، فالكلم المفيد مثل : البترول ، ثورة الجزائر ، و غير المفيد نحو : ان اجتهدت . . .

---

(1) — ابن هشام . شرح اللمحة البدرية في علم العربية . دراسة وتحقيق الدكتور هادي نهر . ج : 1 . ص 229 .
(2) — ابن يعيش . شرح المفصل . (بيروت) . عالم الكتب . المجلد : 1 . ص 20 (د . ت) .
(3) — ابن الحاجب . الكافية . (ط : 1) . 1303 هـ . ص 2 .
(4) — ابن هشام . شرح اللمحة البدرية في علم العربية . ص 231 .

أما مصطلح (الكلام) بمفهوم فلسفي : (فهو وسيلة لبلوغ القصد غايته من الجماعة) ولهذا السبب اعتبر اخوان الصفاء أنه " ما من أحد الا وهو اذا عبر عما في نفسه بلغ غرضه في افهام السامع عنه ما يريده على حسب استطاعته وما تساعده عليه الآلته (1)).

ويرى " هيدجر " أن الكلام هو أداة الافصاح عن الفهم أي عن المعنى ويعود في نظره الى قابلية الآنية للمحادثة ، والاخبار ... وذلك بفعل أن أساس (الوجود — مع — الآخرين) هو : الحوار (2) ،

ولا يفصل " هوسرل " (تحليل الكلام) عن تحليل الفكرة ... أن تحليل الفكرة في نظره هو تحليل الكلام تحليلا نحويا منطقيا ، أي تحليل بنيات اللغة ... وأما (الدلالات) فهي شيء ناتج عن أفعال الفكر ، وعلاقته بموضوعاته ، وهي وقائع لكل من الكلام والفكرة (3) ....

ومن هنا نجد تعريف (لاروس القرن العشرين) للكلام : " أنه كل وسيلة للتعبير عن الأفكار " .

وعند " جسبيرسن " :

الكلام : "هو كل وسيلة من وسائل الابلاغ بين الأحياء" وفي دائرة المعارف البريطانية : (هو كل نظام دلائل ، قادر على أن يستعمل وسيلة ابلاغ (4)).

---

(1) — الرسائل ، ج : 3 ، ص 65 .
(2) — عدنان ابن ذريل ، اللغة والأسلوب ، ص 19 .
(3) — نفسه .
(4) — لالند ، المصطلح التقني النقدي للفلسفة ، 1926 .

وفي معجم المصطلحات الألسنية : الكلام هو نظام دلائل صالح لأن يستعمل وسيلة ابلاغ بين الأفراد .

وتحديد سوسير (للكلام) لا يبتعد كثيرا عن هذا الأنموذج التحديدي اللغة نظام دلائل : متميزة تقابل أفكارا متميزة .

اذا ينتج عن هذا النوع من التحديد كما أشار "فندريس" أن كل الأعضاء يمكن أن تصلح لخلق كلام . وقد استنتج من ذلك " جيوليوبرتولسي " محقا : أن " الايمائية " كلام وأن الضحك كلام ، وأن الدموع كلام . ففي هذا المنحدر يصبح كل من الرسم والنحت والموسيقى كلاما والسينما كلاما كذلك الشأن في كل المشاهد عوز مصارعة ، مباراة كرة القدم ، قانون الطرقات ، الاشارات البحرية ، غناء العصافير ، صياح القردة ، رقصة النحل وفي النهاية كل شيء يصبح دليلا ، وكل شيء يصبح كلاما .
لكن أمام هذه الأنماط الكلامية يجب أن نقرر ما كل شيء بكلام . واذا كانت الألسنية " الدراسة العلمية للكلام " فلا بد من أن يتفق أولا على ما يسمى كلاما .

يقول جاكبسون [1] : ان الكلام يجب أن يدرس من خلال وظائفه المتنوعة ولمعرفة هذه الوظائف يجب أن نلقي نظرة وجيزة على العوامل المقومة لكل أداء لساني أو عملية تبليغ لفظية . هناك مخاطب يرسل خطابا الى مخاطب ولكي يكون هذا الخطاب فعاليا لابد أن يكون محالا على سياق ، وهذا السياق يجب أن يكون مدركا من المخاطب ويكون اما لفظيا أو قابلا للصياغة اللفظية . ثم ان الخطاب يقتضي وجود قانون أو وضع يتفق عليه اتفاقا كليا

---

(1) — رسائل في اللسانيات العامة . ص . 213 .

أو جزئيا كل من المخاطب والمخاطب أي بعبارة أخرى كل من واضع المصطلح ومفسره .. وأخيرا يقتضي الخطاب وجود اتصال يتمثل في قناة طبيعية وارتباط نفسي بين المرسل والمرسل اليه هذا الاتصال الذي يسمح ببث الخطاب وابقائه متواصلا .

وهذه العوامل التي لا يمكن بحال تعويضها بغيرها تمثلها صوريا كالآتي :

السياق

المتكلم — — — — — — — الخطاب — — — — — — — المخاطب

الاتصال

الوضع

والجاحظ ينظر الى عملية الكلام تقريبا على هذا الشكل . وقد تصور مفهوم هذه العملية من خلال مفهوم ابلاغ الرسالة الدينية هذا المفهوم الذي يتلخص في بعدين أساسيين هما :

أولا : فهم الرسالة الدينية كما نزلت وكما اقتضت حكمة الله أن تكون .

ثانيا : تبليغها أو افهامها للآخرين بالوسائل البشرية المقتصرة على الكلام

ويتبلور البعد الأول في مفهوم البيان والبعد الثاني في مفهوم التبيين ويصبح مدار الكلام على البيان والتبيين ، وعلى الفهم والتفهيم .

والجاحظ يلحّ على أن وظيفة الكلام في المجتمع الانساني هي ربط حبل الأسباب بين أفراده مما يجعله مداية التعبير عن (حقائق حاجاتهم) .(1)

---

(1) — الجاحظ . الحيوان . ج : 1 ص . 44 .

غير أن التحليل الاجتماعي لتعلق الظاهرة اللغوية بالانسان يفضي الى اقامة معادلة توجد بين الكلام والانسان ثم بين الفرد والجماعة . وهي معادلة تطرد وتنعكس اذ تنبني على أنّ سبب وجود مؤسسة اللغة هو التكافل الاجتماعي مثلما أن سبب تعايش الأفراد في خلايا جماعية انما هو الكلام ذاته .. (فلولا حاجة الناس الى المعاني والى التعاون والترافد لما احتاجوا الى الأسماء)[1] كما يقرر الجاحظ .

بين اللغة والكلام :

لقد جرى اصطلاح علم اللغة الحديث على التفرقة بين "اللغة "و"اللسان " و " الكلام " . ولعلّ سوسير[2] أول من يفرق بينها حيث وضع لكل منها كلمة مستقلة تدلّ على اطار هذا العلم ، فهو يرى أن هنالك كيانا عاما يضم النشاط اللغوي الانساني في صورة ثقافة منطوقة و مكتوبة معاصرة أو متوارثة ، وباختصار : كلّ ما يمكن أن يدخل في نطاق النشاط اللغوي من رمز صوتي أو كتابي أو اشارة أو اصطلاح ، فخص هذا النشاط بكلمة (langage) أي (اللغة) ، ثم ينظر الى اللغة المعينة بطريقتين فاما أن تكون في صورة منظمة ذات قواعد و قوانين ، و ذات وجود اجتماعي فيطلق عليها (langue) و يقابلها في العربية (اللسان) ، واما أن تكون في صورة ممارسة فردية منطوقة ، على أي مستوى ، و يطلق عليها : (Parole) و هو بالعربية (الكلام) .

---

(1) — نفسه ، ج : 5 ، ص ، 201 .

(2) — سوسير ، محاضرات في الألسنية العامة ، ص ، 21 .

وللسيوطي ، كلام وجيز يفرق بين اللغة والكلام ، ولست أدري ان السيوطي واعيا بهذا التفريق أولا ، حيث يقول : "فان قال قائل ، فقد يقع البيان بغير اللسان العربي ، لأن كل من أفهم بكلامه على شروط لغته فقد بين ، قيل له : ان كنت تريد أن المتكلم بغير العربية قد يعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده ، فهذا أخس مراتب البيان لأن الأبكم قد يدل باشارات وحركات له على أكثر مراده ثم لا يسمى متكلما فضلا عن أن يسمى بيّنا بليغا".(1)

وهنا نقطتان مهمتان عن التفريق : أولهما أنّ المتكلم انما يتكلم على شروط لغة معينة بمعنى أنه يأتي بكلامه مصوغا بحسب النظم الصوتية والصرفية والنحوية من مفردات هذه اللغة) ومادتها ، فالكلام كما يبدو في تلاوه نشاط عضلي مصوغ من رموز معينة موضوعة بحسب قواعد معينة هي اللغة .

وثانيهما : أن الذي يستعمل الاشارة يستعمل اللغة لا الكلام .

وأما رأي ابن جني في اللغة : (أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)(2) فهذا التعريف — المار الذكر — في الواقع للكلام ، لا للغة .

وممن فرّق بين اللغة والكلام من علماء اللغة (السير ألان جاردنر)

---

(1) — السيوطي ، المزهر ، ج : 1 ، ص ، 137 .

(2) — ابن جني ، الخصائص ، ص ، 33 .

يقول : ان عقل الانسان في ساعات يقضته لا يستريح بل يفكر دائما ، و لكن الانسان لا يتكلم دائما بل يفكر وحيدا و ربما فكر دون كلام و هو في جماعة . و في الكلام العادى لا بد من وجود شخص آخر على الأقل و لا يستلزم حدوث الكلام وجود الآخرين ، و يتطلب عناصر ثلاثة : بجانب الكلمات ، هي المتكلم ، و السامع ، و موضوع الكلام .

فالكلام اذا نشاط انساني تثيره عوامل من الخارج هذه العوامل هي نولة الشيء المقصود و يمكن اطلاقه على عمليات النطق التي يقوم بها المتكلّم متطورا اليها من زاوية شبيهة بزاوية السامع ، و خصائص الكلام تتلخص في أنه يتصل بظروف خاصة و سامع و شيء مقصود : و أنه نتيجة لارادة المتكلم الذى تبدى أعماله النطقية علامات الكلمات المستعملة و تمنحها حيوية لم تكن لها في الظروف الأخرى .

أما اللغة فاصطلاح جمعي تضم دائرتها وحدات ذهنية يستطيع المتكلم بمساعدتها أن يستعمل علامات الكلمات ، و لكن المعرفة بهذه الوحدات الذهنية ليست بنت اليوم أو الأمس ، بل ترجع الى أيام الطفولة فمحصولنا من الكلمات يتزايد يوما بعد يوم ، و يزداد معنى بعض الكلمات سعة عما كان .

و لاستعمال مصطلح " الكلام " في التراث شيوعا ربما اتضح في الأمثلة التالية :

علم الكلام : و هو يقابل مصطلح (علم اللغة) غير أن المصطلح الأول قد اكتسب خلال التاريخ معنى مغايرا لما يفهم منه ابتداء اذ يراد به (علم الجدل) حول بعض القضايا الدينية .

القرآن كلام الله مقابل مصطلح "ايحاء الله "

كلام في كلام : شيء لا يوثق بصحته .

كلام فارغ : هواء .

كلام الراديو : أصوات صادرة عن الجهاز مصدرها كلام في مكان آخر وربما كان في وقت آخر .

كلام جرائد : مقالة مكتوبة .

كلام نسوان : تفكير غير متزن .

كلام الأنكليز : لغة الأنكليز .

كلام بوابورة : أصوات مختلطة .(1)

الكلام : وهو النشاط العضلي الصوتي الفردي . (La pa...)

الكلام الحرام : (التابو) : (Le tabou) : ان كثير من المجتمعات تشترك في تحريم كلمات وعبارات متعلقة بموضوعات معينة كالموت والأمراض الخطيرة ، والخبيثة ، والأرواح ولا سيما الشريرة وبعض الوظائف الفسيولوجية للجسم الانساني وشيء مما يتصل بها من أعضاء .

(1) — تمام حسان . مناهج البحث في اللغة . ص . 30 .

والكلام على الكلام صعب لأن الكلام على الأمور المعتمد فيها على صور الأمور وشكولها التي تنقسم بين المعقول وبين ما يكون بالحس ممكن . وفضاء هذا متسع . والمجال فيه مختلف .

فأما الكلام على الكلام فانه يدور على نفسه ويلتبس بعضه ببعض ولهذا شق النحو ، وما أشبه النحو من المنطق .

تعريف الكلمة في اللغة والاصطلاح :

اختلف اللغويون في حد يثهم عن الكلمة ، وما هيتها ، وتحديدها ويكفي أن نشير بادىء ذي بدء الى أن الاختلاف كان كبيرا في تحديد هذا الى درجة أن بعضهم شك في قيمة الاعتراف بشيء اسمه "الكلمة" ، و اعتبرها بعضهم خرافة علم اللغة ، اذ أن الكلام عبارة عن سلسلة متصلة من الأصوات لا توجد بينها فواصل كما توجد في اللغة المكتوبة (1)، و لكن الغالبية العظمى للدارسين تستعمل الكلمة وتتحدث عنها في دراسة اللغة ، ولعل أكثر فروع الدراسات اللغوية حاجة الى الاعتراف بالكلمة هو فروع المعجمات ، اذ تكون الكلمة فيها المادة الأصلية ، والقصد من هذا الحديث عن الكلمة هو التخفيف من الخطأ الشائع في بعض الأذهان من أن اللغة عبارة عن مجموعة من الكلمات ، والذين يمارسون التدريس يحسون بشيوع هذا الخطأ بوضوح . ولعل السبب في هذا أن اللغة تكتب في كلمات بينها مسافات .

والحقيقة أن الكلمات ، أساسا وحدات في اللغة كنظام (له طريقته الخاصة في التركيب) أكثر منها وحدات في الحديث ، ولا توجد الكلمات في الحديث

---

(1) - أنظر ما نقله روبنز ما لينوفسكي ، ص . 193 من كتاب :

R. H. Rebins : générale linguistique .London 1964.

كتبوا كلمة قائمة بذاتها تقع فاعلا في الاعراب) . و يصبح الموقف أكثر تعقيدا اذا اعتبرنا أن هذه الكلمة هي دائما المادة التي تظهر في المعجم .

وما جاء في تعريف الكلمات في العربية في الاصطلاح شائع معروف فالكلمة " قول مفرد "(1) و هي " اللفظ المفرد "(2) و هي " لفظ وضع لمعنى مفرد "(3) وقد اختلفت اعتباراتهم في حد الكلمة اصطلاحا ، وأحسن حدودها (قول مفرد أو منتوى معه)(4) ، ولنا أن نقف عند المصطلحات التي اشتملت عليها هذه التعريفات و هي أربعة : القول ، الوضع ، والمعنى ، والمفرد و يجدر بنا شرحها أولا حتى نستطيع أن نبيّن ماهية الكلمة في الاصطلاح النحويين من جهة و التمييز بين مفهوم الكلمة و مفهوم مصطلحات لغوية أخرى من جهة ثانية و الوقوف عند العيوب المسندة الى هذه التعاريف من جهة ثالثة .

فماذا نعني بمصطلح (قول) ؟

القول هو في الأصل مصدر (قال) اذا نطق بلفظ مستعمل فمسماه الحقيقي يعني ايجاد اللفظ المستعمل ، ثم نقل في عرف النحويين الى الشيء المقول أي أنه اللفظ المستعمل ك (زيد ، جلس ، قلم) و هذا بخلاف (ديز سجل) مقلوبي (زيد ، و جلس) لأنهما غير مستعملين و يسميان لفظا لأن

---

(1) — راجع : ابن هشام . شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية . تحقيق .د هادي نهر . بغداد . 1977م . ج 1: ص . 200 .

(2) — شرح الأشموني على ألفية ابن مالك . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . ج : 1 ص . 10

(3) — شرح ابن عقيل . مكتبة دار التراث العربي . ج : 1 ص . 16 .

(4) — السيوطي . همع الهوامع . مطبعة السعادة . مصر . ص . 9

اللفظ هو الطرح ثم نقل الى الشيء المطروح و هذان مطروحان بلسان اللافظ الى سمع السامع (1) .

و ما نستنتجه من هذا التحليل لمصطلح (قول) : أن كل قول لفظ ولا عكس . و يخرج الخط و الاشارة و غيرهما مما ليس بلفظ أصلا ، كما يخرج اللفظ غير المستعمل (كديز) مقلوب زيد .

و يطلق مصطلح (قول) في الاصطلاح على المفرد و المركب سواء كان مفيدا أم غير مفيد ، و عنوا بالقول المفيد ما يحسن السكوت عليه .

و أما الوضع : فهو جعل اللفظ دالا على المعنى ، كجعل (فاطمة) لفظا دالا على الأنثى من بني آدم ، و (فرس) دالا على الحيوان و (طاولة) دالة على شيء (2) .

و المقصود بمصطلح (المعنى) (3) : المفهوم و له معان ، و اذا كان هناك خلاف في تحديد مصطلح (الكلمة) فان الخلاف في مصطلح (المعنى) أكثر و أشير هنا بنوع من تبسيط الأمور فأقسم المعنى الى ثلاثة مصطلحات :

1 — المعنى اللغوى .

2 — المعنى السياقى .

3 — المعنى الاجتماعي .

---

(1) — ابن هشام . شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية . ج : 1 . ص 203 ، 204 .

(2) — نفسه . 204 — 205 .

(3) — نفسه .

وما يهمنا هو المعنى اللغوى الذى يشمل كل ما يمكن أن تدل به الأصوات اللغوية والتركيب اللغوى على المعنى .

1 — فالمعنى يحدد بالأصوات اللغوية ويتغير بتغير طفيف فيها
فالمعنى مختلف في راح ، وباح ، وفاح لاختلاف : (ر ، ب ، ف) بعضها عن بعض .

2 — كما يتغير المعنى بتغير " النغم " ومن ذلك أيضا محمد ، محمد ؟
فالنغم مختلف في كل من اللفظين ، واختلاف الصيغ له أثر على المعنى (كاتب) غير (كتاب) .

3 — واختلاف النظم يؤثر على المعنى ، ولنأخذ هنا مثال النحاة المشهور ضرب عيسى موسى ، وضرب موسى عيسى فالأول هو الفاعل في كل من المثالين .

وأما المفرد : فلهم فيه مصطلحات ، والمراد هنا ما لا يدل جزؤه على جزء معناه ، كفرس ، وعلى : أى : أن أجزاء لفظ (فرس) مثلا وهي (الفاء ، والراء ، والسين) لا يدل كل منها على جزء معناه .
بخلاف (غلام زيد) فانه لفظ مركب ، وهو معنى يدل على مملوكية لزيد .

والمعنى المفرد هذا لا يدل جزء منه على لفظه مثلا : (غلام على جزء معناه باعتباره مركبا لا مفردا فاذا أخرجناه عن أصله بأن أطلقناه على رجل من الرجال صار هذا القول علما ، وكان من قبيل المفرد مثل : عبد الله وعبد الرحمان ، وغير ذلك من الأعلام

---

(1) — نفسه . ص . 205 .

وما يلاحظ أن ابن هشام فى تعريف الكلمة لم يشترط (الوضع) لانه أخذ (القول) جنسا للكلمة والقول فى رأيه خاص بالموضوع .
أما الذين عرفوا الكلمة بأنها (لفظ وضع لمعنى مفرد) [1] فقد احتاجوا الى الوضع احترازا من غير الموضوع باعتبار أن اللفظ الذى اتخذوه جنسا للكلمة ينقسم الى موضوع ومهمل .

فان لم تدل اللفظة على معنى عربى وضعت له مثل (سعفص) فليست كلمة وانما هى صوت .

وهكذا نرى أن النحويين يتخذون لتعريف الكلمة أو تحديدها أساسين هما : اللفظ والمعنى .

غير أن ما يؤخذ على تعاريفهم للكلمة أن الدارسين المحدثين [2] ارتأوا عيوبا يمكن تلخيصها فيما يأتى :

1 — أنها لا تفرق بين الصوت والحرف . أى بين عملية النطق والنظام الذى تجرى عليه .

2 — أنها لا تفرق بين وجود الكلمة وعدمها فى تعريفها ، وهذا ما يؤدى الى الخلط فى التفكير .

3 — أنها تخلط بين الوظيفة اللغوية والمعانى المنطقية ويرتضى الدكتور تمام حسان تعريفا خاصا للكلمة العربية :

---

(1) — نقصد ابن عقيل .

(2) — راجع : تمام حسان . مناهج البحث فى اللغة . 226 .

((فالكلمة العربية فى تعريفها صيغة ذات وظيفة لغوية معينة فى تركيب الجملة تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم وتصلح لأن تفرد ، أو تحذف أو يغير موضعها أو يستبدل بها غيرها فى السياق وترجع فى مادتها غالبا الى أصول ثلاثة وقد تلحق بها زوائد .)) (1)

وما يتضح من تعريف الدكتور تمام حسان أن الأسس التى اتخذها لتحديد الكلمات فى السياق هي :

1 — الافراد عن السياق (ولعل هذا مساو لما يقال من امكان أن تقع جملة .

2 — الحذف من السياق .

3 — الابدال فى السياق (الوقوع موقع ما يكون جملة) .

4 — استعمال العلامات الموقعية فى الكلام .

ولعله يقصد بالعلامات الموقعية النغم الخاص بمواقع معينة مثل آخر الكلام .

وأستطيع أن أعرف الكلمة بأنها : الوحدة المعنوية فى قاموس اللغة العام وهى أصغر صيغة حرة كما عرفها بلومفليد . (2)

ويقسم اللغويون العرب الكلم العربى الى ثلاثة أقسام : (3)
اسم وفعل ، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل .

---

(1) — تمام حسان . مناهج البحث فى اللغة . ص 232 .

(2) — Léonard. Bloomefield .P. 178.

(3) — سيبويه . الكتاب . ج : 1 . ص 12 .

ويعرفون مصطلح الاسم : بأنه لفظ يدل على معنى في نفسه ولا يتعرض ببنيته لزمان ذلك المعنى ولا يدل جزء من أجزائه على جزء من أجزاء معناه ، بمعنى أن (الشين) مثلا : وهو جزء من كلمة (الشمس) لا يدل على بعض معنى هذه الكلمة .

وأما الفعل فلفظ يدل على معنى في نفسه ويتعرض ببنيته لزمان ذلك المعنى (1) .

وأما الحرف فلا يكاد اللغويون يتفقون على معنى محدد له ، فسيبويه مثلا يرى أنه جاء لمعنى يختلف عن المعنى الذي جاء له كل من الاسم والفعل .

يقول : ((وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو : ثم ، وسوف وواو القسم ، ولام الاضافة ، ونحو هذا (2) ....))

وواضح من عبارة سيبويه أنه لا يشير الى طبيعة هذا المعنى المدلول عليه بالحرف وفي حديثه عن حروف الجر يحدد وظيفة الحرف ودوره في بناء الجملة باعتباره أداة اضافة وربط بين معنى الفعل الذي تعلق به ومعنى الاسم المجرور مثلا ، فيقول في باب حروف الجر انما ((يضاف بها الى الاسم ما قبله وما بعده فاذا قلت يا لبكر فانما أردت أن تجعل ما يعمل في المنادى مضافا الى بكر باللام واذا قلت مررت بزيد فانما أضفت المرور الى زيد بالباء .... الخ .

---

(1) — ابن هشام . شرح اللمحة البدرية في علم العربية . ص 211 .

(2) — سيبويه . الكتاب . ج : 1 . ص 12 .

ومن الطبيعي أن وظيفة اللفظ المعين تختلف عن معناه وقد بقيت فكرة سيبويه حول الحرف هي المعروفة عند النحاة من بعده التي شاع بين النحويين ما رفعه أبو الأسود الدؤلي (ت 69 هـ) الى الامام علي (ر) من تحديد لكل من الاسم والفعل والحرف ، جاء في بعض النصوص أن الحرف ((ما أنبأ عن معنى ليس في اسم ولا فعل)) في بعضها " الحرف ما أوجد معنى في غيره " وقد جاء التعريف الشائع بين النحاة مأخوذ من ذلك أي : ((الحرف ما دل على معنى في غيره .)) (1) .

ومما يلاحظ أن الزجاجي (ت 240 هـ) أراد أن يبين طبيعة المعنى الذي يدل عليه الحرف في غيره فذكر قوله : ان (من) تدخل في الكلام للتبعيض فهي تدل على تبعيض غيرها لا على تبعيض نفسها ، وكذلك اذا كانت لابتداء الغاية كانت غاية غيرها ..... وكذلك (الى) تدل على منتهى غيرها لا على منتهى نفسها ، وكذلك سائر الحروف المعاني . (2)

وقد وفق الرضي الاستراباذي في بيان معنى الحرف بقوله : ((الحرف كلمة دلت على معنى ثابت في لفظ غيرها ، فغير صفة للفظ ، وقد يكون اللفظ الذي فيه معنى الحرف مفردا كالمعرف باللام ، والمنكر بتنوين التنكير ، وقد يكون جملة كما في (هل زيد قائم)

---

(1) — ابن هشام ، شرح اللمحة البدرية في علم العربية ، ص 211 .
(2) — الزجاجي ، الجمل ، ص 375 .

لأن الاستفهام معنى فى الجملة إذ قيام زيد مستفهم عنه ، وكذا النفى فى (ماقام زيد) اذ قيام زيد منفى ، فالحرف وجد لمعناه فى لفظ غيره اما مقدم عليه كما فى نحو (ليجوى) أو مؤخر عنه كما فى (الرجل) والاكثر أن يكون الحرف مضمون ذلك اللفظ ، فيكون (أى ذلك اللفظ) متضمنا للمعنى الذى أحدث فيه الحرف مع دلالته على معناه الأصلى ..... فرجل فى قولك (الرجل) متضمن معنى (التعريف) الذى أحدث فيه اللام المقترن به ، وأما فى (هل ضرب زيد) متضمن لمعنى الاستفهام اذ ضرب زيد مستفهم عنه ولا بد فى المستفهم عنه من معنى الاستفهام و موجده (هل) .. الخ

فليس للحرف معنى موجود فى (ال) أو (هل) أو (من) وانما معناه كائن فى لفظ آخر تعلق به الحرف بمعنى أن لفظ الحرف كبنية لغوية لا معنى لها فهى بنية فارغة من الدلالة ولذلك قال الرضى فى نهاية رأيه ((فالحرف وحده لا معنى له أصلا اذ هو كالعلم المنصوب بجنب شىء ليدل على أن ذلك الشىء فائدة ما ، فاذا أفرد عن ذلك الشىء بقي غير دال على معنى أصلا فظهر بهذا أن المعنى الافرادى للاسم والفعل فى أنفسهما وللحرف فى غيره (1) .

وفى ضوء هذا الفهم نجد أن (الاستقلال بالمفهومية) على حد تعبير ابن الحاجب (ت 646 هـ) وعدم ادراك المعنى الا ضمن السياق ما هو الا أساس التفريق بين الاسم والفعل من جهة والحرف من جهة ثانية فالحرف لا يستقل بالمفهومية وليس له واقع معنوى سابق ، على عملية التركيب بخلاف غيره من الاسم أو الفعل ، فلا يخبر بالحرف ولا يخبر عنه ولا يوجد

---

(1) — الرضى الاسترابادى ، شرح شافية ابن الحاجب ، ج : 1 ، ص 50 .

لفظ (من) مثلا ولا غيرها من نوع الحروف مستعملة فى معناها وهو الابتداء ولوكان ذلك حاصل لترادفت (من) مع (ابتدأ) وهو ما لا نجده فى واقع الاستعمال اللغوى ، وما دلالة (قد) على التحقيق و (ثم) على (التراخى) و (من) على الابتداء و (سوف) على التسويف انما هو فى معانى ما ترتبط به هذه الأحرف من ألفاظ الجملة لا فى نفس الحرف ولذلك كان التعريف الشائع للحرف بـ (ما دل على معنى فى غيره) وافيا بما يفهمه أتباع سيبويه من معنى الحرف .

ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا المجال أن عدم وضوح مفهوم مصطلح (الحرف) عند اللغويين القدماء باعتباره أحد أجزاء الكلام ، أدى ببعض المحدثين الى تقديم أنموذج جديد لتقسيم الكلم العربى . فدعا الدكتور تمام حسان الى تقسيمه الى سبعة : هي : (1)
الاسم ، والوصف ، والفعل ، والضمير ، والخالفة ، والظرف ، والأداة .

ودعا ساطع الحصرى الى ترك التقسيم القديم للكلم العربى لأن سائر لغات العالم يقسم الكلم الى أنواع كثيرة يبلغ عددها ثلاثة أمثال ذلك وليس من المعقول فى رأيه أن نبقى متمسكين بهذا التقسيم بل من الأوفق عنده أن نعيد النظر فيه على أساس تكثير أنواع الكلمات أسوة بما يفعله لغويو العالم ...... ولم يضع الحصرى خطة تفصيلية لتقسيمه (2).

---

(1) ـ تمام حسان . اللغة العربية معناها ومبناها . القاهرة . مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب . 1977م . ص90 .

(2) ـ راجع : محاضرات الدكتور هادى نهر . بين الحرف والصوت . ص 5 .

وبغض النظر عن هذه الدعوات وغيرها فان اللغويين العرب القدماء قد استطاعوا القيام بدراسة تحليلية وصفية فذة لمصطلحات لغتنا ، ونتيجة للدراسة الوصفية التحليلية وحّد الأوائل الكلمات في مجموعات كبيرة وصنفوها التصنيف الثلاثي المعروف غير متالقين من عند أنفسهم كما يظن بعض الدارسين ، بل بالاستناد الى خصائص مميزة لكل نوع ، فالحرف عند سيبويه كما ذكرنا " ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل " وهو عند الزمخشري " ما دل على معنى في غيره " ومن ثم لم ينفك من اسم أو فعل يصحبه الا في مواضع مخصوصة حذف فيها الفعل ، واقتصر على الحرف فجرى مجرى النائب "[1] .

وقد اتضح لدينا مما ذكره الأقدمون عن طبيعة كل جزء من أجزاء الكلم العربي أن هذه الكلمات يمكن تقسيمها الى كلمات مستقلة بالفهم ، وهي : الأسماء والأفعال ، وكلمات غير مستقلة بالفهم وهي (الحروف) وقد تبين للغويين الأوائل أن الفعل نفسه لا يستقل بالدلالة دون فاعله سواء أكان هذا الفاعل ظاهرا أم مقدرا باعتباره كالجزء من الفعل ، وهذا ما قصده أحد المحدثين بقوله : " أن الفعل لا يستقل بالدلالة بدون الذات والذات متصلة بالفعل في تركيبه الأصلي "[*] .

وقد أكد صحة التقسيم العربي بعض المستشرقين فقد ذكر (فيليشكوف) قوله : " أن المفردات السامية تقسم الى :[2]

---

(1) — راجع : سيبويه . الكتاب . ج : 1 ص 12 .

ابن يعيش . شرح المفصل . ج : 1 . ص 22 .

(3) — راجع : محاضرات الدكتور هادي نهر . بين الحرف والصوت . ص 6 .

أ ـ كلمات لم تفقد بعد علاقاتها بديناميكية الحدث ولذلك تحتاج الى مطابقة الفاعل ، وهي الكلمات المتصرفة أى الأفعال .

ب ـ وكلمات تفهم عن طريق الحديث ولكنها فقدت علاقاتها بديناميكية الحدث وهي الأسماء .

جـ ـ وبقية الكلمات المساعدة التي لا ترجع الى جذر الفعل وهي الأحرف .

ولقد أثبتت الدراسات اللغوية المقارنة الحديثة أيضا صحة تقسيم مصطلح (الكلمات) الى مصطلح (اسم ، وفعل ، وحرف) بل وابدانها توصي باتباع ذلك التقسيم بالنسبة للغات التى تتبعه قواعدها .

وتحصيل الحاصل يمكن تحديده في أن الحروف ما هي الا علامات ورموز سواء أكانت حروف معان أم حروف مبان ، وان كانت حروف معان فهي علامات لتخصيص معنى الاسمية أو الفعلية ، وتضييق دوائرهما ، أو تغيير طبيعة دلالتهما ، تنكيرا أو تعريفا ، سلبا أو ايجابا ، اخبارا أو استفهاما ابتداءا أو انتهاءا ، وتغيير طبيعة زمانهما ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا وغير ذلك من التنويع والتصنيف الذى يطرأ على الألفاظ وهي متسقة ضمن سياقات معينة .

ومن الثابت أيضا أن لمصطلح (حروف المعاني) قيمة تعبيرية في الجملة العربية فبالاضافة الى أنها تفسّر بعض طرائق النمو اللغوى ، و التكاثر اللفظي فيها ، فلها وظائف دلالية واضحة ، فحروف العطف مثلا لا تفيد ادخال ما بعدها في حكم ما قبلها ، بل لها وظيفة دلالية هي جمع المتعاطفين في حكم واحد ، وتخصص كليهما أو أحدهما بحكم معين على

سبيل التعيين أو على سبيل الابهام . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فان حروف المعاني نوعان : أحدهما لا يعمل ويطلق عليه مصطلح (المهمل)ك (حروف الاستفهام[1] ، والجواب ، والتعريف ، والتكثير ، والتفسير والاستفهام ، والاستفتاح ... الخ والآخر يمنح الاسم أو الفعل حركة معينة ، ونسميه اصطلاحا (أداة) فالفرق بين مصطلح (حروف المعاني) و (الأداة) على هذا الأساس انما يتحدد في كون (الأداة) مختصة أي تؤثر فيما تختص به ، وذلك باحداث حركة في المختص به بصورة ميكانيكية ، وقد توزعت الأدوات على أبواب ثلاثة هي :

- أدوات تغير الجدول التصريفي كأدوات النصب والجزم .
- أدوات تغير الجدول النحوي كالنواسخ وما يصنف منها .
- وأدوات العطف التي تحتم على المعطوف أن يتبع المعطوف عليه في الحركة أو التشويك اللفظي ويجوز بها عطف الاسم على الاسم والفعل على مثله الى ما هناك من دروب العطف .

هذا وبعد الاعتراف بصحة التقسيم الثلاثي الذي أثبتته الدراسات اللغوية قديما وأقرته المباحث اللغوية حديثا .

وبعد هذا العرض الموجز لماهية الكلمة في اللغة والاصطلاح و دراسة بعض المصطلحات التي فرضت نفسها في هذا المقام مثل : اللفظة ، والقول ، والموضوع ، والمعنى ، والمفرد ، والاسم ، والحرف والفعل ، وبيان كل نوع يجدر بي أن أنتقل الى توضيح وبيان بعض الدارسين الكلمة في مجال الدراسات الصوتية .

---

(1) — ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . تحقيق . محمد محي الدين عبد الحميد . ج 1 . ص . 17 .

لقد اهتم (زكي الأرسوزي) بموضوعية الحدس في اتجاه عقلاني حيوي، فوجد أن (اللغة) مثلل فريد على التكامل بين المحسوس، والمفهوم، في بدور المعنى ... والذى هو في نهاية الأمر شيء من مادة الحياة ...[1]

قال: ان الكلمة العربية تتألف من صورة صوتية، ومن خيال المرئي، ومن معنى هو قوام تآلفهما. انه الى تكوين الكلمة العربية هذا يرجع الطابع البدئ للرابطة الاشتقاقية في لساننا فاذا كان (المعنى) مؤلف بين الصورة الصوتية، والخيال المرئي في الكلمة فان (الحدس) المنطوى في المصدر هو أيضا قوام الرابطة بين المفاهيم العقلية، والدلالات الحسية.

انّ موقف زكي الأرسوزى من موضوع (المناسبة الطبيعية) بين الحروف ومعانيها، يتميز بأنه يربط القيمة البيانية للحرف بمنظومة الكلمة الصوتية قال:

يتمتع الحرف العربي بقيمة بيانية، وان اتحدت هذه القيمة بمنظومة الكلمة الصوتية، الاأنّ بعض الحروف يقوم في هذه المنظومة، بمثابة نبرة الايقاع، في تعيين بيان معنى الكلمة، ويفي الحرف الأول من الكلمة، على الأغلب، بهذه الوظيفة.

ثم أنه يربط الكلمات، وصورها الصوتية بتجربة الحياة وتطورها ... حتى أنه يخضع أصوات الحروف للارادة، أى ارادة المتكلم وفي ذلك يقول:

---

(1) — عدنان ابن دريل. اللغة والأسلوب. ص. 55

انّ العبقرية قد استندت في انشاء أداة بيانها الى المداد (الايقاع) المنطوي في الصورة الذهنية ، والى تعديل (تقويم) مظاهر الحياة المختلفة الصوت الذي هو طوع ارادتها و بالرؤية التي هي ذات تلون ، ودقة .

وهل يختلف نهج العبقرية العربية هذا عن نهج الحياة ، اذ هي تعدّل حركة الفم العضلية للصوت ، والصوت بالرؤية منتقلة بهذا التعديل الى مداد آخذ بالدقة مداد تقصد به الجهد اللازم لانشاء درجات صعودها نحو انسانية متكاملة ؟ .

انّ الكلمة العربية ، بصورتها ، وبما تنطوي عليه من معنى : تعبر عن تجلي بنيان الأمة في برهة من تطورها ، وما اللسان العربي الا منظومة صوتية تتجاوب فيها هذه التجليات ، وهو يعكس صورتها ، و يتبع مصيرها .

ومن أسس تبين البنيان النفسي ، والبنيان الاجتماعي ، والتطور التاريخي حلل (زكي الأرسوزي) الضمائر ، و ظروف الزمان والمكان ، وصيغ التصغير ، والجمع ، والآلة ، والعديد من الكلمات الدالة على مواقف وجدانية فكرية ، ووجودية مختلفة .

ناهيك بأنه رأى في الكشف عن مغزى القواعد النحوية ، مغزى تتضح به العقلية العربية و مراميها في الحياة .

هذا و بالاضافة الى معرفة المصطلحات التي أطلقت على الكلمة مثل : (الكلمة الخداية) ، و(النحوية) و (القاموسية) ، و (الأدبية) من خلال التعاريف السابقة يجدر بنا الوقوف عند استخدام مصطلحات أخرى للكلمة نذكرها بعد أن نعرف

(الكلمة) تعريفنا المتواضع بحسب المنظور الحديث للغة فنقول :

الكلمة : (Le mot) هي الوحدة الصغرى في المعجم العام للغة .
وليست في الحقيقة الا جزءا من الكلام تتكوّن عادة من مقطع واحد أو عدة مقاطع ، وثيقة الاتصال بعضها ببعض ولا تكاد تنفصم في أثناء النطق بل تظل مميزة واضحة في السمع .(1)

ومن هذا التعريف نخرج للمصطلحات المستعملة :

الكلمة ذات المقطع الواحد(2) : (Monosyllabe)
وهي الكلمات التي يفضلها الطفل في فترة من فترات النمو ، اذ يفضل المقاطع المكررة مثل : بابا ، ماما وما أشبه ذلك .

الكلمة ذات الكيان(3) : (Motonome)
وهي التي لا تتأثر في بنيتها أو نطقها بأثر صوتي سابق لها أو لاحق .

الكلمات المقلدة للأصوات الطبيعية(4) : (anomotopée)
وهي التي لا تثبت أن اللغة نشاط غريزي .

---

(1) — ابراهيم أنيس . الأصوات اللغوية . ص . 111 — 112 .
(2) — محمود السعران . اللغة والمجتمع . رأي ومنهج . ص . 49 .
(3) — مجمع المصطلحات العلمية والفنية . مجمع اللغة العربية للقاهرة . مج : 9 ص 115
(4) — محمود السعران . علم اللغة . ص . 64 .

تحديد مخارج الحروف ، وبعض صفات النطق ، وقد تحدث عنهما ابن جني منذ ما يزيد على خمسة عشر قرنا (1) .

ومما يلاحظ في دراسة الأوائل للحروف هو تعدد المصطلحات والتسميات التي أطلقت عليها كمصطلحات (الحروف العربية) و (الرسم العربي) و (الخط العربي) و (الأصوات اللغوية) مما يدفع بالبعض الى الظن بأن أولئك القدماء لم يميزوا بين الحرف والصوت .

وذلك في رأيي ظن لا يجد نصيبه من الحقيقة ، فقد أحسن الأوائل صنعا حين قسّموا الحروف الى نوعين : حروف معان ، وحروف مبان ، وقد عنى القول (2) في أنهم قصدوا بحروف المعاني تلك الألفاظ التي انحرفت عن خصائص الاسم والفعل وعوارضهما كالاستقلال بالمفهومية ، والاعراب ، وقبول علامات معينة ، ودخول حروف الزيادة عليها ، والتصرف الى ما هنالك من خصائص وعوارض الأسماء والأفعال ، ولهذا فقد جعلوا عدم وجود علامة معينة للحرف علامة له .

أما حروف المباني (3) أو (الحروف العربية) فقد أرادوا بها (حروف الهجاء) كل واحد منها وحدة كتابية ، ورمز صوتي ، مع التأكيد على الفارق بين الكتابة والصوت ، أو بين اللغة في صورة منطوقة ومسموعة ، وبين اللغة وقد كتبت بحروف .

---

(1) — ابن جني . سرّ صناعة الاعراب . ج 1 : ص . 46 .
(2) — راجع : ص . 192 من هذا البحث .
(3) — المالقي . أحمد عبد النور . رصف المباني في حروف المعاني . تحقيق محمد خراط . 1973 م . ص . 4 .

تحديد مخارج الحروف ، وبعض صفات النطق ، وقد تحدث عنهما ابن جني منذ ما يزيد على خمسة عشر قرنا .(1)

ومما يلاحظ في دراسة الأوائل للحروف هو تعدد المصطلحات والتسميات التي أطلقت عليها كمصطلحات (الحروف العربية) و (الرسم العربي) و (الخط العربي) و (الأصوات اللغوية) مما يدفع بالبعض الى الظن بأن أولئك القدماء لم يميزوا بين الحرف والصوت .

وذلك في رأيي ظن لا يجد نصيبه من الحقيقة ، فقد أحسن الأوائل فيما حين قسّموا الحروف الى نوعين : حروف معان ، وحروف مبان ، وقد مضى القول في أنهم قصدوا بحروف المعاني تلك الألفاظ التي انحرفت عن خصائص الاسم والفعل وعوارضهما كالاستقلال بالمفهومية ، والاعراب ، وقبول علامات معينة ، ودخول حروف الزيادة عليها ، والتصرف الى ما هنالك من خصائص وعوارض الأسماء والأفعال ، ولهذا فقد جعلوا عدم وجود علامة معينة للحرف علامة له .(2)

(3)
أما حروف المباني أو (الحروف العربية) فقد أرادوا بها (حروف الهجاء) كل واحد منها وحدة كتابية ، ورمز صوتي ، مع التأكيد على الفارق بين الكتابة والصوت ، أو بين اللغة في صورة منطوقة ومسموعة ، وبين اللغة وقد كتبت بحروف .

---

(1) — ابن جني . سرّ صناعة الاعراب . ج 1 : ص . 46 .

(2) — راجع : ص . 192 من هذا البحث .

(3) — المالقي . أحمد عبد النور . رصف المباني في حروف المعاني . تحقيق محمد خراط . 1973 م . ص . 4 .

ناقص يؤدي الى الخلط بين مفهومي (الحرف والصوت) وعدم التمييز بينهما ولهذا نجد بعض اللغويين من يعد الصوت حرفا[1] ، والحرف صوتا ، و يتحدث عن (مخارج الحروف) قاصدا (مخارج الأصوات) ، ولعلّ اهتمام هؤلاء بصورة مكتوبة دون المنطوقة هو الذي أدى الى هذا الخلط .
فكثيرا ما نجد اللغويين يقدّرون في نحو (لم ينج) و (لم يسع) أن الفعل مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، ولو أنهم تأملوا نطق الفعل لرأوا أنه مجزوم بتقصير (المصوتات الطويلة) أو (الحركات الطويلة) وما يطلق عليها ابن جني مصطلح (الحروف الثلاثة الليّنة) وهي (الألف والواو والياء) وعوض عنها (بحركات أو مصوتات قصيرة) هي على التوالي :
(الضمة ، الكسرة ، والفتحة) باعتبار أن حروف الليّن (المصوتات الطويلة) مضارعة للحركات ، فكرهوا توالي المتشابهات . يقول ابن جني : (وانما قلت الحركات في حروف اللين المضارعة هذه الحروف للحركات فكرهوا اجتماع المتشابهات) فالحركات أبعاض حروف المدّ كما ذكر[2] .

ومثل هذا يذكرونه عن الفعل المضارع المعتل العين في حالة الجزم نحو (لم يكن) فقد زعموا أن هناك ساكنين هما (عين الفعل وآخره) و قد أدى هذا الالتقاء على رأيهم الى حذف الأول منهما ، والحقيقة أن الواو ليست ساكنة كما رأينا باعتبارها (حركة طويلة) وما حذفها الا لتماوين مقطعين تشكلا بعد جزم الفعل هما : (ى) (كون) فالثاني أكثر طولا من الأول وهو ما لا تقبله العربية ، مما يدفع بتقصير حركة المقطع الطويل فتصير (ى / كن) . وهذا هو السرّ أيضا في تقصير حركة الفعل الماضي

---

(1) ـ ابن جني . سرّ صناعة الاعراب . ج : 1 . ص . 8 .

(2) ـ نفسه . ص . 19 .

عند اتصاله بتاء التأنيث في مثل (رمت) فأصلها (رمات) وأمثلة ذلك كثيرة .

وقد دعاني عدم التمييز بين مصطلح (الحروف والصوت) أن أعقد في هذا الفصل مقارنة بين الحروف والصوت بعد أن أظهر مجالات استعمال الحروف اللغوية .

مصطلح الحروف والاستعمال اللغوي :

الحروف : (La consonne)

هو الصوت الذي يحدث عندما يقوم في جهاز الصوت حاجز يعترض النفس ثم يجتاز النفس ذلك الحاجز .(1)

الحروف الاصلية :

هي أحرف الفعل المجردة الاساسية في الثلاثي والرباعي .(2)

حروف توام كوامل :

الألف والواو والياء ، هي حروف كوامل توام .(3)

حروف الجر :

هي حروف تدخل على الاسم فتجره وهي :(من ، الى ، عن ، على في ، الكاف ، رب)

---

(1) - الطيب البكوش . التصريف العربي . ص 87 .

(2) - يوسف السودا . الاحرفية . ص 82 .

(3) - ابراهيم أنيس . الاصوات اللغوية . ص 82 .

حـرف انحرافي : (Consonne latérale)[1]

وهو اللام في العربيـة ولهـذا الحـرف نطـق خاص يسمـى (الانحراف) ذلـك أن اللسان ينحـرف عنـد النطـق بـه بـأن يعتمد طـرف اللسان على المخـرج المـذكور أعـلاه فيجـرى الهـواء من جانبـه ولذلـك سمـاه علمـاء الأصـوات الأوربيـون حـرفا جانبـيـا (Latérale) .

حـرف مجهـور : (Consonne sonore)

وهو الحـرف الذى يهتـز الأوتـار الصوتية عند النطـق بـه نحـو : البـاء ، والـدال ، والقـاف.[2]

حـرف الذلاقـة :

هكـذا سمـاها الخليل واستعمـل نفـس المصطلـح ابن جني في كتابـه (سـر صناعة الاعـراب) وجعل مقابـلا لها بسمـاه (الاصمـات) وهي الحـروف التى تنطـق من طـرف اللسان مثـل : الراء ، واللام ، والنـون . . . الخ .[3]

الاحرف السابقة :

هي الاحـرف التى تسبـق الحروف الاصليـة فى المضارع والامـــر .[4]

---

(1) ــ كانتينـو . دروس في علـم أصـوات العربيـة . ص 78 .

(2) ــ نفســه . ص 26 .

(3) ــ راجــع : ص 26 من هـذا البحــث .

(4) ــ يوسـف السـودا . الأحـ. . . ة ص 82 .

حـرف مشـأشـأ : (Conso ne chuntante)

وهو الشين في اللغـة السامية وقد صار هـذا الحرف في العربيـة الفصحى الى السيـن واختلـط بهـا وأصلهـا في السامية حـرف (تـس)(1)

حـرف مصـوت :

كان في الساميـة صـوتـان همـا الواو الرخوة التي تقـرأ من بيـن الشفتيـن ، واليـاء الرخـوة الأدنـى حنكيـة ويسمى هذان الصوتان في الفرنسيـة حرفيـن مصـوتيـن ، أو نصف حركتيـن ، وذلك لقرابتهما من الحـركتين المغلقتيـن الضمـة والكسـرة .(2)

حـرف طـرفـي : (Consonne apicales)

تطلـق لفـظ (طرفيـه) على الحـروف التي تقـع بطرف اللسـان .(3)

حـرف ظهـري : (Consonne dorsale)

يطلـق لفـظ (ظهريـة) على الحروف التي تقـع بظهر اللسـان .(4)

حرف علـة : (Lettres débiles)

الاحرف المعتلـة ثلاث وهـي : (أ ، و ، ى) وهي نوعان :

---

(1) — كانتينـو ، دروس في علـم أصوات العربيـة ، ص97 .

(2) — نفسـه : ص 137 .

(3) — نفسـه ، ص 83 .

(4) — نفسـه .

حروف مـد ، وليـن .(1)

حرف أقصى حلقي : (Consonne laryngale)

وهي الحروف التي تقـع في أقصى الحلق أو بالأحرى في رأس قصبة الرئة ، وهو قـائم على الانفتاح أو الانغلاق نحو : الهمزة ، والهاء .

حرف أقصى حنكي : حرف واحد وهو الكاف .(2)

حرف تكرير : (Consonne vibrante)

وهو خاصية الراء اذ أنه يقع فعلا (تكرير) النطق وذلك لأن النطق بالراء يتمثل في عدة هزات وارتعاشات في طرف اللسان .(3)

حرف لثوي : هو الحرف الذي يكون مخرجه من اللثة .(4)

حرف لاحق : (Suffixe)

هي الأحرف التي تلحق الأحرف الأصلية في الماضي والمضارع والأمر للدلالة على التثنية والجمع مذكرا ومؤنثا .(5)

حرف لهوي غشائي : (Vélaire)

نسبة الى اللهاة وتسمى بالفرنسية (Vélaire) أي التي تقرع بضم

---

(1) ـ يوسف السودا . الأحرفية . ص 23 ـ 24 .

(2) ـ كانتينو . دروس في علم العربية . ص 30 .

(3) ـ نفسه . ص 38 .

(4) ـ نفسه . ص 32 .

(5) ـ يوسف السودا . الاحرفية . ص 83 .

ظهر اللسان الى غشاء الحنك واللهاة مثل القاف والخاء والغين .[1]

حروف مليـن : (Consonne mouillée)

الحروف المليـنة التى يبدو الجزء الثانى منها كأنه ياء مثل حرف "gn" "Eygne" فى كلمـة (Eygne) الفرنسية

حرف من بين الاسنان : (Consonnes interdentales)

وهي الحروف التى يتم نطقها بين الأسنان " مابين طرف اللسان وأطراف الثنايـا ".[2]

حروف الهجاء : (Alphabet)[3]

الحروف الهجائية أربعة أنواع : قمرية ، شمسية ، معتلة، صحيحة .

---

(1) — كانتيو . ص 25 .

(2) — نفسه . ص 64 .

(3) — يوسف السودا . الاحرفية . ص 23 .

من علوم اللغة علما سماه (علم قوانين الكتابة) ورأى أن هذا العلم (يميز أولا مالا يكتب فى السطور من حروفهم ومايكتب) وفى ذلك اشارة واضحة الى أن الحرف الذى لا يكتب انما يقصد به الصوت . وعن (علم قوانين تصحيح القراءة) ذكر أن هذا العلم يعرف مواضع النقط والعلامات التى تجعل عندهم مالا يكتب فى السطور من حروفهم، فالحركات والشدة مثلا رموز تمثل أصواتا ليس لها حروف مستقلة تكتب .(1)

وفى كلام الجاحظ (160 هـ 255 هـ) مايشير الى أن العرب قد وفقوا فى بيان الفرق بين الحرف والصوت منذ السادس الهجرى الميلادى، فعنده أن كل مايخرج من الفم صوتا فان صدر وصار كلاما أصبح حروفا، سواء أكان منطوقا أومكتوبا يقول : " الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذى يقوم به تقطيع وبه يوجد التأليف ، ولا تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ، ولا منثورا ، الا بظهور الصوت ، ولاتكون الحروف كلاما الا بالتقطيع والتأليف .(2) "

وبالاستناد الى ماعرضناه من أقوال القدماء ، ثم بالاستناد الى مايطرحه البحث اللسانى الحديث يتحقق أمامنا أن الحرف وحدة كتابية لاتوجد لها حياة مستقلة ، وهو عنصر يدخل فى تركيب الوحدة الحية المستعملة وهي الكلمة ، وباختلاف تركيب الحروف تختلف الكلمات وتتعدد الدلالات ، وعلى الرغم من أن كل حرف لفظ وكل لفظ صوت الا أن الصوت باعتباره عملية حركية ذات أثر سمعى وهو من أداء المتكلم فى نشاطه اللغوى

---

(1) — الفارابى . احصاء العلوم . تحقيق الدكتور عثمان أمين . دار الفكر العربى مصر . 1949 . ص 47 — 48 .

(2) — الجاحظ . البيان والتبيين (ط : 3) مكتبة الخانجى . القاهرة . 1388هـ . ج : 1 ؛ ص 79 .

العادى اليومى قد يطلق على الكلمة أو على المقطع أو على الحرف كامل وحدة نطقية (فونيم) تعود الى جهاز التصويت .

وهو — أعنى الحرف — وحدة تصنيفية يقول بها دارس اللغة حين يقسم العدد الأكثر من الاصوات على العدد الاقل من الحروف وقد يشتمل الحرف الواحد على أكثر من صوت واحد ، كما يشتمل "الميم" مثلا على أصوات مختلفة منها ذو الاظهار والاخفاء والاقلاب وكما يشتمل "النون" على عدد من الاصوات يأتى كل منها فى بيئة صوتية خاصة ، والحرف كما يقول أرسطو" صوت لا يتجزأ وهو صوت معين ومن طبيعة أن يدخل فى تركيب صوت معقد ، وهو وحدة الدراسة اللسانية الصغرى لأنه رمز للصوت ، وكل حرف صوت وليس العكس .(1)

لان الأصوات التى يمكن للانسان انتاجها تشكل عددا لا متناهيا ولما كانت قابلية الاستماع عند الانسان محددة ، ولتلافى الارتباك الذى سيحصل فى السمع لوصفت جميع الأصوات المنتجه ومن منطلق رياضى استطاع الانسان أن يرمز لذلك العدد اللا متناهى من الاصوات بمجموعة محدودة من الحروف وقد روعي فى اختيار الاصوات المستعملة والمرموز لها بالحروف أمران :

سهولة أدائها ، وسهولة استيعابها .

وقد امتلك الانسان قابلية تحويل الاصوات لانتاج أصوات أخرى فمن (ر ، ج ، ب) يمكن أن تصوت بـ (رجب ، جبر ، بجر ، بجر ، جرب ، ربج)

---

(1) — راجع : أرسطو ، الشعر ، ص11 .

وهذا التنويع الصوتي لدى الانسان تنويع ارادي بينما نجده عند الحيوانات تنويعا غريزيا حيث لا يكون الحيوان واعيا عند اصدار الاصوات ولهذا تعذر عليه تعلم لغة غيره وكذلك فان الحيوان يصدر أصواتا لا تتجزأ ولهذا لا نستطيع أن نطلق عليها مصطلح (الحروف) (1).

فما هو اذن الصوت اللغوي الخاص بالانسان وحده من بين الكائنات الحية الأخرى ؟ وما علاقته بالأصوات الفيزيائية عند المحدثين

عرف (Robin) الصوت (Sound) أنه :

اضطراب مادي في الهواء يتمثل في قوة وضعف سريعين للضغط المتحرك من المصدر في اتجاه الخارج ، ثم في ضعف تدريجي ينتهي الى نقطة الزوال النهائي ".

ويقتضي هذا التعريف عناصر ثلاثة تستدعيها عملية الصوت هي :

1 — جسم يتذبذب .

2 — وسط تنتقل فيه الذبذبة الحاصلة عن الجسم المتذبذب .

3 — جسم يتلقى هذه الذبذبات .

أما الصوت اللغوي (Linguistique sound) الذي تؤلف مادته علم الصوت فانه : الاثر السمعي الذي يصدر طواعية عن تلك الاعضاء التي يطلق عليها اسم " جهاز النطق " وهو تمثيل للعناصر الثلاثة التي ألمحنا اليها فأعضاء النطق تمثل العنصر الأول والاثر السمعي المتعلق بالصوت من حيث انتقال موجاته في الهواء يمثل العنصر الثاني وأما أذن المستمع التي تتلقى تلك الذبذبات فانها تشكل العنصر الثالث (2).

---

(1) — راجع : أرسطو . كتاب الشعر . ص11.

(2) — خليل ابراهيم العطية . في البحث الصوتي عند العرب . ص6 .

ومايتضح لنا من خلال تعريف (Robin) لمصطلح الصوت أن هناك فرقا بين " الصوت العادى " والذى تشترك فيه الجمادات والحيوانات والانسان و " الصوت اللغوى " الموقوف على الانسان .

وأول مانسجله من خلال هذا التعريف أن اللغوى اذا تكلم عن الحروف فانه لايعنى الا الصوت اللغوى (القطعة الصوتية التى هي الأصل فى تحليلاته phonème segment sonore)(1) واذا أراد رمزه الخطى الذى يسميه العرب أيضا اختصارا حرفا ، فانه ينبه دائما على ذلك ، والحرف فى أصل اللغة هو طرف الشىء والذى ينتهى اليه التحليل كما رأينا ولهذا استعمل للدلالة — فى نفس الوقت — Segments minimaux على أصغر القطع اللفظية ، وأصغر القطع الخطية مما يمثلها ويرمز اليها .

أما علماء أوربا قديما فكانوا يستعملون مصطلحين مختلفين كما فى الفرنسية (Lettres) = الحروف الصوتى و (Caractère)= الحروف الخطى ولما صارت الاولى تلتبس بالثانية فى الاستعمال وضعوا كلمة جديدة لمعنى الاولى فقالوا : (phonème) عوض (lettres) أما العرب قديما فما كان يشتبه عليهم هذا الأمر ، وكلما أراد اللغوى الجانب الخطى نبه على ذلك وقال : (أما صورة الحرف فى الخط ...). و(هذا موجود لفظا وخطا) ولهم تمييز آخر فقد استعملو للدلالة على اسم الحروف (كالباء والتاء مثلا) لفظة الهجاء(2) .

---

(1) — الحاج صالح . مجلة اللسانيات . مج : 1 ، ج : 2 ص 26 .

(2) — سيبويه . الكتاب . ج : 2 ص 275 .

وهو نوع من الاسماء كالضمائر وأسماء الاشارة، وله وضع خاص اذ هو كأسماء العدد أو الأصوات لا ينطق به الا بالوقف عند التهجي أي عند ذكر كل حرف مما يدخل في الكلمة أو حروف المعجم ، ولايعرب الا اذا أخرج عن التعداد الى التركيب كهذه العبارة " كتبت واوا وهذه ياء لا ياء"[1] .

أما المحدثون من اللغويين فقد درسوا هم الآخرون الصوت والحرف . فيعرف تمام حسان الصوت في كتابه : ((الصوت عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي وتصحبها آثار سمعية معينة تأتي دون تحريك للهواء فيما بين مصدر ارسال الصوت وهو الجهاز النطقي ومركز استقباله وهو الاذن[2] " .

ويعرفه ابراهيم أنيس قائلا :
الصوت : هو ككل الاصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها في الغالب الحنجرة لدى الانسان، فعن اندفاع النفس من الرئتين يمر بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها عن الفم أو الأنف تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل الى الأذن[3] .

أما فندريس فيقول في الصوت :" ان مايسمى صوتا هو الاثر الواقع على الاذن ، بعض حركات ذبذبية للهواء ، والذبذبات في اللغة يحدثها الجهاز الصوتي للمتكلم[4] " .

---

(1) — الحاج صالح : مجلة اللسانيات مجلد 1 ، ج : 2 ، ص 26 .

(2) — تمام حسان . اللغة العربية معناها ومبناها . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . 1973 . ص 66 .

(3) — ابراهيم أنيس . الاصوات اللغوية . (ط : 5) . مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة . 1975 . ص 8 .

(4) — فندريس . اللغة . (ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص) . مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة . 1950 . ص 43 .

فالصوت اذن عملية يقوم بها الجهاز الصوتي وذلك بأحداث اهتزازات تنقل على شكل موجات حتى تصل الى الاذن نتيجة اندفاع هواء أو نفس من أماكن معينة ضمن الجهاز الصوتي .

والملاحظ أن المحدثين من اللغويين لم يختلفوا كثيرا عن ابن جني في تحديد (مصطلح الصوت) سوى في التفاصيل البسيطة .

أما الحرف فقد عرفه الطيب البكوش في كتابه (التصريف العربي بأنه الصوت الذي يحدث عندما يقوم في جهاز التصويت حاجز يعترض النفس ثم يجتاز النفس ذلك الحاجز)[1].

فالصوت اذن هو ما نسمعه ونحس به نتيجة الاهتزازات التي تحدث خلال العملية الصوتية . والحرف هو الرمز المكتوب وهو الوسيلة المستعملة للتعبير عن الصوت . وبمعنى أوضح أن الحرف هو المصطلح المجسم للصوت.

كذلك يجب ان نلاحظ في هذا التعليق أن الغربيين قد استعملوا مصطلحين للدلالة عن الصوت والحرف . وهما " الالوفون والفونيم" وأول من استعمل المصطلح (فونيم) (Degriche Desgenettes) في اجتماع الجمعية اللغوية الفرنسية في مايو 1873 ، وثاني من استعمله كان (Louis Havet) ومنه انتقل المصطلح الى (Dy saussure /) وأول من حدد مفهومه (Jean Baudouin)[2]

---

(1) — الطيب البكوش . التصريف العربي . الشركة التونسية لفنون الرسم . تونس 1973 . ص 14 .

(2) — أحمد مختار عمر . دراسة الصوت اللغوي . "ط : 1" . 1396 هـ — 1976م عالم الكتب . القاهرة . ص 142 .

فيرى هؤلاء العلماء أن الأصوات اللغوية تتكون من وحدات مستقلة ومن الممكن أن ينطق صوت معين منعزلا عن غيره من الأصوات بغض النظر عن المعنى الذي يقع فيه مثلا : صوت التاء ، الباء ، الحاء . . . الخاء أي أن ينطق منعزلا غير مجاور لصوت آخر . وهذه الأصوات المختلفة أو الوحدات الصوتية المستقلة (الواحدة عن الثانية) والتي يعبر عنها بصوت واحد هي مايطلق عليه العلماء الغربيون المحدثون مصطلح " الفونيم " أو الوحدة الصوتية المستقلة . "فدانيال جونز" يعرف الفونيم بأنه (عائلة من الأصوات المترابطة فيما بينها في الصفات في لغة معينة والتي تستعمل بطريقة تمنع وقوع أحد الاعضاء في كلمة من الكلمات في نفس السياق الذي يقع فيه أي عضو آخر من العائلة)[1]

ويعرفه جماعة من اللغويين[2] : (الفونيم هو أصغر وحدة صوتية خالية من أي معنى يمكن تحديده من معنى منطوق . وتحتوي كل لغة على عدد محدد من الفونيمات (من عشرين الى خمسين حسب اللغة).

فالفونيم اذن هو أصغر وحدة صوتية كما عرفه الغربيون . وقد أخذ البعض من اللغويين العرب المحدثين هذه النظرية عن الغربيين يقول كمال بشر : " هي وحدة صوتية قادرة عن التفريق بين معاني الكلمات وليست حدثا صوتيا منطوقا بالفعل في سياق محدد"[3].

---

(1) — أحمد مختار عمر . دراسة الصوت اللغوي . (ط: 1) . عالم الكتب . القاهرة 1396 هـ — 1976 م ص 149 .

(2) — Dubois (j) Autre. Dictionnaire de Linguistique . Librairie Larousse. Paris 1973. P. 372.

(3) — محمد كمال بشر . علم اللغة العام . ج : 2 الاصوات ، دار المعارف القاهرة . 1973 . ص 31 .

" اعلم أن الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له فى الحلق والفم والشفتين مقاطع ، تثنيه عن امتداده واستطالته ، فيسمى المقطع أينما عرض له حرف وتختلف أجراس الحروف باختلاف مقاطعها[1] " . ونستطيع القول أن ابن جنى من الأوائل الذين تنبهوا وأشاروا الى الفرق بين الصوت والحرف ان لم يكن أولهم ...

ومن خلال التعاريف السابقة يجدر بنا الوقوف عند مصطلح الصوت واستعماله اللغوى . فماذا يعنى مصطلح صوت ؟

الصوت : (Son)

ان دراسة الصوت عامة موضوعه علم الطبيعة ، أما الصوت اللغوى فهو موضوع علم الأصوات اللغوية والذى سنعرض الى بعض المصطلحات المستعملة فى مجال البحث الصوتى اللغوى .

الصوت اللغوى : (Le son)

الاثر السمعى الذى تحدثه تموجات ناشئة من اهتزاز جسم ما[2] .

صوتم : (Phonème)

هو وحدة صوتية قادرة على التفريق بين معنى الكلمات وليست حدثا صوتيا منطوقا بالفعل فى سياق محدد . فالفونيمات : أنماط للأصوات والمنطوق بالفعل هو صورها وأمثلتها الجزئية التى

---

(1) ـ ابن جنى . سر صناعة الاعراب . ج : 1 . ص 6 .

(2) ـ مجموعة المصطلحات العلمية والفنية . لمجمع اللغة العربية بالقاهرة . مج : 3 ص 139 .

تختلف من سياق لآخر . فالكاف فونيم ، وكذلك الجيم ، والقاف .
أما الصور النطقية لكل واحد منها في أمثلتها (variante) أوما تسمى (Phone) أو (Allophones) والاخير أكثر استعمالا وأحدث من سابقه كذلك والفونيمات بهذا المعنى — محدودة محدودة في كل لغة ولكن صورها النطقية أو الاحداث النطقية الفعلية كثيرة كثرة فائقة (1) .

الفونيمات الاساسية (2) : (Phonèmes primaires)
علم الوحدات الصوتية وتنقسم الى قسمين : اختصت في الاول منهما بالنظر فيما سموه الوحدات أو الفونيمات التركيبية .
وفي الثاني بدراسة تلك الوحدات أو الفونيمات التي اطلقوا عليها (Suprasegmentale phonèmes) أي الفونيمات غير التركيبية أو الفونيمات فوق التركيب .

صوت أسلي (3) : (Conseonnes apicales)
مثل (السين ، والصاد ، والزاي) تؤثر الدراسات الصوتية تسمية هذه الأصوات بالاصوات الأسلية رغم أن معظم كتب القراءات تسميتها أيضا بتسمية أخرى أكثر شهرة وهي : (أصوات الصفير) .

الصوت الانساني : (La voix humaine)
ينشأ من ذبذبات مصدرها في الغالب الحنجرة لدى الانسان

---

(1) — كانتينو . دروس في علم أصوات العربية . ص 135 .
(2) — كمال بشر . علم اللغة العام . القسم الثاني : الاصوات . ص 68 .
(3) — ابراهيم أنيس . الأصوات اللغوية . ص 62 .

صوت صامت : (Consonne consonnante)

والشائع أن أول ما ينطق به الطفل " صوائت " مفردة "أوصوائت يسبق لكل منها " صامت " واحد ، وقد أدرك كل من اليونان والهنود والعرب (1) .

الصوامت الشفوية : (Consonne labiale)

من الصوامت الاولى التى ينطق الطفل الصوامت الشفوية (2) .

الصوامت المتمادة غير الاحتكاكية : (Consonne continues non fricative) (3)

يطلق هذا المصطلح على بعض صوامت مجهورة احتكاكية ولكن لا يسمع فى نطقها احتكاك اما لان قوة النفس (الزفير) فى تكوينها أضعف من تلك المستخدمة فى نطق الاحتكاكية المقابلة لها أو لأن درجة انفتاح الأعضاء عند موضع النطق تكون أوسع منها عند نطق الاحتكاكية هي المقابلة لها واما لاجتماع هذين العاملين .

صوت أنفى (أغن) : (nasale) (4)

تتكون الصوامت الغناء بأن يحبس الهواء حبسا تاما فى موضع الفم ، ولكن يخفض الحنك اللين ليتمكن الهواء من النفاذ عن طريق الانف ومن أمثال الصوامت الغناء (الميم والنون)

صوت أنفمى : ((5)

صوت مجهور النفس والفم معا مثل الواو فى قراءة " من وال " والياء فى قراءة (من يكون) .

---

(1) — محمود السعران . علم اللغة . ص 93 — 94 .
(2) — محمود السعران . اللغة والمجتمع : رأى ومنهج . ص 89 .
(3) — محمود السعران . علم اللغة 196 .
(4) — نفسه . ص 148 .
(5) — ابراهيم أنيس . الاصوات اللغوية ؟ ص 60 .

صوت صامت : (Consonne consonnante)

والشائع أن أول ما ينطق به الطفل " صوائت " مفردة "أوصوائت يسبق كل منها " صامت " واحد ، وقد أدرك كل من اليونان والهنود والعرب .(1)

الصوامت الشفوية : (Consonne labiale)

من الصوامت الاولى التى ينطق الطفل الصوامت الشفوية .(2)

الصوامت المتمادة غير الاحتكاكية :(3) (Consonne continues non fricative)

يطلق هذا المصطلح على بعض صوامت مجهورة احتكاكية ولكن لا يسمع فى نطقها احتكاك اما لان قوة النفس (الزفير) فى تكوينها أضعف من تلك المستخدمة فى نطق الاحتكاكية المقابلة لهـا أو لأن درجة انفتاح الأعضاء عند موضع النطق تكون أوسع منها عند نطق الاحتكاكية هي المقابلة لها واما لاجتماع هذين العاملين .

صوت أنفى (أغن) :(4) (nasale)

تتكون الصوامت الغناء بأن يحبس الهواء حبسا تاما فى موضع الفم ، ولكن يخفض الحنك اللين ليتمكن الهواء من النفاذ عن طريق الانف ومن أمثال الصوامت الغناء (الميم والنون)

صوت أنفمي :(5) ( )

صوت مجراه النفس والفم معا مثل الواو فى قراءة " من وال " والياء فى قراءة (من يكون) .

---

(1) — محمود السعران . علم اللغة . ص 93 — 94 .
(2) — محمود السعران . اللغة والمجتمع : رأى ومنهج . ص 89 .
(3) — محمود السعران . علم اللغة 196 .
(4) — نفسه . ص 148 .
(5) — ابراهيم أنيس . الاصوات اللغوية ? ص 60 .

الصوت الجانبي : (La consonne latérale)

وهو الصوت الذى يتسرب هواؤه اما من أحد جانبي الفم كالضاد العربية القديمة فى رأى ، واما من كلا الجانبين كاللام والضاد العربية القديمة فى رأى الجمهور .

صوت مجهور : (Consonne sonore)(1)

وهو الذى يهتز معه الوتران الصوتيان .

الصوت الاحتكاكى أو الرخو : (Fricative consonante)(2)

هو الصوت المتمادى الذى تسمع حركة الهواء عند صدوره ومن أمثلته فى العربية (الهاء ، والحاء ، والعين ، والخاء ، والغين ، والشين ، والجيم ، السين ، الصاد ، الزاى ، الظاء ، الذال ، الثاء ، الضاد) وينقسم الصوت الرخو من حيث حركة الهواء الى أصوات الصفير ، صوت التفشى أصوات انسيابية .

أصوات خيشومية : (Consonne nasale)

من أقصى الحنك يهبط مع النون والميم تاركا كل الهواء يمر فى الفراغ الانفى وحده مما يجعل القدماء يسمون كلا من النون والميم أصوات خيشومية .

---

(1) — محمود السعران . علم اللغة . ص 148 .

(2) — راجع : الخليل 12 ص . و سيبويه . ص . 313 وابن جنى ص 70 . من هذا البحث

الاصوات الذليقة : (Consonne bilabicale)

مثل اللام ، والراء ، والنون ، لقد سمى بعض القدماء هذه الاصوات الثلاثة بالاصوات الذولقية (1) .

الصوت المركب : (Diphtongue)

وهو الصوت الناتج من التقاء صوتي لين أحدهما مقطعي والآخر غير مقطعي (2) .

صوت انزلاقي : (Consonne glissante)

الصائت المركب . . . هو في واقع الامر صوت صائت يتضمن " انزلاقا " مقصودا ، اذ تبدأ أعضاء النطق متخذة الوضع الخاص بصائت من الصوائت ثم تنتقل مباشرة نحو الوضع الخاص بصائت آخر ويميز الصائت المركب كذلك أنه يتكون من " مقطع واحد " أى أن " الانزلاق " أو الانتقال من الصوت الاول الى الصائت الثاني ينبغي أن يتم بدفعة واحدة من النفس (3) .

الصوت الساكن (4) : (la consonne)

صوت يضيق عند صدوره مجرى الهواء فيسمع له صفير أو حفيف أو ينحبس لحظة فيسمع له انفجار مثل : ع . ف . ومثل ب ، ك .

---

(1) ـ ابراهيم أنيس . الاصوات اللغوية . ص 50 .

(2) ـ نفسه . 3 محمود السعران . علم اللغة ص 293 .

(3) ـ محمود السعران . علم اللغة . ص 293 .

(4) ـ ابراهيم أنيس . الاصوات اللغوية . ص 27 .

صوت مستثل : (أو مستلب أو مفسود : (1)

تتكون الصوامت المستلة (المستلبة المفردة) باحداث طرقة واحدة من عضو مرن ، كطرف اللسان ، على عضو آخر كاللثة ، بحيث لا يستغرق الاتصال زمنا ملحوظا ومن أمثلة هذه الاصوات : " الراء المستلة .

وتتكون " الراء المستلة " كما تتكون " الراء المكررة ولكن ليس فيها الا طرقة واحدة من طرف اللسان على اللثة . ويحدث الوتران الصوتيان عند نطقها نغمة موسيقية فهذه الراء صامت مجهور لثوى مستثل .

أصوات مفصلة : (Consonne détaillée

ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاى والسين .(2)

أصوات أسنانية لثوية (Consonne dentale gingivale

ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء ومعنى ذلك أنها أصوات أسنانية لثوية .(3)

أصوات انسيابية : (consonnes spirantes

وتتميز بضعف حركة الهواء لان مجراها معها أقل ضيقا من غيرها .(4)

---

(1) — محمود السعران . علم اللغة . ص 188 .

(2) — كمال بشر . علم اللغة . الاصوات . ص 116 عن ابن جنى .

(3) — نفسه .

(4) — مجموعة المصطلحات العلمية والفنية . بمجمع اللغة العربية . القاهرة . مج : 3 . ص 141 .

صوت شبه صائت :[1] (Semi voyelle) أو (نصف صائت)
يطلق هذا المصطلح على " صوائت انزلاقية " يحدث فيها أن تبدأ الاعضاء " بتكوين صائت ضيق " (كالكسرة مثلا) ثم تنتقل بسرعة الى " صائت " آخر أشد " بروزا " ولا يدوم وضع الصائت الاول زمنا ملحوظا .
والذى يدعو الى ادراج هذه الاصوات تحت طبقة (الصوامت) هو ماتتميز به من انتقال سريع مع ضعف فى قوة النفس (الزفير) وفى العربية صوتان ينطبق عليهما هذا الوصف هما الواو والياء .

الصوت الشديد أو (الانفجارى)[2] (La consonne occlusive-explosive)
صوت ينحبس معه الهواء بسبب التقاء عضوين من أعضاء النطق وعند اتصالهما فجأة يسمع للصوت انفجار .

الصوت الشهيقى : (avulsif)
صوت لغوى يتكون مع الهواء الشهيق فى حين أن معظم الاصوات اللغوية تتكون مع الزفير ومن أنواعه مايسمى بحروف الطقطقة التى توجد فى بعض اللغات الافريقية .[3]

أصوات صحيحة : (Consonne non vocoid)
كل الحروف فى العربية ماعدا ، الالف والواو والياء .[4]

---

(1) — محمود السعران . علم اللغة . ص 127 .
(2) — ابراهيم أنيس . الاصوات اللغوية ص 24 — 25 .
(3) — مجموعة المصطلحات العلمية والفنية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة مج : 9 . ص 115 .
(4) — تمام حسان . مناهج البحث فى اللغة . ص 118 .

صوت صائت :

يحدد الصوت الصائت في الكلام بأنه الصوت " المجهور " الذي يحدث في تكوينه أن يدفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم وخلال الانف معهما أحيانا ، دون أن يكون ثمة عائق (يعترض مجرى الهواء اعتراضا تاما .

وتنقسم الى صوت صائت أمامي أو شبه مفتوح ، وصوت أمامي ضيق وصوت صائت خلفي[1] .

صوت مطبق :

يمثل عند النطق به أقصى درجات الاستعلا وفي العربية ، الصاد والضاد ، والطاء ، والظاء[2] .

الصوت المستعلي :(Consonne vélaire)

هو صوت يرتفع معه مؤخر اللسان نحو الحنك الاعلى وفي العربية هي (الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والقاف ، والخاء ، والغين ، والراء ، واللام المفخمتان[3] .

صوت مغلق :(son met)

يطلق هذا المصطلح على طبقة الصوامت الانفجارية[4] .

---

(1) — محمود السعران . علم اللغة . ص 160 .

(2) — نفسه . ص 191 — 192 .

(3) — مجموعة المصطلحات العلمية والفنية لمجمع اللغة العربية في القاهرة . مج 3 ص 142 .

(4) — محمود السعران . علم اللغة ص 93 .

صوت التفشي : (Chahutante) (1)

وهو الشين ومجهورها ويتميز بأن مجرى الهواء معه أكثر اتساعا منه في أصوات الصفير وأن الهواء لا يقتصر تسربه على المخرج بل يتوزع في جنبات الفم .

الصوت المكرر : (consonne roulée) (2)

صوت يتميز بحركة ترديدية في طرف اللسان أثناء النطق به وهو الراء .

صوت لهوي : (consonne uvulaire)

وهي الأصوات التي يكون مخرجها من اللهاة . مثل القاف . (3)

صوت اللين : (La gayelle) (4)

صوت لغوي لا يصحبه في صدوره صفير أو حفيف وليس في مجراه حوائل وله أقسام كثيرة من حيث الكم :

صوت لين مختلس

صوت لين مديد

صوت لين قصير

صوت لين طويل

---

(1) — مجموعة المصطلحات العلمية والفنية . مج : 3 . ص 141 .

(2) — نفسه . ص 142 .

(3) — ابراهيم أنيس الاصوات اللغوية . ص 69 .

(4) — نفسه . ص 37 .

أما من حيث الكيف :

صوت لين أمامي .

صوت لين خلفي (1)

صوت لين ضيق (2)

صوت لين مطلق

أصوات مقطعية : (Phonèmes syllabiques)

وجد المحدثون أن اللام والنون والميم تحتل القمم في بعض الاحيان مثلها في هذا مثل أصوات اللين ولهذا اعتبروا أصوات اللين ومعها اللام والنون والميم أصواتا مقطعية لأنها هي التي تحدد المقاطع الصوتية في الكلام . (3)

الصوت المزجي (4) : (La consonne affriquéesemi occlusive)

شبه انفجاري : صوت يتكون من امتزاج صوت شديد بصوت رخو ومثاله : تس ، دج ... الخ .

الاصوات المائعة (5) : (Les consonnes liquides)

اللام والنون والميم والراء تكون مجموعة خاصة لا هي بالشديدة

---

(1) — نفسه . ص 37 .

(2) — نفسه . ص 105 .

(3) — نفسه . ص 110 .

(4) — مجموعة المصطلحات العلمية والفنية لمجمع القاهرة . مج : 3 ص 142 .

(5) — ابراهيم أنيس . الاصوات اللغوية . ص 25 .

ولا الرخـوة وسمـوها (Liquide) أي الاصوات المائعـــة .

الصوت المنبـور : (1) (Le phonème accentué)
فالصوت المنبـور أطول منـه حين يكون غيـر منبـور ، وانسجام الكلام يتطلـب طول بعض الاصوات وقصـر البعض الآخـر . اذ يميـل الصوت المنبـور الـى القصـر اذا وليـه صوت غيـر منبـور . فالألـف في " كتاب " أطـول منها في العبـارة " كتاب تلميـذ " .

الصـوت المنطـوق : (2) Allophone
(الالـوفـون)
أو فـون
يجب التفريـق بين الصوت المنطوق أو ما يشار اليـه أحيانـا بالمصطلـح (فون) أو (Allophone) أو (phone) وبيـن الفـونيـم أو ما يسمى (الصورة الـذهنيـة للصـوت) أو الوحـدة الصوتيـة .

صوت انتقـالـي : (3) (Allophone)
مثـل اليـاء صـوت انتقـالي أي أنهـا تتكـون من موضـع صوت الليـن ثم تنتقـل الـى موضـع آخـر من مواضـع أصوات الليـن .

الصوت المهمـوس : (4) (son transitoire)
هو الذي لا يهتـز معـه الوتـران الصوتيـان ولا يسمـع لهمـا رنين حيـن النطـق بـه مثـل : السين ، الصاد ، التاء ، الثـاء .

(1) — نفسـه . ص 105 .
(2) — كمال بشـر . علم اللغة . القسم الثاني للاصوات . ص 42 .
(3) — ابراهيم أنيـس . الاصوات اللغوية . ص 43 .
(4) — نفسـه . ص 22 .

الاصوات المتوسطـــة :(1) (Les consonne liquide)

وهي أصوات متمادية يتسع لها مجرى الهواء بما يقرب من اتساعه مع أصوات اللين ولا تكاد تسمع حركة الهواء عند صدورها .

والاصوات المتوسطة في العربيـــة : الراء والـلام والميم ، والنـــون وتنقسم من حيث مجراها الــى :

أ ــ صوت أنفي وهو النون والميـــم .

ب ــ صوت فمي وهو الراء والـــلام .

---

(1) ــ مجموعة المصطلحات العلمية والفنية .لمجمع اللغة العربية بالقاهرة مج : 3 . ص 141 ــ 142 .

و — بين الاشارة والعلامة والرمز والصوت

ان اللغة من حيث انها مجموعة من الاشارات أو العلامات أو الرموز ، هي الاصوات التي يحدثها جهاز النطق الانساني والتي تدركها الاذن ، هذه الاصوات التي تتألف بطرائق اصطلاحية في كلمات ذات دلالة اصطلاحية .

فهذه الحيثية للغة تطلعنا على مفهوم ضيق للغة في شقها الثاني وأنها أصوات يحدثها جهاز النطق الانساني والتي تدركها الاذن ، في حين أن شقها الأول يوقفنا على أوجه الاختلاف بين اللغة ووسائل الاتصال الاخرى التي تذكر منها الاشارة والعلامة والرمز .

وقديما كان الجاحظ يجد نوعا من الحرج لتعريف الاشارة وقد جعلها تدخل في صناعة الكلام وقد أتيحت له الفرصة في " الحيوان " لشرحها لكنه اعتذر منها أيضا بقوله :

((ولولا مخزانا في هذا الكتاب سوى هذا لقد كان هذا مما أحب أ يعرفه اخواننا وخلطاؤنا))(1) .

فنحن مضطرون حينئذ الى الاكتفاء ببعض الاوصاف التي وصفنا بها مما التقطناه من كتابي الحيوان والبيان .

ومن تلك الأوصاف قوله : ((وأما الاشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب اذا تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف وقد يتهدد رافع السيف

---

(1) — الجاحظ . الحيوان . ج : 1 ص . 49 .

والسوط فيكون ذلك زجرا ويكون وعيدا)) [1] .

فمواصفته هذه تدل على مدى ادراكه البعيد لهذه الوسيلة التعبيرية التي أصبحت علما مستقلا في عصرنا الحاضر هو علم " الحركة الجسمية " .

فقوله :((ان الاشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط)) [2] .
يدل على تفطنه لطبيعة الاشارة ووظيفتها في تأدية الكلام ويؤيد هذا الرأي تأكيده على أن الاشارة ، ذات صور ، معروفة وجلية موصوفة على اختلافها في طبقاتها و ودلالاتها ، وانما تستعمل في أمور يسترها بعض الناس من بعض ، ويخفونها عن الجليس ، فهي للخاص الخاص [3] .

ويقابل الجاحظ بين الاشارة والصوت فيقول : " ان مبلغ الاشارة أبعد أيضا من مبلغ الصوت " [4] .

ويرى الجاحظ أن الاشارة من أهم المسائل التي تساعد على تصور عملية الكلام تصورا لا يبعد عما تعرفه اللسانيات اليوم وما هو

---

(1) ـ نفسه . ص 77 / 14 .
(2) ـ نفسه . ج : 4 ص 78 .
(3) ـ نفسه .
(4) ـ نفسه . ج : 5 . ص 79 .

تمييز للوسائل الكلامية اللفظية من غيره . ومهما يكن فانه يستنتج من جميع الملاحظات التى سجلها فى باب الاشارة أن هذه الأداة فى نظره تختلف اختلافا جوهريا عن اللفظ والخط، فهى لاتعتمد على الصوت، ولا على الحبر وانما هي عبارة عن حركة مختصرة ، كرفع السيف ، وتحريك الحاجبين ، تجعل علامة على معنى واحد أو معان كثيرة فى الوقت نفسه .

وأن الفرق بين الاشارة والصوت من جهة واللفظ والخط من جهة أخرى هو أن الاشارة لاتعتمد على التقطيع والتركيب المتسلسل مع المعانى بل تشكل حركة أو علامة واحدة فهي أدخل فى باب الرمز منه فى باب الكلام المقطع . ولذلك قال عنها عون وترجمان (1) .

والحقيقة أننا لانستطيع أن نميز فى حديثنا الدارج بين مصطلحى الاشارات والعلامات ، ولكن علم السيموطيقا يمايز بينهما (2) .

فكل ظواهر العالم المحيطة بنا هي ظواهر عديدة ومتباينة تفيدنا أو تعلمنا شيئا ما .

---

(1) — نفسه . ج : 4 . ص 78 .

(2) — السيموطيقا : علم حديث ومعناه نظرية الاشارات والرموز . والكلمة مشتقة عن كلمة يونانية قديمة هي سيميون (sémion) ومعناها "اشارة" ويدرس هذا العلم لغة الانسان والحيوان وغيرها من اللغات غير الانسانية باعتبارها نسقا من الاشارات والرموز، مثل علامة المرور ، والاشارات، والخرائط، والرسوم البيانية وغيرها . راجع : شوقى جمال . الاصوات والاشارات . الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1972 م . ص 10.

والعلامة هي الحامل المادي لهذه الدلالات الاعلامية فلبضات التيار والكهربائي ، وحروف هذا الكتاب ، وصور الصحائف والمجلات ، والتيارات الكهربية الحيوية للمخ ، كلها علامات ، والاشارات ضرب آخر من ضروب العلامات انما تختلف من حيث أنها اشارات اصطلاحية تواضع عليها الناس فالدخان يتصاعد من النار علامة أو اشارة دالة على مايسميه علماء السيموطيقا انه يعلمنا على وجود نار رغم أننا لا نراها .

ومن هنا نجد أن المؤلفين ذوى الثقافة السكسونية يميزون " العلامات اللغوية " من جهة ما يسوغها دلاليا أى من جهة العلاقة الطبيعية أو على العكس الاصطلاحية بين الدال والمدلول .

وقد عمل " بيرس " فى أواخر القرن التاسع عشر على تصنيف مصطلح "العلامات " بغية الوصول الى نظرية طبيعية عن علم للعلامات كلى . ورغم أن تصنيف " بيرس " تجاوز اليوم علاميا ودلاليا نعرف به فيما يلى :
يميز " بيرس " بين ثلاثة أنواع من العلامات :
"الرمز بالمعنى العام " و " العلامة المشهدية " و " الأيقونة "و" القرينة " ويعرف كلا منها استنادا الى مفهوم المفسر ، أى الاثر التى تحدثه فيواعى بالتالى الطابع الطبيعى ، أو الاصطلاحى فى كل منها ...(1)

---

(1) — عدنان بن ذريل . اللغة والأسلوب . ص 125 .

الرمز بالمعنى العام " Symbol " ، اشارة (signe) أو علامة
اصطلح عليها ويقوم على الطابع التحكمي بين الدال والمدلول .... ولذلك هو يقابله بالايقونة ، أو العلامة المشهدية ، والتي هي علامة غير تحكمية الاصطلاح .

يقول " بيرس " " الايقونة " اشارة ، أو علامة تحتوى على خصيصة تجعلها دالة ، رغم أن موضوعها غير موجود مثل أثر القلم الذى يمثل المثلث ، فى حين أن الرمز اشارة ، أو علامة تفقد هذه الخصيصة التى تجعلها اشارة ، اذا لم يوجد المفسر ، وتلك هي حال العلامات اللغوية، والتى تدل على ماتدل عليه فقط من واقعة انها نسبت اليها هذه الدلالات (1) .

ويطلق مصطلح " العلامة " بمعنى " السمة "،(la marque)
ومنه :

العلامات الكتابية : (accent graphique)
وهي العلامات التى تضاف الى العناصر الأساسية والكتابية والدلالة على النبر أو على الكم أو الكيف الصوتى أو على خصائص أخرى كتغيير النطق أو حذف حروف من الكلمة على نحو مانرى فى نبر الحروف .

---

(1) — نفسه . ص 125 .

العـلامات المميـزة : (Points diacritiques)

الالـف باء " الدوليـة " تتكـون من الرمـوز اللاتينيـة وبعض الحـروف اليونـانيـة مع عـدد من الحـروف المصنوعة وعـدد قليـل من " العلامات المميـزة " التى تضـاف الـى بعـض الحـروف .

العلامـة اللسانيـة : الرمز اللغـوى . (سوسيـر) .

حيث يقـول : (ان العلامـة اللسانيـة لاتربـط شيئـا باسـم تصـورا بصـورة سمعيـة ، وهـذه الأخيـرة ليـست الصوت المـادى الذى هـو شـىء فـزيائى صـرف ، بـل هـي الـدفـع النفسـى لهـذا الصـوت أو التمثـل الـذى تهبنـا أيـاه شهـادة حـواسنـا ، ان الصـورة السمعية هي حسيـة ، واذا مادعـوناهـا " مـادية " فانمـا تكـون فى هذا المعنى فضـلا عن مقـابلتهـا مـع التصـور الـذى هو العبـارة الاخـرى للترابـط الاكثـر تجـريـدا بشكـل عام (1) .

فسـوسيـر يقابـل مصطلـح " العلامـة اللسانيـة " بـ " الزمز اللغوى" والعلامة الألسنيـة ذات كيان نفـس ذو وجهيـن يـربـط بينهمـا رابـط يجمـع بين مفهـوم وصـورة صوتيـة ، (وليـس بيـن شـىء واسـم) ويـرى سـوسيـر أن الصـورة الصوتيـة ليسـت الصوت المادى ، بـل الانطبـاع أو الأثـر النفـسى لهذا الصـوت فى الدمـاغ وهـو يسمـى " المفهـوم " " مـدلولا " (signifié) . والصـورة الصوتيـة دالا (signifiant) والجامـع بينهمـا هو " الرمز اللغـوى " (Signifiant) .

---

(1) — سوسيـر . محاضـرات فى الألسنيـة العامـة . ص 88 .

فالرمز اللغوى " ماء " مثلا يجمع من وجهة النظر بين مفهوم " الماء " فى الذهن وانطباع الصورة الصوتية المشكلة من (م + ا + ء) فى الذهن أيضا [1] .

هذا ولمصطلح " الرمز " استعمالات لغوية نذكر منها :

الرمز : (Signifiant) [2]

الذى يعتبر أكثر اتصالا بعلم الدلالة هو نظرية دى سوسير عن الرمز والمقصود :

رمز كتابى :

مكون من حرفين (Diagraphe) جرت عادة الصوتين على تمثيل الصوامت الانفجارية الاحتكاكية فى الكتابة الصوتية برمز مكون من حرفين أولهما الحرف الذى يستعمل لتمثيل الصوت الانفجارى وثانيهما الحرف الذى يستعمل لتمثيل الاحتكاكى المقابل له .

رمز نوعى :(Typorogique)

فكل رمز فى هذه الابجدية العالمية الصوتية نوعى يدل على طائفة من حالات النطق تشترك فى سلوك عضلي وسمعى معين، وتختلف فى تفاصيل نطقها وسماعها .

---

(1) — سوسير . محاضرات فى الألسنية العامة . ص 89 .

(2) — نفسه .

رمـز الـرمـوز : (Symboles de symboles)

ان هـذه الاشكال الكتابيـة التى هي " الحروف " كما يقـول "ادوارد سابير" ثانويـة بالنسبـة الى رمـوز الكـلا م الملفـوظـة التى هي الأصـوات أى أن الأشكـال الكتابيـة هـي " رمـوز الرمـوز "(1) .

رموز فرعيـة مصاحبـة : (Marques diacritique)

الرموز الكتابية فى العادة تـدل علـى النطـق وبمـادلـت على عـلاقـة أو عـلاقتيـن ، كالجهـر والـهمس، والغنـة تاركـة بقيـة العلاقـات كالتفخيمـة والنبـر . ليـرمز لـها برمـوز فرعيـة مصاحبـة أو لا يرمز لـهـا (2) .

وما نخلـص اليـه فـى هـذا الفصـل أن المحـاولا ت مستمـرة فى تحـديـد مصطلحات فى اللغـة لها صلـة بالدرس الصوتـى وفى تنـاول العربـى الحـديـث على الخصـوص فـى اتجـاه تطـويـر المصطلحات الصوتيـة وسائر مصطلـحات العلوم اللغـويـة العربيـة القـديمـة ، وأن تجـدد الحيـاة العربيـة ، الحضارية ، والعمرانية والثقافـيـة ، والأدبيـة يسمـح اليـوم بهـذا التطـويـر العلمـى ، الاميـن .

ولئـن فـرق " دى سوسيـر " بيـن اللغـة والكلا م كما رأينـا ، وفتـح المجـال أمام تبيـن أصالـة الظاهـرة اللغويـة ، وتطورهـا ، سواء مايتعلـق منهـا بالصوت أو الـدلالة ، أو قـدرة المتكلـم على التعبيـر اللغـوى ...

---

(1) — رشـاد الحمـزاوى . المصطلحات اللغويـة الحديثـة فى اللغة العربيـة .
ص 73 .

(2) — نفســه .

فقد حاولت مخلصة في هذا الفصل أن أغوز مفهوم كل من الحرف والصوت وغيرهما من المصطلحات الفرعية التي ترد في الحديث عنهما عادة ، كاللفظ ، والقول ، والاشارة ، والعلامة ، والرمز ، عند اللغويين قدماء ومحدثين مع الوقوف عند معطيات هؤلاء في هذا المجال .

وغايتي من هذا كله اختصار وترتيب تلك الآراء ، وبيان تأويلات وتعليلات وخلافات أصحابها ومحاولة الموازنة بينها وصولا الى حدود واضحة تعين على فهم تلك المصطلحات اللغوية والصوتية ، وتحدد مدى أهمية اللغويين العرب القدماء في مجال الدرس الصوتي ، ومدى نجاح المحدثين في معاودة ذلك التراث وتمثله وتوظيفه لخدمة اللغة العربية ومدى نجاحنا في تقديم معطيات أسلافنا على وجه التحديد الواضح والحكم العادل .

الفصل الثالث

المصطلحات الدالة على أعضاء النطق

أعضاء النطق وحدوث الصوت اللغوي :

ذكرنا في الفصل السابق أهم المصطلحات اللغوية التي تقارب مثلما أولها صلة مباشرة بالدرس الصوتي ، وهذه المصطلحات كثير منها جاء ذكره في لغة التراث وعند السلف من علماء اللغة .

ومن ذلك أيضا ماله صلة بأعضاء النطق ، وماله صلة بكيفية حدوث الأصوات اللغوية وآلية ذلك الحدوث ، ومواضع تكونها ، وصفاتها ، وفيما يلي الكلام على :

الجهاز النطقي :

يطلق مصطلح " الجهاز النطقي " عند الانسان (appareil vocal) على مجموعة الأعضاء التي تشترك في اصدار الأصوات اللغوية المشتمل على الرئتين ، والقصبة الهوائية ، والحنجرة ، والحلق ، و سقفه ، والتجويف الأنفي ، والشفتين ، والأسنان ، واللسان ، والحنك

وأول ما نسجله على تسمية هذه الأعضاء كلّها " بالجهاز النطقي " أنّها تسمية مجازية ، ولعلّ من الاجحاف تسميته بذلك لما يبدو من اغفال للوظائف الحيوية الأخرى التي تؤديها الأعضاء يقول الدكتور رمضان عبد التواب[1] :

((... اذا علمنا أنّ الشفتين مثلا تستخدمان لمنع الطعام أن يخرج من الفم في أثناء المضغ كما تستعملان في المصّ ، بتضييق الفجوة بين منطقة الضغط الخفيف داخل الفم والسائل الذي يراد امتصاصه وغير ذلك من الأغراض الأخرى .))

---

(1) — انظر : المدخل الى علم اللغة . مكتبة الخانجي . القاهرة . 1980م . ص 19 .

كما تستعمل الأسنان والأضراس لتقطيع الطعام ومضغه ،واللسان وهو عضلة نهاية التعقيد من ناحية تركيبه وحركته ، يساعد على خلط الطعام في الفم . ويفصل سقف الفم بين تجويفين يختلفان في الوظيفة هما تجويف الفم وتجويف الأنف . والتجويف الأنفي حجرة لتكييف الهواء قبل هبوطه الى الرئتين ،والحلق ممر للهواء ، وهو ... بالأوتار الصوتية التي هي جزء من الحنجرة ، وهذه الأوتار صمام لحفظ الرئتين من الأجسام الغريبة ولحبس الهواء فيهما لأغراض مختلفة ، منها السعال ، وحمل الأحمال الثقيلة ، والرئتان تكرران الهواء وترسلانه الى القلب ،ويتم هذا التكرير عن طريق التنفس .

وهكذا نرى أن هذه الاعضاء التي جرى الاصطلاح على تسميتها " أعضاء النطق " لا تنحصر وظيفتها الأساسية في احداث الصوت فحسب بل ان لها وظائف حيوية أخرى ،كما يوجد لدى كل حيوان جهاز يماثل أو يقارب الجهاز النطقي لدى الانسان ،لكن الضرورة الاجتماعية مضافة الى الذكاء الانساني خلقا وظيفة ثانوية لهذا الجهاز الحيوي هي وظيفة النطق اللغوي .

ويستطيع الانسان بتحريك الأجزاء القادرة على الحركة من هذا الجهاز وتقريبها من أجزائه الأخرى أن يحدث تضييقا في مجرى الهواء ،كما يستطيع بالصاق الأجزاء القادرة على الحركة أيضا بالأجزاء الأخرى منه أن يقفل مجرى الهواء اقفالا تاما ، وبهذا التضييق وذلك الاقفال أو عدمهما يستطيع المرء أن يحدث من الأصوات ما لا حصر له .

أما الحيوان فانه قد يستعمل نقطة ما من هذا الجهاز الصوتي فيخرج صوتا واحدا متشابها ،أو صوتين متواليين

دائما . هذا من جهة ومن جهة أخرى أن النطق فى الواقع ليس أكثر من وظيفة ثانوية تؤديها هذه الأعضاء الى جانب قيامها بوظائفها الرئيسة التى خلقت من اجلها ، فعجز الانسان الابكم عن الكلام لا يعنى على الاطلاق عجز أعضائه هذه عن القيام بوظائفها الأخرى التى تحفظ لصاحبها الحياة ، فلسان الأخرس يقوم بجميع الوظائف التى يقوم بها لسان غير الأخرس فيما عدا الكلام بطبيعة الحال(1).

فاصدار الأصوات الكلامية ليست الا وظيفة واحدة من الوظائف الكثيرة التى تقوم بها هذه الأعضاء .

وسنورد فى الآتى ذكره تعريفا لمصطلحات أعضاء النطق والجهاز النطقى كما يعرفها القدماء ونخلص من ثمة الى الحديث من تعريفها عند المحدثين والموازنة بينهما .

جهاز النطق عند القدماء :

لم يعطنا الخليل أو سيبويه أو المبرد أو ابن جنى ، ولا من سبقهم تعريفا أو مصطلحا للجهاز الصوتى ككلا مكتملا ولم يهتموا بالجهاز الصوتى من حيث هو جهاز مهمّ فى العملية الصوتية .

---

(1) — انظر :

1 — عبد الرحمن أيوب . أصوات اللغة . ص 40

2 — رمضان عبد التواب . المدخل الى علم اللغة . ص 20

3 — خليل ابراهيم العطية . فى البحث الصوتى عند العرب . ص 12 .

بل جاء الكلام على هذا الجهاز فى أثناء دراستهم للمخارج أو عند دراسة صفات الحروف ، ولذلك كان الكلام عن هذا الجهاز عضوا عضوا ، الواحد مستقل عن الآخر ، وكأن تلك الأعضاء مستقلة تماما ولا ترابط أو تتابع بينها ، ومن خلال التفاصيل التى أتى بها الخليل فى كلامه على مخارج الأصوات والنطق بها وعن مميزاتها وترتيبها بالمس تداع تعريف الأعضاء التى تدخل فى العملية الصوتية وهى عنده :

الحلق ، واللهاة ، وشجر الفم ، واللسان ، وأسلته ، ونطع الغار ، واللثة ، والشفة .

قال الخليل :

(العين ، والحاء ، والهاء ، والخاء ، والغين ، حلقية لأن مبدأها من الحلق .) ، دون أن يعرف الحلق " من حيث هو عضو من أعضاء النطق ، أو يشرحه لمعرفة أقسامه وكيفية حدوث الصوت وأطلق مصطلح " حلق " على منطقة واسعة تسع لمخرج الحروف الستة المذكورة وهكذا يتبع نفس المنهج مع بقية الأعضاء .

فيقول :

- القاف ، والكاف لهويتان ، لأن مبدأها من اللهاة .
- الجيم ، والشين ، والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم .
- الصاد ، والسين ، والزاى ، أسلية لأن مخرجها من أسلة اللسان .
- الطاء ، والتاء ، والدال نطعية لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى .
- الظاء ، والذال ، والثاء ، لثوية لأن مبدأها من اللثة .
- الراء ، واللام ، والنون ، ذليقة لأن مبدأها من ذلق اللسان .
- الفاء ، والباء ، والميم ، شفوية لأن مبدأها من الشفة .
- الياء ، والواو ، والألف ، والهمزة هوائية فى حيز واحد لأنها

، لا يتعلق بها شئ[1] .

وهكذا نستطيع أن نتعرف على أعضاء النطق عند الخليل من خلال تحديده لمخارج الحروف لكن ما يسجل على هذه المصطلحات التى أطلقها الخليل على أعضاء النطق أنها ليست من صنعه وقد أثيرت الشكوك فى صحة نسبتها اليه ، والسبب فى ذلك يعود الى عدم وجود بعضها عند سيبويه تلميذ الخليل ولم يأخذ بهذا الرأى ابراهيم أنيس ومحمود السعران[2] .

وقد تعرض سيبويه لأعضاء النطق من خلال حديثه عن مخارج الحروف أيضا أسوة بأستاذه لكنه أضاف تقسيما جديدا لأعضاء النطق خلافا لما فعله شيخه .

اذ عرف الحلق وقسمه ثلاثة أقسام :

- أقصى الحلق ومنه مخرج (الهمزة والهاء ، والألف)
- أوسط الحلق ومنه مخرج (العين ، والحاء)
- أدنى الحلق ومنه مخرج (الغين والخاء)

ويترتب على هذا التقسيم أن جعل للهمزة والألف مخرجا فى حين أن الخليل جعل (الهمزة والألف) هوائية لا مخرج لها[3] .

---

(1) — الخليل . العين . ج : 1 . ص 65 .

(2) — انظر : ابراهيم أنيس . الأصوات اللغوية . ص 107 .
محمود السعران . علم اللغة ص 96 .

(3) — سيبويه . الكتاب . ص 433 .

الأسنان :

يقول سيبويه :

- ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء و الدال والتاء .
- ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاى والسين والصاد .

ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء (1) .

وواضح أن سيبويه فى تقسيمه للأصوات الأسنانية أنه يشير الى أصول الثنايا وأطرافها كأعضاء تسهم فى عملية النطق ببعض الأصوات وقد أطلق على الأولى فيما بعد مصطلح " الأصوات النطعية " وعلى الثانية مصطلح " الأصوات الصفيرية " وعلى الثالثة مصطلح " الأصوات اللثوية "

الشفة :

يقسم سيبويه مخرج الحروف الشفوية الى قسمين :
(باطن الشفة السفلى ، والشفتان)

يقول :

- فمن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء .
- ومما بين الشفتين مخرج : الباء ، والميم ، والواو (2) .

كما ذكر سيبويه "الخيشوم" الذى يقابل الفراغ الأنفى عند المحدثين بقوله : (ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة (3))

---

(1) — سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص 433 .
(2) — نفسه
(3) — نفسه

وعرّف أبو العباس المبرد ، الحلق ومخارجه الثلاثة ، والشدق (الفك) واللسان وأقسامه ، والثنايا العليا ، وأصول الثنايا ، والرباعيات والشفتين ، والخياشيم[1] . دون اضافة تذكر على ما جاء عند سيبويه في التعريف بأعضاء النطق .

وردّ " ابن دريد " في مقدمة الجمهرة " كل مسميات سيبويه لأعضاء النطق دون زيادة تذكر أيضا[2] .

ومن المعروف أن ابن جني هو أول من عرض لجهاز النطق فشبهه بالناي وبوتر العود ليقدّم صورة عن العملية الطبيعية لانتاج الكلام وليوضح تقسيم الأصوات حسب المخارج وتقسيمها الى أصوات صامتة وأخرى متحركة ، وهذه الصورة التي قدمها أبو الفتح خطوة متقدمة في الدرس الصوتي لأنها تمثل صورة صحيحة للتطور العلمي عند العرب .

يقول أبو الفتح :

((ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها ، التي هي أسباب تباين أصدائها ما شبّه بعضهم الحلق والفم بالناي فان الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا ، كما يجري الصوت في الألف غفلا بغير صنعة فاذا وضع الزامر أنامله على حروف الناي المنسوقة وراح بين أنامله ، اختلفت الأصوات وسمع

---

(1) ـ المبرد . المقتضب ، ج : 1 ، ص 192 ـ 194 .

(2) ـ خليل ابراهيم العطية ، الفكر الصوتي عند ابن دريد ، مجلة آداب عدد 16 . 1980 م ، ص 177 .

لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه ، فكذلك اذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة .))(1) .

ونظير ذلك أيضا وتر العود ، فان الضارب اذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتا ، فان حصر آخر الوتر ببعض اصابع يسراه أدى صوتا آخر ، فان أدناها قليلا سمعت غير الاثنين ، ثم كذلك كلما أدنى أصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة ، الا أن الصوت الذي يؤديه الوتر غفلا غير محصور تجده بالاضافة الى ما أداه وهو مضغوط محصور ، أملس مهتزا ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر وصلابته ، وضعفه ورخاوته فالوتر في هذا التمثيل كالحلق ، والخفقة بالمضراب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق وجريان الصوت فيه غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة ، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع ، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا .))(2)

وما يجدر ذكره هنا أننا لسنا في موضع نتتبع فيه كل ما كتبه أبو الفتح في الأصوات وبخاصة في سر صناعة الاعراب حسبنا في هذا المجال بحث " هنري فليش " الذي عنونه بـ ((التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الاعراب)) يقول فيه : ((لقد عالج ابن جني جميع ما خطر له من مسائل علم

---

(1) — ابن جني . سر صناعة الاعراب . ج : 1 . ص 10 .

(2) — نفسه . ص 9 — 10 .

الأصوات وكان من حسن الحظ أنه اتخذ لهذا الكتاب مقدمات لا وصف الحروف فحسب ، وانما يعطينا كذلك أصولا لعلم الأصوات العام ، على الطريقة العربية ، وعلى أساس من الأفكار الأصيلة .)) (1)

فهو اذن حقيق ببحث مفرد ولكننا نكتفي بتعريف الأعضاء التي تدخل في العملية الصوتية عنده وهي : الصدر ، والحلق ، والفم ، والشفتان

الصدر :

وهو "اصل النفس" (2) وضروري لانتاج الصوت ، وهو النقطة التي يبدأ منها الصوت خروجه ، مستطيلا متصلا .

"اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا . "" (3)

وبالصدر يقصد ابن جني الرئتين وما يحيط بهما ، ونلاحظ أنه لا يوجد في الصدر أي مخرج من مخارج الحروف ولذلك يعود سر عدم اهتمام في ضالة اهتمام ابن جني بالصدر .

الحلق :

ويدخل مباشرة في العملية الصوتية ويذكر ابن جني عند الكلام عن الفرق ما بين الصوت والحرف فيقول :

((" ..... حتى يعرض لهم في الحلق)) . (4)

---

(1) — هنري فليش . التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الاعراب . ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين . وقد نشرت هذه الترجمة في مجلة مجمع اللغة العربية . بمصر . عدد 23 ، 1968 ص 55 .

(2) — ابن جني . سر صناعة الاعراب . ج 1 ص 9

(3) — نفسه . ص 6 .

(4) — نفسه . ص 6 .

وحين يتكلم عن المخارج يقسم الحلق الى ثلاثة أقسام :
أقصى الحلق ، وسطه ، أدناه .
يقول ابن جنى : ((واعلم أن مخارج الحروف ستة عشرة ثلاثة منها في الحلق فأولها من أسفله وأقصاه .... ومن وسط الحلق مخرج .... وما فوق ذلك مع أول الفم ....))(1).

الفم :

ويتكون من عناصر ثلاثة :
ـ اللسان والذى يشارك فى العملية الصوتية ، بأقصاه ، ووسطه وطرفه أو الذلق .

يقول ابن جنى : ((ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف
ومن وسط اللسان مخرج الجيم والشين والياء .
ومن طرف اللسان .. مخرج النون .))(2).

ـ الحنك الأعلى ويشارك فى العملية الصوتية خصوصا .
((ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى ...))(3)

ـ الأسنان : وتنقسم الى أقسام : الثنايا ، الرباعيات ، الأنياب ، الضاحك وتدخل كلها فى عملية التصويت .

---

(1) ـ ابن جنى . سر صناعة الاعراب . ص 52 .
(2) ـ نفسه .
(3) ـ نفسه .

كما تدخل في عملية التصويت أصول الثنايا وأطرافها :
((مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام ....[1]
ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون .))

- **الشفتان** : وتلعبان دورا مهما في العملية الصوتية أما الاثنتان معا واما السفلى بمفردها ، ((ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء ....ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو .))[2] .

- **الخياشيم** : لقد اهتم ابن جني كثيرا بهذا العضو فهو مخرج من مخرج الحروف ، انه مخرج النون الخفيفة أو الساكنة أو " الغنّة " ، ((ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة أو الساكنة .))[3] .

هذه هي مكونات الجهاز النطقي عند ابن جني ومن سبقه من اللغويين العرب التي استطعت الوقوف عند مصطلحاتهم من خلال كلامهم على مخارج الحروف ، اعترافا بحلم هؤلاء القدماء وفضلهم في هذا المجال ، وليس القصور أو التقصير فيما رواه الخليل أو سيبويه في عدم تشريح هذه الأعضاء لأن هذا له ما يبرره - قياسا الى زمانهما - بل في صنيع من جاء بعدهما من العلماء

---

(1) — ابن جني . سر صناعة الاعراب . ج : 1 . ص 52 .

(2) — نفسه . ص 53 .

(3) — نفسه . ص 53 .

الذين اكتفوا بترديد كلامهم وفي الألفاظ والحروف نفسها دون أن يزيدوا ما يستحق الذكر ،ودون شرح واضح لتلك الآراء بل حتى اولئك المشهورون من شراح الكتاب أمثال أبي سعيد السيرافي[1] (ت 368 هـ) و الرماني (ت 384 هـ) ، كانوا يقتنعون في شرحهم بذكر ألفاظ سيبويه في عباراته ومصطلحاته كما هي .

وليس من اليسير أن نتهمهم جميعا وفي كل العصور بعدم فهم ما عناه سيبويه ، وقد حاولت أن أتتبّع النصوص التي جاءت في كتب فريق منهم مثل كتاب " المقتضب " للمبرد ،"وسر صناعة الاعراب" لابن جني ، و " المفصّل " للزمخشري ، و " النشر في القراءات العشر " لابن الجزري ،فلم أجد في هذه الكتب المشهورة شيئا ذا بال أضافه أصحابها على كلام سيبويه في وصف أعضاء النطق سوى بضعة مصطلحات ترددت أول الأمر عند ابن جني وفي كتبهم ، ولا تزال تتردد على ألسنة دارسي جهاز النطق أمثال : اللثة ،وأسلة اللسان ، ونطع الغار ، وأصول الثنايا ، واللهاة ... الخ

أما بعد هؤلاء فقد ألّف الشيخ الرئيس أبو علي ابن سينا رسالة في مخارج الحروف ،ولأنه كان طبيبا فلقد حدثنا بدقة عن تشريح الحنجرة ، واللسان ، فوصف أجزاءها ووصف العالم ،وتميز كلامه بمصطلحات لم يذكرها من سبقه من اللغويين العرب .

---

(1) — انظر :

1 — ابراهيم انيس . الأصوات اللغوية . ص 105 .

2 — خليل ابراهيم العطية . في البحث الصوتي عند العرب . ص 23 .

ففى تشريح الحنجرة يقول :

((ان الحنجرة مكونة من ثلاثة غضاريف : أحدهما موضوع الى قدام ينالـه المس فى المهازيل جدا عند أعلى العنق تحت الذقن ، وشكله شكل القصعة حدبته الى خارج والى قدام وتقعيره الى داخل والى خلف ، ويسمى الغضروف الدرقى والترسى))(1)

وما يلاحظ هنا أن هذا الغضروف هو المعروف عند المحدثين ((THYROIDE)) وهو يشبه فى شكله الترس أو الدرقة ، لأن المصطلح الاغريقى ((THYROIDE)) الترس .

والغضروف الثانى خلفه ، مقابل سطحه لسطحه ، متصل بالرباطات يمنة ويسرة ، ومنفصل عنه الى فوق ويسمى "عديم الاسم " .

والغضروف الثالث كقصعة مكبوبة عليهما وهو منفصل عن الدرقى مربوط بالذى " لااسم له " من خلف بمفصل مضاعف يحدث من زائدتين تصعدان من الذى لااسم له وتستقران فى نقرتين له ، ويسمى " المكبى " و " الطرجهالى " .

وما نستنتجه من تشريح ابن سينا " للحنجرة " أولا :
أن الغضروف الذى يطلق عليه مصطلح " عديم الاسم " مرة والذى " لااسم له " مرة أخرى هو ما يعرفه المحدثون بـ ((EPPIGLOTTE)) فكأنه حين ظهر له أن المقطع السابق "EPPI" لا يعنى أكثر من " فوق أو أعلى " وأن الكلمة " GLOTTE " بالاغريقية معناها

---

(1) — ابن سينا . أسباب حدوث الحروف . ص 14 .

اللسان تكون الترجمة الحرفية للمصطلح الأجنبي الاغريقي "فوق اللسان" فرأى أن هذا الغضروف رغم أهميته لم يوضع له اسم مستقل أي أغفلت تسميته فدعاه من أجل هذا "بعديم الاسم" أو الذي "لا اسم له" ويدل على هذا الفهم عدة نصوص وردت في رسالته وفي الجزء الثاني من كتابه القانون ويكفي هنا أن نسوق نص كتاب القانون :

((وخصوصا والازدراد لا يجامع النفس، لأن الازدراد يحوج الى انطباق مجرى قصبة الرئة من فوق لئلا يدخلها الطعام الماء فوقها ، ويكون انطباقها بركوب الغضروف المتكئ على المجرى ، وكذلك يسمى الذي لا اسم له . واذا كان الازدراد والقيء يحوجان الى انطباق فم هذا المجرى لم يمكن أن يكون عندهما .))(1) .

فهو هنا بما لا يدع مجالا للشك يشير الى حاجة المرء في أثناء البلع الى اغلاق طريق النفس، ويرى أن هذا الاغلاق يتم بوساطة غضروفين أحدهما وصفه بالمتكئ على المجرى وأغلب الظن أنه يعني ما يسميه المحدثون (CUNEIFRON) والغضروف الآخر ما يطلق عليه الذي لا اسم له ، وكلنا يعلم أن أهم وظيفة للغضروف المسمى (EPPIGLOTTE .) هي سد طريق التنفس في أثناء البلع ويشترك معه في هذا ال (CUNEIFRON)

ولكن الاطباء العرب في أيامنا هذه يسمون (EPPIGLOTTE) لسان المزمار ، ففي معجم " شرف " للمصطلحات الطبية نجد أنه

---

(1) ابن سيناء . القانون . ج : 2 عن كتاب ابراهيم أنيس . الأصوات اللغوية . ص 141 — 142 .

يطلق على (EPPIGLOTTE) عدة أسماء أشهرها لسان المزمار .
فاشتهر عند المحدثين الآن (EPPIGLOTTE) هو لسان المزمار الذى سوف نعرفه بعد حين ، ومما يلفت النظر اليه فى هذا المجال أن ابن سينا أيضا استعمل "لسان المزمار" باسم (PEIA.. GLATTIDIS) ، وهو الفرجة التى بين الأوتار الصوتية فيقول فى الجزء الثانى من القانون ما نصه : ((وخلق لأجل التصويت الشيء الذى يسمى لسان المزمار ، يتضايق عنده طرف القصبة ثم يتسع عند الحنجرة فيبتدىء من سعة الى ضيق ثم الى فضاء واسع كما فى المزمار فلا بد للصوت من تضييق المحبس ، وهذا الجرم الشبيه بلسان المزمار من شأنه أن ينضم وينفتح ليكون بذلك قرع الصوت .)) .
ثم تعيد الاشارة اليه فى آخر هذا الكلام فيقول : وفى داخلها الجرم الشبيه بلسان المزمار وهو مثل الزائدة التى تشبه رأس المزمار فيتم به الصوت .))[1] .

وهكذا نرى أن لسان المزمار عند ابن سينا شيء غير المشهور الآن لدى واضعى المصطلحات العربية من رجال الطب . .

ثانيا : نلاحظ أن الغضروف المعروف لدى المحدثين باسم (ARYTENOID) سماه ابن سينا "بالطرجهارى" من الكلمة الفارسية "طرجهارة" أى كأس للشرب ويقول الفيروز أبادى[2] فى باب الراء "طرجهارة" شبه كأس يشرب فيه ، وفى باب اللام "الطرجهالة" بالكسر [illegible] كالطرجهارة .

---

(1) — انظر : ابراهيم أنيس . الأصوات اللغوية . ص 136 .

(2) — الفيروز آبادى . القاموس المحيط . مادة (الطرجهارة) ج : 2 ص 80 و 81 .

ويبدو أن هذا الغضروف قد ظهر لأطباء العرب القدماء على هذه الصورة ، على حين أنه بدا للاغريق القدماء على شكل المغروفة لأن معنى (ARYTENOID) الشبيه بالمغرفة .
ويرى الدكتور شوف أن هذا الغضروف في الحيوان يشبه فم الابريق ولذلك سماه ابن سينا بالطرجهاري والمكبي .

وهذا الغضروف مزدوج لدى أصحاب التشريح من المحدثين وله فرعان كل فرع يشبه المغرفة ولكن ابن سينا لم يشر الى هذا الازدواج .

أما عند تشريحه اللسان فيرى ابن سينا أنه ((... يحركه عند التحقيق ثماني عضلات منها عضلتان تأتيان من الزوائد السمعية التي عند الآذان يمنة ويسرة وتتصلان بجانبي اللسان فاذا تشنجتا عرضتاه .

ومنها عضلتان تأتيان من أعالي العظم الشبيه باللام ، وتنفذان في وسط اللسان . فاذا تشنجتا جذبتا جملة اللسان الى قدام فتبعهما جرم اللسان وامتد وطال . ومنها عضلتان تأتيان من الضلعين السافلين من أضلاع هذا العظم تنفذان بين المعرضتين والمطولتين ، ويحدث عنهما تعريب اللسان .

ومنها عضلتان موضوعتان تحت هاتين ، اذا تشنجتا بطحتا اللسان . وأما تمييله الى فوق وداخلا فمن فعل المعرضة والمورية .(1)

---

(1) — ابن سينا . أسباب حدوث الحروف . ص 70 — 71 .

فمن خلال ما سبق نرى أن ابن سينا حاول من خلال تشريحه الحنجرة واللسان ومن خلال كل ما ذكره في رسالته أن يعالج طرفا غامضا من الدراسة الصوتية وأن يخطو خطوة كبيرة نحو الأمام جعلتنا نفهم أكثر ما أتى به القدماء من اللغويين كالخليل وسيبويه وابن جني وغيرهم .

الجهاز النطقي عند المحدثين :

لقد وصف اللغويون في العصر الحديث الجهاز النطقي بدقة ودرسوه دراسة علمية دقيقة ، وعرّفوا أجزاءه عضوا عضوا بمساعدة علم الطب بخاصة التشريح الذي بلغ مستوى رفيعا جدا .

ويتكوّن الجهاز النطقي عندهم من ثلاثة أقسام رئيسة :

1 — أعضاء التنفس التي تقدم الهواء الجاري المطلوب لانتاج معظم الأصوات اللغوية .

2 — الحنجرة التي تنتج معظم الطاقة الصوتية المستعملة في الكلام ، وتعدّ بمثابة صمام ينظم تدفق تيّار الهواء .

3 — التجاويف فوق المزمارية التي تقوم بدور حجرات الرنين وفيها تتم معظم أنواع الضوضاء التي تستعمل في الكلام

وفيما يلي تفصيل هذه الأعضاء :

أ — أعضاء التنفس :

1 — الحجاب الحاجز :

وهو عضلة مسطحة على هيأة صفحة من الورق ، تمتد بين عظم القص والعمود الفقري عند الخاصرة ، مكسوة بنسيج غشائي

أبيض . ولأنه يفصل بين الأعضاء الأخرى كالرئتين والقلب وغيرهما سمي بالحجاب الحاجز .

ويشارك الحجاب الحاجز في عملية التنفس (الزفير) والانبساط (الشهيق) القفص الصدري المشتمل على الأضلاع التي تشكل بتقوسها الى الأمام والى الخلف شبه صندوق قابل للحركة (1).

2 — الرئتان :

وهما شبه منفاخين يشتملان على مجموعة من الأكياس التي يرتبط بعضها ببعض، بشعب تتفرع كل منها الى قصيبات صغيرة وأخرى أصغر منها ، وهكذا حتى تنتهي كل منها بحويصلة هوائية تحيط بها أوعية دموية دقيقة يجري فيها استبدال ثاني أكسيد الكاربون الذي يطرحه الجسم بغاز الأوكسجين القادم عن طريق الشهيق من القصبة الهوائية .

ولا تتحرك الرئتان الا بواسطة الضغط فهما أشبه بقطعة الاسفنج التي يدخل فيها الماء عند غمسها فيه . وسرعان ما يخرج منها عند الضغط بالاصبع أوسواها .

وكذلك حال الرئتين فان الضغط المتسلط عليهما من الحجاب الحاجز والقفص الصدري يطرد ما بهما من هواء في حالة الزفير ويعود الهواء اليهما في حالة الشهيق .

ويوجد لكل انسان رئتان ليقوما باستقبال الهواء واخراجه

---

(1) — خليل ابراهيم العطية . في البحث الصوتي عند العرب . ص13 .

وهما موضوعان فى تجويف الصدر ، وتوجد رئة فى كل ناحية ويفصل احداهما عن الأخرى القلب بغشائه ويمر الأنسجة الأخرى التى تكوّن الحجاب الصدرى ، وتتحد الشعبتان اليمنى واليسرى لتكونان القصبة الهوائية .

3 — القصبة الهوائية :

وهي فراغ رنان مؤلف من حلقات غضروفية مرصوفة غير كاملة الاستدارة من الخلف ، يقف بعضها فوق بعض بشكل عمودى وتقع القصبة بموازاة العمود الفقرى ، وطولها نحو 11 سم وقطرها بين 2 سم و 2،5 سم . وفيها يتخذ النفس مجراه الى الحنجرة ، ومما يلاحظ أن القدماء كانوا يظنون أنها طريق للتنفس ، ولا صلة لها بالأصوات اللغوية ، ولكن البحث الحديث أثبت بالأدلة القاطعة أنها تستعمل فى بعض الأحيان كفراغ رنان ذى أثر بيّن فى درجة الصوت ، ولاسيما اذا كان الصوت عميقا .

وقد عرف ابن سينا القصبة الهوائية وسماها فى كتاب القانون " قصبة الرئة " حيث يقول : ((أما قصبة الرئة فهي عضو مؤلف من غضاريف كثيرة دوائر دوائر يصل بعضها على بعض وعلى رأسه الفوقانى الذى يلى الفم والحنجرة .)) (1)

---

(1) — انظر : خليل ابراهيم العطية . فى البحث الصوتى عند العرب . ص 23 — 24 .

ولقد عرّف القدماء " الرئة " POUMON " وجمعها (رئون ورئات) وقصبة الرئة (TRACHEE ARTERE)، ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن الحجاب الحاجز والقفص الصدري والرئتان والقصبة الهوائية مصطلحات أطلقها علماء الأصوات عند حديثهم عن أعضاء النطق في أماكن متناثرة هنا وهناك وأسموها بأعضاء أو عضلات التنفس وهي لا تقل أهميتها عن أهمية أي عضو من أعضاء النطق وخاصة الرئتين فبغير الرئتين لا تتم عملية التنفس ومن ثم لا تتم عملية النطق . بل لا تكون الحياة ذاتها .

وتتلخص أهم وظائف هذه الأعضاء النطقية فيما يلي :
يقوم الحجاب الحاجز والقفص الصدري معا بعملية انقباض وانبساط ينجم عنها دفعات هوائية منظمة اتخذ منها بعض العلماء أساسا لتقسيم الكلام الى مقاطع صوتية .

أما الرئتان فانهما تقومان بانتاج هواء الزفير الذى تتكون منه معظم الأصوات الانسانية وتقوم القصبة الهوائية بنقل هذا الهواء الى الحنجرة حيث تتم عملية تعديله كما أنها تعمل كفراغ رنان مع بعض الأصوات .

الحنجرة :(1)

هي أعضاء التنفس، كما أنها حارس أمين للقصبة الهوائية

---

(1) — لم يذكر القدماء أمثال سيبويه والمبرد وابن جني مصطلح الحنجرة مع أعضاء النطق والسبب في ذلك يرجع الى اطلاق مصطلح الحلق على منطقة واسعة جدا بما فيها الحنجرة وعنوا بها أقصى الحلق ، أما ابن سينا فقد اهتم بتشريحها وقسمها الى ثلاثة غضاريف كما عرفها قبله في القرن الرابع "اخوان الصفا " وأشاروا الى دور الرئتين في عملية الكلام .

من دخول الأجسام الغريبة ، وتعمل لتكييف الصوت في الانسان وهي واقعة بين قاعدة اللسان من الأعلى والأمام ، والقصبة الهوائية من الأسفل وتوجد في الجزء الأمامي للعنق ، وتقابل الفقرات العنقية ، الثالثة والرابعة ، والخامسة ، وتختلف في الرجل عن المرأة من حيث حجمها وموضعها ، اذ أنها أكبر وأكثر انخفاضا في الرجل وخاصة بعد سن البلوغ .

وهي حجرة متسعة مكونة من عدة غضاريف تتصل بعضها بجملة أربطة وعضلات بحيث يمكن لأجزائها القيام بالحركة اللازمة للتنفس ولاخراج بعض الأصوات المختلفة ويغطيها من الداخل غشاء مخاطي .

وأهم الغضاريف التي تتكون منها الحنجرة هي :

1 — الغضروف الدرقي .

2 — الغضروف الحلقي .

3 — الغضروفان الهرميان " الطرجهاليين[1] "

4 — لسان المزمار (الغلصمة)

1 — فالغضروف الدرقي مكانه الحنجرة ، أسفل العظم اللامي يتكون من صفيحتين ، كل منها رباعية الشكل يتصل حرفاهما الأماميان ببعضهما وسط العنق ، ويكون الحرفان في ثلثهما الأعلى بروزا الى الأمام ، ويسمى البروز الحنجري أو تفاحة آدم ، ويظهر هذا البروز بوضوح في الرجل ، ولا يكاد يرى في المرأة . وهذا الغضروف ناقص الاستدارة من الخلف .

---

(1) — عبد الفتاح البركاوي . مقدمة في أصوات اللغة العربية . ط: 2 1405 هـ ، 1984م . ص 39 .

2 — الغضروف الطرقي : وهو تام الاستدارة ، عريض من الخلف ، ضيق من الأمام ويقع بين الغضروف الدرقي من أعلى ، وحلقات القصبة الهوائية من أسفل ، ويتصل بالغضروف الدرقي من الخارج جملة عضلات .

لسان المزمار : عبارة عن نسيج ليفي غضروفي ، مثلث الشكل يشبه ورقة الشجرة ، ويوجد خلف قاعدة اللسان ، وجسم العظم اللامي والغضروف الدرقي وأمام الحنجرة ، قمة ضيقة من أسفل ، ويتصل بوساط بالزاوية بين صفيحتين بالغضروف الدرقي من الداخل ومن أعلى ، وقاعدته محدبة من أعلى .

الغضروف الهرمي : " الطرجهالي " وهما غضروفان يشبه كل منهما الهرم ويوجد كل واحد منهما في ناحية .
ولم يكن لسان المزمار معروفا عند اللغويين القدماء والسبب في ذلك يعود الى وظيفته التي كانت بيولوجية أكثر منها لغوية .

الوتران الصوتيان : ويمتدان أفقيا بالحنجرة من الغضروفين الهرميين الى البروز الحنجري المعروف بتفاحة آدم ، ويسمى الفراغ الواقع بينهما بالمزمار .

ولهذين الوترين ((القدرة على اتخاذ أوضاع متعددة تؤثر في الأصوات الكلامية .[1])) . منها وضع الارتخاء التام ، وهذا وضع

(1) — ابراهيم أنيس . الأصوات اللغوية . ص 17 .

المتنفس العادى ، ووضع الذبذبة وهنا تحدث الأصوات المجهورة التى سوف نتحدث عنها عند دراسة الصفات الصوتية ، ثم وضع الامتداد وأخيرا وضع قفل مجرى الهواء تماما .

ومن الملاحظ على هذه الأوتار فى الدراسة الصوتية قديما أنها لم تكن معروفة عند العرب[1] ولم توضّح فى تصنيف أعضاء النطق أو الجهاز النطقى عندهم . كما أن القدماء لم يشيروا الى الحنجرة فى كلامهم ولم يعدوها من مخارج الأصوات العربية وترجع تسمية هذين الشريطين العضليين اللذين تفصل بينهما فتحة المزمار بالأوتار الصوتية الى العالم الفرنسي "فران" الذى يعدّ أول من قدم وصفا لاهتزازهما ويمتد هذان الشريطان أفقيا من الخلف الى الأمام ويختلفان فى الحجم والسمك والطول باختلاف جنس الشخص وعمره ، ويقوم هذان الوتران بدور فى غاية الأهمية بالنسبة لجهر الأصوات (اهتزازهما) وهمسها (عدم اهتزازها) وعلى وضع الأوتار الصوتية يمكن تحديد صفة الصوت من حيث الجهر والهمس ، وما تجدر الاشارة اليه هنا هو أن عدم معرفة القدماء سواء كانوا من الباحثين العرب والأوروبيين بدور الأوتار الصوتية فى عملية جهر الأصوات وهمسها هو المسؤول عن كثير من الخلط والاضطراب فى وصفهم للأصوات اللغوية .

---

(1) — جان كانتينو . دروس فى علم أصوات العربية . ص 18 .

الحلق : يطلق الحلق على الجزء الذى يعلو الحنجرة ويتصل بالفم وهو يمثل أحد الفراغات الكبرى الثلاث ذات الأثر البيّن فى اصدار الصوت الانسانى وتسمى هذه الفراغات بتجاويف ما فوق المزمار أو التجاويف الحنجرية وينقسم الى الحلق الحنجرى " و "الحلق الفمومى " و " الحلق الانفى " أوحسب تقسيم سيبويه : أقصى الحلق ، ووسطه ، وأدناه . وما أشير اليه هنا أن القدماء ، أطلقوا مصطلح " الحلق " على منطقة واسعة تشمل الحنجرة وغيرها وتكون الحنجرة حينئذ هى المقصودة " بأقصى الحلق " على الرغم من أنهم لم يشيروا اليها فى كلامهم كما سبق أن ذكرت ، ولم يعدوها من مخارج الأصوات ، وقد جعل الخليل [1] وسيبويه [2] وابن جنى [3] "الهمزة " من "أقصى الحلق " ومخرجها بنظر المحدثين من " الحنجرة " والحنجرة سابقة للحلق .

ووظيفة الحلق من الناحية الصوتية تتمثل فى أنه يعمل بمثابة حجرة أو صندوق رنين مع بعض الأصوات كما أنه يساهم فى تضييق ممرّ الهواء فى أجزاء معينة لما يشكل مخرجا لبعض الأصوات اللغوية كالحاء والعين .

---

(1) — الخليل . العين . ج : 1 . ص 47

(2) — سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص 433 .

(3) — ابن جني . سرّ صناعة الاعراب . ج : 1 ص 52 .

وقد فرق ابن دريد وغيره بين أجزاء اللسان هذه فيميزون بين " عكدة اللسان " أو عكرته " أى أصله وبين " أقصى اللسان " و " ظهر اللسان " و " حافة اللسان " و " طرف اللسان " ويسمى طرف اللسان اذا كان يابسا (كعمد النطق بحروف الصفير) " أسلة " واذا كان رخوا وتحرك بسهولة (كعمد النطق بحروف التكرير والانحراف) " ذلقا أو ذولقا " .

ومما ينبغى أن أشيرا ليه فى هذا الصدد ، أن اللسان لا يستقل بنطق حرف ، وانما يضاف اليه أماكن أخرى كأقصى الحنك فى أصوات " القاف والكاف " ووسط الحنك فى أصوات "الجيم العربية والشين " ، وأصول الثنايا العليا فى أصوات " الدال والتاء ، والطاء " كما يسهم بارتفاعه تارة وانخفاضه تارة أخرى دون أن يلتقى بسقف الحنك ، فى انتاج الحركات بصفة عامة ، فاذا ارتفع وجدنا الكسرة والضمة ، واذا انخفض وجدنا الفتحة ، وبالاضافة الى ذلك فان للسان تأثيرا كبيرا على ما يسمى بصندوق الرنين الامامى الذى يتكون فى الفم ويمنح اللسان مرونته وقدرته على الحركة المتنوعة أشكالا مختلفة من صناديق الرنين الأمامية التى تختلف أشكالها وأحجامها وأطوالها مع الأصوات المختلفة ومن ثم تختلف النغمات المصاحبة لتلك الأصوات .

الحنك : (PLATE)

وهو العضو الذى يتصل به اللسان فى أوضاع مختلفة ، و ينجم عن الاتصال به فى كل وضع أصوات معروفة فى تلك الأماكن ويشار اليه أحيانا بالأسماء التالية :

الحنك الأعلى ، أو سقف الحنك ، أو سقف الفم ، وقد عرف قدماء العرب هذا المصطلح وسموا (PLAIS) "حنكا" وهو لفظ يدل أحيانا على الذقن ، وأما غشاء الحنك (LE VOILE DU PALAIS) فليس له اسم خاص عندهم

ويقسم الحنك عادة في الدراسات الصوتية الى ثلاثة أقسام :

1 — مقدم الحنك أو اللثة أو أصول الثنايا العليا وهو جزء الحنك الذى يلى الأسنان مباشرة .

2 — وسط الحنك وهو ما يسمى بالغار أو الحنك الصلب .

3 — موخر الحنك وهو ما يسمى بالحنك الليّن ويتصل أقصاه من الخلف باللهاة .

ويؤدى الحنك بالاشتراك مع اللسان وظيفة مهمة تتمثل فى أمرين :

1 — تضييق مجرى الهواء أو غلقه مما ينجم عنه صنع مخارج لأصوات عديدة مثل : السين والكاف .

2 — المساعدة فى تكوين صناديق الرنين الأمامية .

الأسنان :

وهى اثنتان وثلاثون موزعة على الوضع التالى :
فيوجد فى كل فك ثنيتان وهما اللتان تبرزان عند فتح الفم السن الأمام ، ويليهما الرباعيتان ، ثم تجىء بعدهما الأنياب ثم الأضراس ، الضواحك ، وهى التى تبرز عند الضحك ، ثم الطواحن التى تقوم بمضغ الطعام ، ثم النواجذ وهي المعروفة عند العامة ضروس العقل .

وتنقسم الأسنان الى قسمين : عليا وسفلى ولا تسهم فى العملية الصوتية الا بالاستعانة بأحد الأعضاء الصوتية المتحركة كاللسان مثلا والشفة السفلى .

الشفتان :

من الأعضاء المتحركة ، تتخذ أوضاعا مختلفة أثناء العملية الصوتية ، ومن الممكن ملاحظة هذه الأوضاع فى يسر وسهولة فمن الممكن أن تنطبقا فلا تسمحان للهواء بالخروج لفترة معينة وذلك عند التلفظ بأصوات (الباء والميم) وتنفرجان عند النطق بصوت (الواو) .
وقد تتركز أطراف الثنايا العليا على باطن الشفة السفلى فيبرز صوت الفاء ويعرف بالشفوى الأسنانى .
ومن الممكن أن تستديرا فيحدث عن ذلك أصواتا معينة كما يحدث عند نطق الضمة مثلا .

الخياشيم : أو التجويف الأنفى :

وهو العضو الذى يمر خلاله النفس مع صوت الميم والنون و هما من أصوات الغنة .

الجهاز النطقى بين القدماء والمحدثين :

هذه هى أعضاء النطق التى تسهم فى العملية الصوتية كما صورها المحدثون بدقة والملاحظ أن من القدماء أشاروا الى الجهاز الصوتى كالحلق والفم والشفتين والخياشيم ، وبوجه عدم دراستهم للجهاز الصوتى ككل وعدم توصلهم الى التفاصيل

الدقيقة التى وصل اليها المحدثون الى عدم معرفتهم لدور الأوتار الصوتية فى العملية الصوتية وعدم معرفتهم لتشريح الحنجرة ، والأعضاء الصوتية وهذا الجهل لا يعد عيبا لأنه من الصعب عليهم أن يسبقوا زمنهم ولأن المحدثين لم يتوصلوا الى ما توصلوا اليه الا بمساعدة علم التشريح الحديث والأجهزة المختبرية الدقيقة التى سبروا بها دقائق مكونات الجسم البشرى عامة ، ومن هنا وجب أن ننظر الى ما قدمه العرب الأوائل فى هذا السبيل بمنظار عصورهم وهى حقيقة لا يجب أن تغيب عن أذهان الباحثين .

كما يلاحظ أن الجهاز النطقى عند الانسان بالغ حد الروعة لما فيه من مرونة عجيبة فقد تهيأ للانسان بتلك المرونة اخراج عدد لا يحصى من الأصوات ، ومما يجب أن نشير الى حقيقة مهمة تتصل بحركات هذا الجهاز وهى أن بعض أعضائه ثابتة والبعض الآخر متحرك ، والأجزاء الثابتة هى : الأسنان ، واللثة ، والغار والجدار الخلفى للحلق ، والأجزاء المتحركة هي : الشفتان ، واللسان من طرفه الى ما يشمل لسان المزمار ، والفك الأسفل ، والطبق بما فيه : اللهاة ، والحنجرة ، والأوتار الصوتية ، و الرئتان ، أضف الى ذلك الحجاب الحاجز ، وبعض العضلات البطنية .

ونؤكد أن العرب القدماء عرفوا الكثير من أعضاء الجهاز النطقى وميزوا دور كل منها فى احداث الكلام وعزوا كل صوت الى مخرجه ، ولقد أشار الى هذا جان كانتينيو بقوله :

((وقد كان العرب يعرفون أكثر هذه الأعضاء ويطلقون عليها أسماء ذات دقة كافية .))(1)

---

(1) — جان كانتينيو . دروس فى علم أصوات العربية . ص18 .

واشارته هذه تأكيدا لما أشار اليه الخليل في مقدمة العين الى (الحلق، واللهاة، ونطع الغار ....) واللسان وأسلته وعكدته، وشجر الفم، واللثة والشفة ....[1]. مستعينا بما تهيأ له من وسائل النطق الذاتي، وقد كان عطاؤه وفيرا على الرغم من شحة الوسائل وبدائيتها في كثير من الأحيان.

والآن وقد فرغنا من التعريف بأعضاء النطق وتأكدنا من أن العرب عرفوا معظم أجهزة النطق، لاننسى أن نسجل أن هذه الأعضاء لعبت دورا كبيرا في تسمية الأصوات بمسمياتها، وكل صوت يعزى الى الموضع الذي خرج منه ويسمى مخرجا له ومن هنا نقف عند مصطلح "المخرج" لنرى مدى استخدامه عند القدماء والمحدثين

المخارج :

1 — عند القدماء :

لقد استعمل الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه "العين" لمخارج الحروف أربعة مصطلحات لأداء معنى واحد أو للتعبير عن معنى واحد فاستعمل كلمة : المخرج والحيز، والمدرجة، والمبدأ اذ يقول :

في العربية تسعة وعشرون حرفا : منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومخارج وأربعة هوائية ....[1]
فأما الهمزة فسميت حرفا هوائيا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع

(1) — الخليل . العين : ج : 1 ، ص 64 .

أن مصطلح "المخرج" لا يقابل مصطلح "المجرى" ويكون مخرج الصوت حينئذ هو نقطة معينة في هذا المجرى .

وقد تبع سيبويه كل اللغويين الذين جاءوا بعده واستعملوا مصطلح "مخرج" في أغلب الأحيان ، ولم يحدد لا سيبويه ولا من جاء بعده من اللغويين هذا المصطلح ، وبذلك لم يكن اختيار هذا المصطلح على أساس علمي بل على حسب التقليد أو حسب المعنى الدلالي لكلمة "مخرج" في أحسن الأحوال .

وفي هذا المجال أشير الى "ابن جني" حين يبتدأ كلامه عن المخارج وعددها دون تحديد لمصطلح "مخرج" أو تعريفه على نحو ما فعل سيبويه فهو يبدأ الكلام عن على المخارج وعددها مباشرة فيقول : ((اعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر))[1] ثم يشرع في وصف هذه المخارج مثلما فعل سيبويه ويثني على هذا الأخير ويشكره على التقسيم الذي أتى به أثناء تقسيمه للمخارج ثم يؤاخذ كل من خالفه مثل الأخفش الذي ذهب الى أن الهاء مع الألف لا قبلها ولا بعدها ثم يقدم ابن جني ترتيبه للمخارج .[2]

---

(1) ـ ابن جني . سر صناعة الاعراب . ج : 1 ص 52 .

(2) ـ نفسه .

وقد استعمل ابن جني مصطلح " المخرج " مقابل " المقطع " حيث يقول : ((اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا ، وتختلف أجراس الحروف باختلاف مقاطعها ...))(1) .

وواضح من خلال تعريف ابن جني لمخرج الصوت أنه نهج منهج اللغويين القدامى في تعريف مخارج الأصوات اذ جاءت تعريفاتهم في كثير من الأحيان غير واضحة ، فهم يرون مثلا أن الأصوات كلها تنشأ من أقصى الحلق ويسمون ذلك المكان " المقطع " ثم يتحدد الصوت عن طريق حصره في مكان ما من الفم ، ويسمون ذلك المكان " المعتمد " قال ابن درستويه في شيء من ذلك : ((وليست الألف من الحروف الحلقية ، ولا لها معتمد في حلق ولا غيره ، لأنها من الحروف الهاوية في الجوف وانما مقطعها في أقصى الحلق ، والحروف كلها مقطعها هناك لأن الصوت كله انما يخرج من الحلق ، ثم يحصره "المعتمد" فيصيره حروفا .))(2) .

ومما يجدر ذكره أن العلماء العرب قد عرفوا مخارج الأصوات وجل ما يتعلق بها ، وان كان معظمهم دعاها بالمخارج فان ابن دريد أطلق مصطلح " المجرى " مقابل المخرج .

---

(1) — نفسه . ص 6

(2) — ابن درستويه . تصحيح الفصيح . تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري . بغداد . 1975 م ، ج 1 ، ص 108 .

ويستعمل ابن سينا في هذا المجال مصطلحين متميزين هما "المخارج" و "المحابس"[1] . وأغلب الظن أنه يريد بالمخرج مجرى الهواء أو طريقه الذي يكون : اما في الانف وذلك مع الميم والنون أو من الفم مع باقي الحروف .

أما "المحابس" فيبدو أن ابن سينا يريد بها ما أراد به القدماء بمصطلحهم "المخارج" وهي تلك المواقع التي يتم لدى كل منها حبس الهواء سواء كان هذا الحبس تاما أو غير تام .

وقد أدّى اختلاف العلماء في التسمية الى الاختلاف في العدد فالمخارج عند الخليل كما ذكرت ثمانية وكذلك عند الفراء (ت207) وقطرب (ت 206 هـ) وأبي عمر الجرمي (ت 225 هـ) وابن دريد (ت 321 هـ) وابن كيسان (ت 299 هـ) أربعة عشر مخرجا .

أما سيبويه — ومن تلاه — فعدها ستة عشر مخرجا .
وقد أوجز الجرمي رأى من ذهب الى عدّها أربعة عشر بالقول : ((للحروف أربعة عشر مخرجا ، وذلك أنه جعل اللام والنون والراء من مخرج واحد وجعل لها سيبويه ومن تابعه ثلاثة مخارج متقاربة .))[2] .

---

(1) — ابن سينا . أسباب حدوث الحروف . ص 80 .
(2) — المكي . الرعاية . ص 217 .
راجع : خليل ابراهيم العطية . في البحث الصوتي عند العرب ص 25 .

وذكر ابن الجزرى الاختلاف فى عدد المخارج فجعلها عند المحققين وسمى طائفة منهم : مكى بن أبى طالب والهذلى وأبو الحسن سبعة عشر وذكر أنه الصحيح المختار (1) . وهو رأى سيبويه يضاف اليه مخرج الغنّة .

فهذا الخلاف بين اللغويين القدماء والقراء حجة قاطعة على أن النتائج التى بلغوها تقتضى احاطتهم بأعضاء النطق وكيفية حدوث الصوت ودقة تعيين كل مخرج .

2 — عند المحدثين :

أما فى الدراسات الصوتية الحديثة فقد استعمل اللغويون فى أغلب الأحيان مصطلحين : مصطلح "الحيزّ" ومصطلح "المخرج" وحاولوا أن يفرقوا بين الاثنين فبدا معنى الحيز أعمّ من معنى المخرج . والحيزّ هو مكان النطق فمثلا (حيزّ الأسنان يضم مجموعتين

أ — حروف مابين الأسنان تتوع بوضع طرف اللسان بين الأسنان وهى الثاء ، والذال ، والظاء .

ب — الحروف الاستثنائية : تتوع بوضع طرف اللسان على الأسنان العليا أو على مغارزها : وهي التاء ، والدال ، والطاء ، والنون واللام والراء ، والضاد ، والسين والصاد والزاى ......

---

(1) انظر :

ابن الجزرى . النشر فى القراءات العشر . ج : 1 . ص 198 .

وحيـز الشفتيـن : يضـم الحـروف الشفـويـة التـى تقـوع (تنطق) بضم الشفتيـن معـا وهـي : البـاء والميـم والـواو ونضيـف اليهمـا للتبسيـط الفـاء التـى هـي فـى الـواقع شفـويـة أسنـانيـة (1) .

والمخرج هـو النقطـة التي يحـدث فيهـا الحـرف داخـل القناة الصوتية ويجـب التفـرقـة بيـن الحيـز والمخـرج ، لأنّ الحيّـز يعنـى منطقـة أوسـع مـن المخـرج حيث أن الأول يضـم مجمـوعـة مـن المخـارج المتقـاربـة وبالتالى فالمخـرج جـزء مـن الحيـز واللغـة العربيـة تحتـوى علـى أربعة أحيـاز :

حيزّ الشفتيـن ويشمـل مخارج الحـروف الشفـويـة .

وحيـز الأسنـان ويضـم مخارج حـروف مـا بيـن الأسنـان والحروف الأسنـانيـة .

وحيـز الحنـك ويحتـوى علـى مخـارج حـروف الحنـك والحروف اللهـوية

وحيـز الحلـق ويحتـوى علـى مخـارج الحـروف الحلقيـة كلـهـا .

ويهمنـا بعـد ذكـر الفـرق بيـن مصطلحـي " المخـرج والحيـز " أن نقف عنـد الأشيـاء التى اختلـف عليهـا هـؤلاء الأعـلام مـن لغـوييـن وقـراء ولا سيمـا المخـارج .

---

(1) ـ الطيـبّ البكـوش . التصـريـف العربـي . ص34 .

وأما [illegible] وهو من التابعين فعدة المخارج [illegible] أصوات المد " والياء [illegible] بمخارج مناسبة لها [illegible] الحلق [illegible] والواو [illegible] لصوت الواو [illegible] والياء [illegible]

وأما قطرب (ت 206 هـ) وهو وافقه في عدة المخرج [illegible] [illegible] وأسقط [illegible] مخارج أصوات (النون والياء واللام) [illegible] هذه الأصوات من مخرج واحد هو طرف اللسان .

وأما ابن الجزري وهو كان على رأيه فقوله أن المخارج [illegible] [illegible] مخرج " مخرج الجوف " [illegible] المد " والياء ، أي الألف والواو وما قبلها ضمة والياء [illegible] [illegible] [illegible] أيضا [illegible] .

وأصوات اللغة الفصحى اليوم لم تزل مخارجها [illegible] [illegible] أيضا كما أن [illegible] الأصوات الصامتة [illegible] [illegible] الإنكليزية وهذا يتضح لنا أن [illegible] [illegible] [illegible] الأصوات لها [illegible] [illegible] هذه الأصوات [illegible]

[illegible] ذكر [illegible] في مخرج كل [illegible]
[illegible] وهذا [illegible]
[illegible]
[illegible] والخاء [illegible]
[illegible] الباء والميم [illegible]

أن مخارج الأصوات الرئيسة في لغات العالم عشرة ابتداء من الحنجرة حتى الشفتين ، وهي كذلك في العربية الفصيحة ، إذ تنقسم الى أصوات حنجرية ، وحلقية ، ولهوية ، وطبقية ، وغارية ، ولثوية وأسنانية ، وشفوية .(1)

وعندنا أن المخارج نفسها تنقسم قسمين : أحدهما ثلاثة مخارج هي للحلق ، وثانيهما ثلاثة عشر مخرجا هي للفم ونبدأ بمخارج الحلق :

1 — مخرج أقصى الحلق : وهو لثلاثة أصوات : الهمزة ، والهاء ، والألف .

أ — الهمزة : "أ" صوت الهمزة أول هذه الأصوات مخرجا من الحنجرة اذا النفس منحبس بالوترين الصوتيين بقوة وحفز ويساعد على الحفز وقوته مقاومة حجاب الحاجز وعضل الصدر ، وانغلاق الوترين ومنعهما للنفس المتردد بينهما وبين الصدر بعض الوقت فاذا انفرج الوتران فجأة اندفع الهواء بالصوت وسمع صوتها شديدا قويا .

وذكر الخليل أن الهمزة هوائية لذلك جعلها مع الواو والياء والألف اللينة(2) فتوهمّ بعض المحدثين أن الخليل لم يعرف

---

(1) — انظر : في البحث الصوتي عند العرب ، ص 27 .

(2) — انظر : العين ، ص 63 .

مخرجهما ، وأن في كلامه عليه ما يشعر بالاضطراب فيهما وعون كلام الخليل على وصف حدوث الصوت يوضح قوله الذي أرى ملخصه يتمثل في أن الهواء يسبب حدوثهما في وضع الوترين الصوتيين على نحو ما وصف من أمرهما قبل اندفاع النفس ، بصوتهما وقد تأدت عبارة الخليل عن ذلك بطريق المجاز .

والمحدثون ينسبونها الى الحنجرة وهي موضع احتباس النفس الذي يحدثها ، وعلماء اللغة في الغرب يسمونها الوقفة الحنجرية (Glotel stop) وتحدث عندهم في بعض الحالات النفسية كالغضب والمفاجأة عند اللفظ .

ب — الهاء : وصوتها هو الثاني مخرجا بعد الهمزة . ويحدث بهواء مندفع من الصدر ، لا يحول دونه عائق غير أن فتحة الوترين الصوتيين بها شيء من تضييق والفم مفتوح بمقدار نطق صوت القاف من قبل ، اذ يدعك النفس الفتحة ويتبدد في فراغ أقصى الحلق وبعض أدناه ويرتفع الحنك اللين ليسد طريق الأنف وهناك خلاف عند المتقدمين ولا سيما الخليل في موضعها بين أصوات الحاء والعين . فهي آخر هذه الثلاث عنده وهذا يحتمل شيئين أحدهما أن هذا الكلام المنقول عند الخليل مضطرب . وثانيهما أن ذوق الخليل للصوت وملاحظته له في اللهجة التي رصده فيها الحظ يقرر هذا الموضع لها .

وفيما نقل عنه من ذلك قوله ((ولولا هتة في الهاء وقال مرة " ههة " لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء .))[1] .

---

(1) — انظر : كتاب العين ، ص 64 .

ولعل لغموض الخليل في نظام معجمه الذى بدأه بصوت العين وسماه بصوتها ما يفسر موضع الهاء عنده .

جـ ـ الألف : وصوتها ثالث أصوات هذا المخرج .
ويحدث باندفاع الهواء من الصدر عبر الحنجرة دون عائق ما واللسان منخفض في قاع الفم ، وسقف الحنك اللين مرتفع والوتران الصوتيان منشنجان مهتزان شيئا ما ويتبدد الهواء فى فراغ الحلق والفم .

وقول ابن جنى انها ساكنة تابعة للفتحة ، وكلام علماء التجويد على نوعى المد المتصل والمنفصل وتقدير مده كل منهما بحركات يحركونها من يقرأ باصابعه يضمهما أو يفتحها انما هذا كله يفيد أن الصوت حركة وليس صوت حرف من حروف العربية . (1)

2 ـ مخرج وسط الحلق :

وهذا المخرج لصوتي العين والحاء . وقد ضم الخليل اليهما صوت الهاء وجعله بعد الحاء . وحرفنا هذين الصوتين يميزان اللغات السامية من غيرها .

أ ـ ونطق صوت العين يتم باندفاع الهواء من بين الوترين الصوتيين ، يهز معه الوترين ، اذا اندفع الهواء بانفراج الوترين

---

(1) ـ انظر : دروس في علم أصوات العربية . ص 151 .
وأسباب حدوث الحروف . ص 14 .

فجأة .

وتبذد الهواء في فراغ الحلق و باللسان في هذه الحالة متراجع الى الوراء قليلا ، وسقف الحنك اللين مرتفع في أثناء نفاذ الهواء ، يسمح صوتها .

ب — أما صوت الحاء فينطلق باندفاع الهواء من الصدر تجاه وسط الحلق دون عائق كبير ويكون الوتران الصوتيان مسترخيين كثيرا فلا يهتزان شيئا ، ويتراجع اللسان الى الوراء ويتسع فراغ الفم ويرتفع سقف الحنك اللين قليلا .

3 — مخرج أدنى الحلق للفم :

لهذا المخرج صوتان هما الغين و الخاء على هذا الترتيب الذي رآه ابن جني[1] و الزمخشري و ابن يعيش[2] وهو خلاف سيبويه[3] .

و يفهم من كلام ابن جني و كلام بعض المحدثين من المستشرقين الباحثين أن صوت الغين قليل في العربية[4] ، بل انه نشأ عن العين في اللغة العربية و من أمثلة حجته في ذلك لفظ " عبث " و "غبث " و هما بمعنى مزج و خلط ، و (عسر و غسر) بمعنى ألح على مدينة و (عميق و غميق) بمعنى بعيد القعر .[5]

---

(1) — سرّ صناعة الاعراب ، ج : 1 ، ص 247 .

(2) — ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج : 10 ص 123 .

(3) — سيبويه ، الكتاب ، ج : 4 ، ص 433 .

(4) — انظر : سرّ صناعة الاعراب ، ج : 1 ، ص 247 .

(5) — انظر : دروس في علم الأصوات العربية ص 113 .

أ ـ ويتم نطق صوت الغين باندفاع الهواء من الصدر حتى ينقطع بآخر سقف الحنك الليّن ، ويكون اللسان متأخرا قليلا في الفم ومنخفضا الى قعره والفم مفتوحا ويمر الهواء دون عائق .

ويهتز الوتران الصوتيان وتتشنج اللهاة متذبذبة عند حدوث الصوت . وهو قريب من صوت ( ) في اللغة الانكليزية لكن هذا " مهموس " وسيأتي شرح هذا المصطلح الأخير .

ب ـ أما صوت الخاء فيتم نطقه بما تم به صوت الغين لكن الهواء عبره أملس في طريقه ، وذبذبته اللهاة أقلّ ، واهتزاز الوترين أشدّ قليلا .

وبنهاية الكلام على صوت الخاء من هذا المخرج أكون قد استوفيت بحث ثلاثة مخارج هي مخارج الحلق . وأبدأ البحث في مخارج الفم الثلاثة عشر . ولكن أتابع ترتيب مخارج الأصوات أي أعطي أول مخارج الفم رقم المخرج الذى يلي آخر مخارج الحلق ابثارا لاتصال ذكرها متوالية .

4 ـ مخرج أقصى اللسان الحنكي :

ليس لهذا المخرج غير صوت واحد هو القاف .

أ ـ ويتم نطقه باندفاع الهواء من الصدر بشدة حتى موضع حدوث الصوت وهو أقصى اللسان وما يقابله من الحنك الليّن ويكون اللسان منطبقا على ذلك الموضع من الحنك متراجعا الى وراء ، واللهاة متقلصة ، والوتران الصوتيان موتوريين ، والهواء لا

ينفذ الا عند ابتعاد اللسان من موضعه في تلك الحال ، و يسمع صوت القاف ، و هو قريب من صوت " " في اللغة الانكليزية في مثل :

.

5 – المخرج اللساني الحنكي القصي :

و هو مخرج صوت الكاف ، و قد ميزته بهذا العنوان للفرق بين صوتي الكاف و القاف لشدة قربهما ، و يقاس الفرق بينهما بالفرق بين الراء و اللام ، اذ أنّ اللام أدخل في ظهر اللسان من الراء . بل الفرق بين الكاف و القاف أقل .

أ – و يتم حدوثها بمثل حدوث القاف لكن اللسان معها أقل تراجعا و ارتفاعا ، و ان لامس اللسان الحنك الليّن .
و يسمع صوتها بانفراج اللسان عن موضعه و نفوذ الهواء و تشبه صوت " K "في الانكليزية أو صوت "C" أيضا .

6 – مخرج وسط اللسان و مقابله من الحنك الأعلى :

و يعرف موضع هذا المخرج أيضا بـ "شجر الفم " أي منفرجه . و توصف أصواته به . و يسميه بعض الباحثين بـ " الأدنى حنكي " و يخرج به ثلاثة أصوات هي الجيم و الشين و الياء اللينة .

أ – و صوت الجيم : هو أول أصوات هذا المخرج ، و يتم حدوثه باندفاع الهواء حتى موضع خروجه ، حيث مقدم اللسان مرتفع قليلا نحو سقف الحنك المخطط ، يحصر النفس بشيء من قوة و يتذبذب الوتران . فاذا تباعد اللسان عن موضعه من الحنك نفذ الهواء و سمع صوت الجيم

التي نسمعها في نطق مدن أهل بلاد الشام ، وتونس .

ب — وصوت الشين هو ثاني أصوات هذا المخرج على الترتيب المذكور .

ويتم حدوثه باندفاع الهواء حتى موضعه من المخرج وطرف اللسان قريب من اللثة وسطحه محدّب في انبساط يقابل سقف الحنك والنفس لا يحصره شيءٌ بل ينفذ من جانبي اللسان في صوت معروف يختص به حرف الشين من بين كل حروف العربية ، ويسمى تفشيا وتوصف به أحرف عربية أخرى ، لكنها ملحقة في هذه الصفة بصوت الشين .

جـ — أما صوت الياء هذه التي تعرف في العربية بأحد صوتي حرف اللين ، هي ثالث أصوات هذا المخرج .

ويتم النطق بها باندفاع الهواء حتى موضعه من المخرج نفسه وطرف اللسان يوشك أن يمس أعلى الأسنان السفلى الأمامية ، والحنك اللين مرتفع قليلا ، والوتران الصوتيان يتذبذبان كما يتبين ذلك في الكلمات الآتية : كيف ، أين ، بيت .

7 — مخرج حافة اللسان وما يليه من الأضراس " الاضراسي "

ويقتصر هذا المخرج على صوت واحد هو الضاد . وقد جعلته العرب من خصائص لغتهم ، ولهذا شاع قول " الناطقون بالضاد " بيد أن في نطقها اختلافا بطالعنا فيما ألفه عدة لغويين في هذا الصوت والفرق بينه وبين صوت الظاء (1) .

---

(1) — أبو البركات ، الأنباري . زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء . دار الأمانة . بيروت . 1971 م .

ويتم حدوثهما بانحباس الهواء في موضع الحرف حيث طرف اللسان حتى جانبه اما الأيمن وهو الأكثر واما الأيسر قريب من الأضراس في الفك العلوي ولا سيما الضاحك والناب والقاطعة وطرف اللسان عند أصول الناب والقواطع ، والوتران الصوتيان يتذبذبان بالنفس المتردد في موضع ، واذا ارتفع اللسان من موضعه سمع صوت الضاد . وهو أشبه في حدوثه بحدوث صوت " " في اللغة الأنكليزية .

ولصوت " الضاد " ثلاثة مصطلحات بالنظر الى مخرجه .

1 — الضاد الأصلية :

وهي التي وصفت في كتب القراءات[1] أقل شدة مما نطق بها الآن ، اذ معها ينفصل العضوان المكونان للنطق انفصالا بطيئا تسببا ترتب عليه أن حل محل الانفجار الفجائي انفجار بطيء يلحظ معه مرحلة انتقال بين هذا النوع من الأصوات وما يليه في صوت لين . فاذا نطق بالضاد القديمة وقد وليتها فتحة مثلا أحسسنا بمرحلة انتقال بين الصوتين ، تميز فيهما كل منها تمييزا كاملا .

---

(1) — انظر : ابن الجزري . النشر في القراءات العشر . ج : 1 . ص 219 .

القسطلاني . لطائف الاشارات . ج : 1 . ص 191 — 192 .

ابراهيم أنيس . الأصوات اللغوية . ص 49 — 50 .

— الضـــاد الحـديثـة : " Le da moderne "

صوت شـديـد مجهـور يتحـرك معـه الـوتـران الصـوتيـان ، ثـم ينحبس الهـواء عـند التقـاء طرف اللسـان بـأصـول الثنايـا العليـا . فـاذا انفصـل اللسـان عـن أصـول الثنايـا سمعنـا صـوتـا انفجاريـا هـو الضـاد كما يطلـق بهـا فـى مصـر .

3 — الضـــاد القـديمة : " le da ancian "

كمـا وصفهـا القـدمـاء كـانـت تتكـون بمـرور الهـواء بالحنجـرة فيحـرك الـوتـريـن الصـوتيين ثـم يتخـذ مجـراه فـى الحلـق والفـم غيـر أن مجـراه فـى الفـم جـانبـى عـن يسـار الفـم عنـد أكثـر الـرواة أو عـن يمينـه عنـد بعضهـم أو مـن كـلا الجـانبيـن كمـا يستفـاد مـن كـلام سيبويه(1) ويظهـر أن الضـاد القـديمـة كانـت عصيـة النطـق علـى أهـالى الأقطـار التـى فتحهـا العـرب أو حتـى بعـض القبـائل العـربيـة فـى الجـزيـرة ممـا يفسـر تلـك التسميـة القـديمـة " لغـة الضـاد " كمـا يظهـر أن النطـق القديم بالضـاد كـان احـدى خصـائص لهجـة قـريـش وأصـابهـا التطـور حتى صارت الـى مـا نعهـده لهـا مـن نطـق فـى مصـر وأن هـذا التطـور كـان قـد تـم فـى عهـد ابـن الجـزرى أى فـى القـرن الثـامـن الهجـرى فهـو يقـول فـى كتـابـه التمهيـد أن المصـريـيـن وبعـض المغـاربـة ينطقـون بالضـاد المعجمـة طـاء مهملة .(2)

---

(1) — انظـر : سيبـويـه . الكتـاب . ج : 2 . ص 404 ومـا بعـدهـا .
(2) — خليـل ابـراهيـم العطيـة . الفكـر الصـوتـى عنـد ابن دريـد . ص 178 .

ولا يزال العراقيون حتى الآن وبعض البدو ينطقون بنوع من الضاد يشبه الى حد كبير الوصف الذى روى لنا عن الضاد القديمة .

8 — مخرج حافة اللسان اللثوى المنحرف :

لهذا المخرج صوت واحد هو اللام :

ويتم حدوثها باندفاع الهواء ليجد منفذ عند وسط اللسان من جانب واحد واللسان حينذاك طرفه متصل بمقدم الحنك عند الغشاء المخاط فى موضع يلى موضع صوت الجيم قليلا ، فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية والحنك اللين فى حال ارتفاع فينفذ الهواء ويهتز الوتران الصوتيان .

ولصوت " اللام " مصطلحان عند النطق بما يحددان نوعها : وهما : اللام المرققة ، واللام المغلظة .

والفرق بين اللام المرققة والمغلظة فهو فى وضع اللسان مع كل منهما لأن اللسان مع اللام المغلظة يتخذ شكلا مقعرا كما هو الحال مع أصوات الاطباق . فالفرق بين اللام المرققة والمغلظة هو الفرق الصوتى نفسه بين الدال والضاد أو التاء والطاء ولكن الرسم العربى لم يرمز الى اللام المغلظة برمز خاص تختلف باختلافه الكلمة ولهذا نعد اللام صوتا واحدا .

ويجب ترقيقها حيث وقعت وبأى حركة كانت مشددة أو مخففة الا فى مواضع معلومة ولا سيما قبلها فتح أو ضم أو فى الابتداء، واذا كان قبلها كسر رققت فهي مرققة فى مثل : لى بستان ، اجعل لى نصيبا ، ليتلطف ، علا فى الناس .

وهى مغلظة فى مثل : القمر المنير ، الوعد الحق ، له الكتب ، قال الله .

٩ — مخرج طرف اللسان المنحرف :

وهو مخرج صوت الراء فقط ، واذا قارب مخرجي النون واللام فان صفة التكرير فيه جعلته متميزا منهما .

ويتم حدوث صوتها باندفاع الهواء حتى موضع طرف اللسان من اللثة باتجاه الحنك المخطط وأغلب كتلته منخفض والحنك اللين مرتفع فيرى عدة تموات ويتذبذب الوتران الصوتيان ويسمع صوت الراء

وصفة التكرير في هذا الصوت دعت الى ترقيقه وتفخيمه في عدة درجات — مثل اللام — وأصلها في النطق التفخيم والتغليظ .

وهاتان الخاصيتان تحددان نوع الراء في العربية ونطلق عليهما مصطلحي "التفخيم والترقيق".

وترقق الراء الساكنة والمفتوحة والمضمومة اذا سبقتها كسرة لازمة أو جاء بعدها ياء مثل : فرعون وسرب قرية فعندئذ ترقق وترقيقها المنيل بها نحو الكسرة ، امالة ضعيفة .

واذا جاء بعدها حرف استعلاء مثل : فرقة ، ورصد ، وطب ورخاء وغب ، ورضي ، وحروف الظاء أيضا وكذا الراء المفتوحة والمضمومة فالنطق بها مفخمة .

وفي الوقف عليها بالسكون أو الروم أحكام تناولتها كتب علل القراءات . فهي ترقق الكسورة في الروم وتفخمها في الوقف ، والمفخمة في أغلب أحوالها يوقف عليها مفخمة اسكانا وروما .

ومما يجدر ذكره في هذا المجال أن خاصة التكرير التي في صوت الراء جعلتها تدغم فيما يليها ، لأن ذلك سلب لأبرز صفاتها .

10 — مخرج طرف اللسان الخيشومي :

ليس لهذا المخرج سوى صوت النون المتحركة .

ويتم حدوث صوتها باندفاع الهواء حتى موضع مخرج الصوت ، اذ طرف اللسان أدنى قليلا من موضع اللسان من مقد[م] الأسنان والحنك اللين منخفض والهواء يمر بطريق الأنف مـ[ـع] الحلق وعند حدوث الصوت يتذبذب الوتران الصوتيان .

ونستنتج من نطق صوت النون أن الأصوات صنفان :

منها ما يتخذ الهواء مجراه حين النطق بها خلال الفم وهي الكثـ[ـرة] الغالبة في اللغة العربية . وفيها ما يتخذ مجراه من الأنـ[ـف] كالنون والميم ، وقد لاحظ المحدثون أن الصوت من النوع الأول قـ[ـد] ينتقل الى نظيره من النوع الثاني تحت تأثير ظروف لغوية خاصـ[ـة] فللنون نظائر بين أصوات الفم مثل الدال والتاء ، ولا فرق بين الـ[ـنون] والدال الا في أن الهواء يتخذ مجراه مع الأولى خلال الأنف ، و[مع] الثانية خلال الفم ، أما موضع اللسان بالنسبة للحنك الأعلى مـ[ـع] كل منهما ، فيكاد يتحد تمام الاتحاد .

ومن صوت هذه النون صوت ما يعرف بالتنوين في مثل رجـ[ـل] لكتاب ، نصا . وصورته في الخط غالبا حركتان مقترنتان بحـ[ـسب] الموقع الاعرابي .

وفي مجاورة النون لبعض الأصوات يلحقها في النطق شـ[ـيء] من الابدال يعرف في اصطلاح القراء بالاخفاء . مثل : من من كان ، من شاء ، اذن ضل ، وبقية الأصوات الآتية : الجيم ، الـ[ـذال] والزاي ، والسين ، والتاء ، والطاء ، والدال ، والثاء ، والفـ[ـاء]

وبحدفها خمسة عشرة ، تتحول النون الساكنة والتنوين عند هذا الى غنة فيخفيان عندها فى نفسيهما ولكن لا يدغمان .

وقد اختلف النحاة فى مسألة الاحتفاظ بالغنة (nasalité) فى حالة ادغام النون فى الراء واللام والياء .

11— المخرج الاسناني الحديد :

وله ثلاثة أصوات على ذكر تواليها : الطاء والدال ، والتاء ، وذلك بحسب قوتها فى الحدوث . فالصوتان الأوليان متقاربان والثالث أقوى منهما وأشد .

أ— الطاء : ويتم حدوثها باندفاع الهواء الى حيث موضع خروجها اذ طرف اللسان عند مغارز الاسنان ، والحنك اللين مرتفع يسد طريق النفس من الحلق ، والوتران لا يتذبذبان ولا يجد الهواء منفذا الا عند النطق بهذا الصوت اذ يندفع فجأة .

وكلام المتقدمين عليه من حيث صفته يشعر أنه كان مثل الدال مجهورا ثم تطور حتى صار مثل التاء مهموسا أو قريبا من الهمس .

ب— وصوت الدال هو الثانى فى ترتيب أصوات هذا المخرج ، وبينها وبين الطاء مؤاخاة ، ولولا الاطباق الذى فى الطاء لصارت دالا[1] .

---

(1) — سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص 435 .

ويتم حدوثها باندفاع الهواء حتى موضع خروج صوتها اذ طرف اللسان أدنى قليلا من موضعه فى صوت الطاء ، والحنك اللين مرتفع يسد طريق النفس من الحلق ، والوتران الصوتيان يتذبذبان بشيء من التقلص والهواء يتردد بقوة فاذا نفذ الهواء سمع صوتها بشدة .

جـ ـ أما صوت التاء هو ثالث أصوات هذا المخرج ، وهو يخالف أخويه بهمسه وعظم شدته .

ويتم حدوثه باندفاع الهواء حتي موضع خروجه اذ طرف اللسان ملاصق لأطراف الاسنان العليا ، والحنك اللين مرتفع يسد طريق النفس من الحلق ، والوتران الصوتيان لا يتذبذبان و والهواء لا يجد منفذا فاذا ابتعد اللسان عن موضعه نفذ الهواء فجأة بشدة وسمع صوتها :

12 ـ المخرج الاسناني الصفيري:

ولهذا المخرج ثلاثة أصوات هي : الصاد ، الزاى ، السين ، بحسب ترتيب ابن جني ، وهو خلاف ترتيب سيبويه الذى يجعل الزاى أولا ثم السين ثم الصاد .

أ ـ والصاد أحد الأصوات فى السامية ثم صار الى رخاوة فى العربية القديمة بعد أن كان شديدا .

ويتم حدوثه ، باندفاع الهواء حتى موضع خروجه اذ طرف اللسان تجاه مقدم الحنك المخطط بينها فرجة ملحوظة وكتلة لسان مرتفعة

مقابل سقف الحنك ، والاسنان متقاربة لكنها غير منطبقة ، والحنك اللين مرتفع يسد طريق النفس من الحنك ، ولا يتذبذب الوتران، فينفذ الهواء باتجاه الثنيتين العليين اذ يسمع صوتها مصفوا مطبقا .(1)(2)

ب — وثاني صوت في هذا المخرج هو الزاي :

ويتم حدوثه باندفاع الهواء حتى موضع خروجه اذ اللسان منخفض قليلا ، وهو تجاه سقف الحنك ، وطرفه قريب من الاسنان السفلى يكاد يلامسها ، وأسنان الفكين متلاقية تملما ، والحنك اللين المرتفع يسد طريق النفس من الحلق ، واذ ينطق بصوتها ينفذ الهواء ويتذبذب الوتران الصوتيان .

ج — وثالث صوت في هذا المخرج هو السين :

ويتم حدوثها باندفاع الهواء حتى موضع خروجه ، واللسان وطرفه وكتلته كما هو في نطق صوت الزاي ، لكن الوترين الصوتيين لا يتذبذبان .

13 — المخرج الأسناني الرخو :

ولهذا المخرج ثلاثة أصوات هي على توالي ذكرها : الظاء ، الذال ، والثاء . وقد كانت هذه الاصوات في اللغة السامية في موضع متقدم أكثر مما هي في العربية الفصحى .

---

(1) — راجع : سر صناعة الاعراب : ج : 1 ص

(2) — الخصائص . ج : 1 . ص 374 .

وهي مؤاخية لأصوات المخرج الاسناني الشديد وهي : الظاء والذال والثاء .

أ — ويتم نطق الظاء باندفاع الهواء حتى موضع خروجه اذ اللسان مرتفع مسطحه تجاه الحنك وطرفه ملاصق للثنيتين العليين ، والحنك اللين مرتفع يسد طريق النفس من الحلق واذ ينفذ الهواء من بين طرف اللسان والثنيتين العليين يتذبذب الوتران الصوتيان ويسمع صوتها .

ب — وصوت الذال هو ثاني أصوات هذا المخرج .

ويتم حدوثه باندفاع الهواء حتى موضع خروجه اذ طرف اللسان ملاصق لأطراف الاسنان العليا ولا سيما الثنيتين ، والحنك اللين مرتفع يسد طريق النفس من الحلق ، ويتذبذب الوتران الصوتيان اذ ينفذ الهواء فيما بين طرف اللسان وأطراف الاسنان .

ج — وأما صوت الثاء هو ثالث أصوات هذا المخرج .

ويتم حدوث صوتها باندفاع الهواء حتى موضع خروجه اذ اللسان مسترخ وطرفه بين الثنايا في التكبين المبتعدين قليلا جدا بقدر وضع طرف اللسان بين الأسنان . والحنك اللين مرتفع كشأنه دائما في مثل هذه الأصوات، فينفذ الهواء من بين طرف اللسان وأطراف الثنيتين العليين في فراغ ضيق ، دون أن يهتز الوتران الصوتيان .

14 — المخرج الاسناني الشفوي:

ولهذا المخرج صوت واحد هو الفاء . وربما كان له أصل في اللغة

السامية ينطق مشددا ومفخما ثم تطور الى صوت الفاء . وهذا مايفهم من كلام سيبويه على نطق للباء مستهجن يشبه الفاء[1] .

ويتم حدوثه باندفاع الهواء حتى موضع خروجه اذ الثنايا العليا ملاصقة لباطن الشفة السفلى ، والحنك اللين مرتفع والفتحة الحنجرية يمر منها الهواء دون عائق ، فينفذ من بين الثنايا وموضعها من الشفة دون أن يتحرك الوتران ويسمع صوتها متفشيا .

15 — المخرج الشفوى:

ولهذا المخرج ثلاثة أصوات هي على ترتيبها : الباء ، والميم ، والواو ، صوت اللين .

وأبدأ بصوت الباء :

أ — ويتم حدوثه باندفاع الهواء حتى موضع خروجه من الشفتين ، والحنك اللين مرتفع ، فلا ينفذ الا بانفراجهما اذ يتذبذب الوتران الصوتيان ويسمع صوته .

ب — وصوت الميم هو ثاني أصوات هذا المخرج .

ويتم حدوثه باندفاع الهواء بطريق التنفس من الحلق ، اذ الشفتان مطبقتان ، والحنك اللين منخفض ليمر الهواء بطريق التنفس نحو فراغ الخيشوم واللسان في موضعه دون أي تغيير ، والوتران الصوتيان يتذبذبان اذ يسمع صوتها الذى يخرج من الانف .

---

(1) — دروس في علم أصوات العربية . ص 43

الـذى يخـوج مـن الانـف .

جـ ـ وآخـر أصـوات هـذا المخـرج هو الواو .

وما يلفـت اليـه النظـر هنا أن بعـض الباحثين ومنهم كانتينـو يتناولونـه علـى أنـه حركـة أو نصـف حركـة ، بيـد أنـه لما استعمل أصلا وأبدل مـن أصـوات هـي أصول فى ألفـاظها لـزم أن يـذكـر بين الاصوات الثابتة ، وان نصا بحثـه فـى موضـع آخـر من الاصـوات على أنـه حـركـة أو نصـف حركـة (1) .

ويتم حـدوثـه بـا ندفاع الـهواء نحـو موضـع مخرجـه اذ الشفتـان مستديرتان ، واللسـان مرتفـع فـى أقصـاه باتجـاه الحنـك اللين الـذى يكـون على حالـه مـن الارتفـاع ليسـد طـريـق النفـس من الحلـق فينفـذ ، ويتـذبـذب الوتـران الصوتيان ويسمـع صـوتـه مجهـورا .

ونطـق صـوت الواو فـى بعـض القـراءات موضـع صوت الالـف : الصلاة ، الزكاة ، الحيـاة ، وفـى لـهجـة بعـض مناطـق بـلاد الشـام وفـى الجزيـرة العربية لم تـزل واضحـة حـتى اليوم كمـا هو الامـر فـى نطـق أهل اللاذقيـة وحلـب وشمال الجزيرة العربيـة مثـل هـذه الالفـاظ : خـالـد ، رايـح ، صـايم ، لابـس .

وذهـب بعـض الباحثين الى تعليل نطـق الالـف مفخمة بصـوت الـواو ، بمجاورتهـا الاصـوات المفخمـة ، وأن هـذه الظاهـرة قـديمـة (2) .

---

(1) ـ أنظـر : دروس فـى علم أصـوات العربيـة . ص 137 .

(2) ـ نفســه . ص 163 .

وقد لحق هذا الصوت تطور فى أكثر اللهجات فأصبح حرف مد ولين مثل : صوت ، عون ، نوء ، صوت ، عون ، نوء وبقي على ما كان عليه فى كثير من مناطق ساحل بلاد الشام فى مثل : ذوق ، وعينى ، ونى ، خوف ... الخ

16 — المخرج الخيشومي الأنفي :

وله صوت واحد ، يسمع فى نطق النون والميم الساكنين والتنوين .

ويتم حدوثه باندفاع الهواء بطريق الأنف من الحلق اذ الحنك اللين منخفض ، ومؤخر اللسان متحدب يلامس تلك الموضع من الحنك عند النطق بتلك الأصوات ، والفم مغلق ، والهواء ينفذ بطريق الأنف ، والوتران الصوتيان يتذبذبان .

فتلك هي أعضاء النطق ومخارج الأصوات العربية وكيفية حدوثها بحسب نتائج البحث الصوتي اليوم ، وكما جاء ذكرها فى التراث والآن نود أن نخلص من هذا الحديث لتوضيح ترتيب الأصوات العربية عند القدماء والمحدثين .

ولا شك أن فائدة هذه الدراسة مقتصرة على جانب محدد وهو البحث عن المصطلحات الصوتية من وجهة نظرية محددة على الرغم من محاولة الكثير من علماء الأصوات أن يطلقوا مصطلحات صوتية ترتضيها وسائلهم المتقدمة ويضيفوها الى معجم المصطلحات الصوتية فى ثوب جديد ، وصيغة جديدة .

جدول ترتيب مخارج الاصوات العربية قديما وحديثا

ترتيب المخرج	موضوع المخرج	سيبويه	ابن جني	العصر الحديث	ملاحظات
1 —	أقصى الحلق	الهمزة .هـ .الالف	كذلك	الهمزة .هـ (حنجرية)	المخرج : 1 . 2 . 3 أصوات
2 —	وسط الحلق	ع — ح	=	كذلك حلقية	حلقية مع اختلاف في الموضع
3 —	أدنى الفم	غ — خ	=	ق . لهوية	الحلقي بعدا أوقربا .
4 —	فمافوق ذلك من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى	ق	=	غ . خ . ك . ق	أصوات طبقية في العصر الحديث ومخرجها أقصى الحنك .
5 —	ومن أسفل ذلك وأدنى الى مقدم الفم	ك	=		
6 —	وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى	ج . ش . ى	=	كذلك غارية	وسماها القدماء شجرية نسبة الى شجر الفم
7 —	من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس	ض	=	= =	
8 —	من أدنى حافة اللسان الى منتهى طرفه فمافوق مقدم الاسنان	ل	=	ل . ر . ن	واصطلح عليها حديثا الثوية
9 —	من طرف اللسان بينه وبين مافوق الثنايا .	ن	=	كذلك	بالاشتراك مع المخرج اللثوي
10 —	من مخرج النون غيرأنه				

جدول ترتيب مخارج الأصوات العربية قديما وحديثا (تابع)

ترتيب المخرج	موضوع المخرج	سيبويه	ابن جني	العصر الحديث	ملاحظات
11	مابين طرف اللسان وأصول الثنايا .	ط . د . ت	كذلك	ز . س . ص	من مخرج واحد هو الاسنان اللثوى
12	= = = وفويق الثنايا .	ز . س . ص	=	ض . ط . د . ت	
13	= = = وأطراف الثنايا	ظ . ذ . ث	=	كذلك	أصوات أسنانية .
14	من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا	ف	=	=	صوت أسنانى شفوى .
15	مابين الشفتين	ب . م . و	=	=	أصوات شفوية
16	من الخياشيم	ن الخفيفة	=	=	يشترك فى إنتاجها اللثوى والانفى .

وعلى الرغم من أن مجال الاتفاق بين ماقدمه الاقدمون وما هو واقع اليوم أوسع من مجال الاختلاف ، وعلى الرغم من أن كثيرا من نقاط الاختلاف يمكن أن نغض النظر عنها وأن نهملها وذلك لشدة التقارب والتداخل بين مخارج النطق ، فليس في الواقع حدود فاصلة فصلا تاما بين بعض هذه المخارج . ومن ثم فانه من الجائز أن ننسب مجموعة من الاصوات الى مخرج معين ، وينسبها باحث آخر الى مخرج آخر قريب منه أو متصل به ومتداخل معه أو ربما يرجع الخلاف بيننا وبينه أو بين غيره الى الملاحظة الذاتية ، والخبرة الشخصية ، أقول على الرغم من هذا القول وغيره من الاختلافات الفردية في الخبرة الصوتية واللغوية بوجه عام بين المتكلمين ، فانه لا يمكن التسليم بما جاء به الاقدمون في جملته وتفاصيله ، قياسا الى ماتأكد في عصرنا اذ نجد هنا وهناك بعض أوجه الخلاف بين معطيات الاقدمين والمحدثين ويمكن ايجازه في الاتي :

أولا : لقد خالف سيبويه الخليل بجعله الهمزة أول الاصوات العربية وتابعه ابن جني وهذا حكم سليم قياسا الى ماتوصل اليه المحدثون، مع فارق واحد هو أن القدماء قد جعلوا مخرج الهمزة من أقصى الحلق ومخرجها عند المحدثين من (الحنجرة) اذ الحنجرة أسبق من الحلق . وما يعلل قبول رأيهم أنهم أطلقوا الحلق على منطقة واسعة تشمل الحنجرة وغيرها وتكون الحنجرة حينئذ هي المقصودة (بأقصى الحلق) على الرغم أن القدماء لم يشيروا الى الحنجرة في كلامهم ولم يعدوها من مخارج الاصوات العربية .

ثانيا : جعل سيبويه وابن جني (الألف) من ذوات المخارج ومخرجها (أقصى الحلق) ولم ينسبها المحدثون الى مخرج معين بوصفها حرف مد يمثل في اللغة العربية وفي كل مواضعه حركة هي الفتحة الطويلة ، ومانطقها الا نتيجة لهيئة حنجرة الوترتين لا اقفال ولا تضييق في مخرج بعينه شأنها في ذلك شأن العلل والحركات.

وقد يعترض بعض المحدثين في عد الألف حركة في كل مواضعه كالياء والواو وقد ذكر في أبجدية المحدثين وهذا الاعتراض مردود لأن للياء والواو جانبين : الاول كونهما حركتين طويلتين أيضا هما الضمة والكسرة والثاني كونهما من الأصوات الصائتة ، وهما مذكوران في أبجدية سيبويه وابن جني بهذا الوصف الأخير . بدليل وضع (الياء والجيم والشين في مخرج واحد) وهذا مالا يمكن عمله بالنسبة للياء المدية أي (الكسرة الطويلة) .

ثالثا : واذا كان حكم سيبويه وابن جني على الهمزة بأنها أول الحروف مخرجا حكما سليما لا غبار عليه بالمنظور الحديث فانما يقع الاعراب عليهما من زاوية جعلهما الواو آخر الحروف مخرجا واعتبارها حرفا شفويا ، فالبحوث الحديثة تثبت أن " الواو " في نحو " ولد " تخرج من أقصى الحنك أي من منطقة الكاف أو مايقرب منها ، ومع اتخاذ الشفتين وصفا معينا ولكن ذلك لا يكفي لعدها شفوية ، واذا أردنا أن نجمع بين هاتين الجهتين يمكن القول بأن الواو (حنكية — قصية) أي من (أقصى الحنك) شفوية ، وربما يكون وصفها مع الكاف وأخواتها أدق من وضعها مع الباء والميم وبالرغم من أن بعض المحدثين من علماء الاصوات

ومع هذا فإن نجد سيبويه ومن تلاه كابن جني استطاعوا أن يقدموا تقسيما لمخارج الاصوات العربية ويكادون أن يكونوا متفقين اتفاقا تاما حوله ، ومن جهة أخرى لا يختلفون كثيرا عما يقرره علم الأصوات الحديث في ترتيب الاصوات داخل مجموعات معينة ، على الرغم من أن ترتيب تلك الأصوات داخل المجموعة الواحدة يختلف أحيانا عما هو عليه في الترتيب الحديث ويمكن رد ذلك الى أمرين أساسيين :

أولهما : أنه من المحتمل أن يكون قد حدث تطور من نوع ما للأصوات العربية من حيث مواضع نطقها منذ زمن سيبويه ومن بعده ابن جني الى وقتنا الحاضر .

فقد يفسر الخلاف بيننا وبين القدماء أحيانا على أنه راجع الى هذا السبب ، وهذا احتمال على كل حال . فليست لدينا أدلة يقينية تثبت أو تنفي هذا التطور ، اذ التطور في الاصوات بالذات لا يتأكد الا في الاستماع الفعلي للاصوات ولكننا لا نهمل فكرة التطور هذه بحال من الاحوال اعتمادا على ما نعرفه على الشاهد الملموس الآن في اللهجات العامية . ففي هذه اللهجات تطورات صوتية ضخمة واضحة اذا قيست بما يقابلها في أصوات اللغة الفصيحة الحالية .

وثانيهما : ان الوصف العلمي الدقيق للاصوات في عصرنا قد تم بمعية الآلة وفي ضوء علم التشريح ، ولم يتأت للقدماء ذلك ، ومن يدري لعله لو كان قد أتيح للخليل وسيبويه وابن جني وغيرهم أن يشتغلوا في معامل الاصوات التي يسرها العصر لكانوا وصلوا الى نتائج أوفى وأقرب الى ما توصل اليه البحث الحديث .

قد اتفقوا مع سيبويه وابن جنى فى عدّ الواو شفوية

رابعا : أخر سيبويه وابن جنى (القاف) فى الترتيب عن الغين والخاء مع أن القاف مخرجها عند اللهاة ومخرج الثلاث الأخريات فى النطق وهو الجزء الرخو سقف الفم أمام اللهاة مباشرة ، ولهذا السبب يضع المحدثون القاف قبل الغين والخاء سابقة لهما لا تالية ومن المحدثين من يضم القاف الى الغين والخاء ويسمى الثلاثة الاحرف اللهوية .

خامسا : قدم سيبويه وابن جنى (الضاد) فى الذكر والمخرج ومكانها فى الدراسات المعاصرة أن تذكر فى موضع متأخر بأن توضع مع المجموعة الاسنانية اللثوية وهي (ط . د . ت) هذا اذا ماتجاهلنا حقيقة ماأصاب نطق (الضاد) عبر العصور فقد فقدنا اليوم نطقه تماما وخرجت به كل لهجة عربية مخرجا جديدا متراوحا بين الظاء والدال المفخمة ، والطاء ومن هنا يرى البعض وجوب التسليم بالوصف القديم .

سادسا : جعل سيبويه ووافقه ابن جنى مخرج الصاد ، والزاى ، والسين من بين طرف اللسان وفويق الثنايا فهو على هذا الاساس يلى مخرج (الطاء ، والدال ، والتاء) ويعد اليوم العكس فيتقدم (الصاد ، والزاى ، والسين) مخرجا ورتبة ثم تليه مجموعة (الطاء ، والدال ، والتاء) . والملاحظ فى نطقنا الحالى للزاى والسين والصاد هو وضع طرف اللسان خلف الاسنان العليا مع التقاء مقدم اللسان باللثه التقاء خفيفا من شأنه

أن يحدث الاحتكاك الذى نسمعه عند نطقها ومعنى هذا أن هذه الاصوات (سنية) لونظرنا الى الوضع الاول ، ولكنها لثوية بالنسبة الى الوضع الثانى ، ومعناه ايضا صحة تسميتها أصواتا : أسنانية ، لثوية بالاعتبارين معا وهذا هو الذى دفعنا الى ضم الضاد والطاء والدال والتاء معها وجعلها من مخرج واحد .

أما ترتيب بقية الأصوات عند سيبويه وابن جنى فهو ترتيب مقبول ومعقول بل انه — كما فى حالة الفاء والباء والميم مثلا — بلغ غاية فى الدقة والذى يعكر صفو الرجليه ومن تابعهم من القدماء فى الترتيب هو نسبة بعض هذه الاصوات الى مخارج يختلف الدرس الحديث معهم وسوف تتضح أبعاد هذا الخلاف وغيره أكثر فى موضع لاحق حين نتحدث عن المصطلحات الناجمة عن تقسيم الأصوات العربية بحسب صفاتها بعد أن وضحنا مصطلحات أعضاء النطق وعلاقتها بمخارج الأصوات العربية وكيفية حدوثها بالنسبة للنطق ، والفروق الناجمة عن ترتيب مخارجها فى القديم والحديث .

الفصل الرابع

المصطلحات الدالة على صفات الأصوات العربية

المصطلحات الدالة على صفات الأصوات :

تناولنا في الفصل السابق المصطلحات الدالة على أعضاء النطق عند الانسان وعرفنا المهم من وظائف أعضائه ، وسنحاول في هذا الفصل الالمام بالمصطلحات الدالة على صفات الأصوات ، ولكي نوضح ذلك نجد لزاما علينا تتبع طريق خروج الهواء من الرئتين وسنبين من خلال ذلك ما نحن بصدده .

طريقة خروج الهواء :

بعد أن عرفنا شيئا عن المخارج في العربية الفصحى ، نعود الى ما انتهينا اليه وهو كيفية حدوث الصوت مرة أخرى .

لقد قلنا انه في الامكان أن يعوق تيار الهواء الخارج من الرئتين عائق يمنعه من المرور ، عند أي مخرج من هذه المخارج ، ثم يزول هذا العائق بسرعة ، وبهذا يندفع الهواء الخارج بانفجار شديد واما أن يضيق المجرى عند أي مخرج من هذه المخارج ، ضيقا يسمح للهواء بالمرور مع الاحتكاك بمكان التضييق .

وفي الحالة الأولى يسمى الصوت الخارج (حالة وجود عائق) صوتا شديدا أو انفجاريا ، وفي الحالة الثانية (حالة عدم وجود عائق) يسمى الصوت الخارج صوتا احتكاكيا أو رخوا .

ولحدوث الصوت الانفجاري خطوات متميزة يوضحها الفدريس" فيقول : " ففي كل صوت صامت انفجاري ثلاث خطوات متميزة : الاغلاق أو الحبس ، والامساك ، الذي قد يكون طويل المدى أو قصيره والفتح

أو الانفجار ، عند اصدار صوت صامت بسيط مثل التاء ، فان الانفجار يتبع الحبس مباشرة ، والامساك يضؤل الى مدى لا يكاد يحسّ ، وعلى العكس من ذلك تظهر الخطوات الثلاث بوضوح ، فيما يسمى بالصوامت المضعفة وهي ليست الا صوامت طويلة " (1).

وقدريس في هذا النص يوضح آلية الانفجار الذى يتسبب من طرود الهواء من الرئتين ، فيعبر الحنجرة وهي مفتوحة ساكنة ، وينفذ الى التجويف الحلقى حيث يوقف فجأة عند الشفتين أو عند الاسنان أو في الحنك ، ويستطيع الهواء أن يستمر في مسيره نحو الخروج .

واذا كان الشرط في انتاج الاصوات الانفجارية الشديدة هو سرعة زوال العائق ، فاننا نجد بين أصوات العربية صوتا لا يزول فيه العائق بسرعة ، بل ان العضوين المتصلين لا ينفصلان انفصالا سريعا ، وانما انفصالهما انفصال بطيء ، وفي الانفصال البطيء مرحلة بين الانسداد المطلق والانفتاح المطلق ، شبيه الى حدّ ما ، بالتضييق الذى عرفنا أنه من مميزات الأصوات الرخوة الاحتكاكية .

وهذه المرحلة تسمح للهواء أن يحتك بالعضوين المتباعدين ببطء احتكاكا شبيها بما يصاحب الأصوات الرخوة ، ولهذا فان هذا الصوت يجمع بين الشدة والرخاوة ، بمعنى أنه يبدأ شديدا انفجاريا ، وينتهي رخوا احتكاكيا ، ولهذا نسميه بالصوت المزدوج ، ويسمى بالصوت المزجي أو المركب وهو في اللغة العربية صوت الجيم في الفصحى .

---

(1) — فندريس . اللغة . ص 48 .

ويجعل "فندريس" هذا النوع من الأصوات متوسطا بين الانفجارى والاحتكاكى فيقول : (وتوجد سلسلة من الأصوات المتوسطة بين الانفجارية والاحتكاكية ، وهي ما تسمى شبه الانفجارية ، أو بعبارة أوضح : الانفجارية الاحتكاكية وتتميز بالانغلاق الذى لا يستمر أحكامه ، وفيها كما في الانفجارية حبس ، ولكن هذا الحبس تتبعه حركة خفيفة من الفتح ، بحال يجعل الانفجارى ينتهي بالاحتكاك ، فالانفجارى الاحتكاكي هو انفجارى فاشل .)(1)

كما يقول ماريوباى((أما الأصوات المركبة (Affricate) فهي أصوات لا تنتج عن طريق تغييرا لمخرج ، وانما تعديل طريقة النطق ، فاذا حدث أن كان الانغلاق المتلو بانطلاق الموجود في نطق الـ (T) اذا حدث أن كان هذا الانغلاق متبوعا بالصوت الاستمرارى الاحتكاكي ، فان النتيجة ستكون (Ch) الموجودة في (Church) . ويحدث الشيء نفسه مع الـ (d) اذا تبعت بالصوت الاحتكاكي المجهور (ʒ) في (measure) حيث يكون الناتج صوت الـ (j) الموجود في (jet) . ومن الممكن بالطريقة نفسها انتاج أصوات مركبة مثل (ts) و (ds) اللذين تمثلهما بعض الأبجديات (وبخاصة الألمانية والايطالية) برمز واحد هو (Z) ، وذلك عن طريق الجمع بين أسنان انفجارى ، وصفيرى (sibilant) ضيق "احتكاكي" (spirant) من غير تعديل في مخرج الصوت .))(2) .

---

(1) — فندريس . اللغة . ص . 50 .

(2) — ماريو باى . أسس علم اللغة . ص . 84 — 85 .

هذا ، ومن الممكن كذلك أن يمر الهواء بمجراه دون احتكاك أو انحباس من أي نوع ، اما لأن مجراه في الفم يتجنب المرور بنقطة السد أو التضييق ، كما في صوت " اللام " أو لأن هذا التضييق غير ذي استقرار كما في صوت " الراء " أو لأن الهواء لا يمر بالفم ، وانما يمر بالأنف ، كما في صوتي " الميم " و " النون " وهذا النوع من الأصوات نسميه بالاصوات المتوسطة لأنها ليست بالشديدة ولا بالرخوة .

وهذه الأصوات الأربعة تسمى عند علماء الغرب بالأصوات " المائعة " أو السائلة (liquide) .

ويستنتج مما سبق ذكره أن تغير شكل المخرج عند حدوث الصوت ينتج لنا أربعة أنواع من المصطلحات المتعلقة بصفات الأصوات نستطيع تقسيمها كالتالي :

1 ـ شديد = انفجاري
2 ـ رخو = احتكاكي
3 ـ متوسط = مائع = سائل
4 ـ مزدوج = مزجي = مركب .

وهناك مصطلحات أخرى تنعت بها صفات الأصوات ولا ينظر فيها الى شكل المخرج وانما ينظر فيها الى اهتزاز الأوتار الصوتية أو عدم اهتزازها ، وبذلك تصنف الأصوات الى صنفين :

أ ـ أصوات تهتز معها الأوتار الصوتية وتتذبذب وتسمى " الأصوات المجهورة " .

ب — أصوات لا تهتز معها الأوتار الصوتية و تسمى " الأصوات المهموسة " .

ففي الحنجرة تحدث صفة الهمس في الأصوات اذ لم يمرّ الهواء دون حدوث ذبذبة ، و صفة الجهر اذا تذبذبت أوتارها الصوتية أثناء خروج الهواء للنطق بصوت . والهمزة صوت انفجاري مهموس يحدث اذا أقفلت الأوتار الصوتية الحنجرة تماما ثم فتحت . واذا ضاق الجزء الذي يلي الحنجرة مباشرة بحيث يحدث احتكاك مسموع حدث صوت " الهاء " .

واذا ضاق الجزء الأعلى من البلعوم " خلف لسان المزمار " و اهتزت جدرانه حدث حرف " العين " جهرا ، و حرف " الحاء " همسا .

و هناك تقسيم ثالث لصفات الأصوات ، ينظر فيه الى ارتفاع مؤخرة اللسان ، أو انخفاضها عند نطق الصوت ، ففي الحالة الأولى يسمى الصوت " مفخما " أو " مطبقا " نظرا لارتفاع مؤخرة اللسان تجاه الطبق ، وهو الجزء الرخو من سقف الحنك ، وفي الحالة الثانية ، يسمى الصوت " مرققا " أو " غير مطبق " .

والأصوات المفخمة في اللغة العربية ، هي : ((الصاد ، الضاد الطاء ، والظاء .)) لا غير . وتسمى هذه الأصوات ب " المطبقة " لأن اللسان يتخذ شكلا مقعرا في القسم عند النطق بها .

و يتضح من هذا التقسيم أن مصطلح التفخيم = الاطباق

الترقيق = غير مطابق

وستوضح كل منهما في مكانه من هذا البحث .

هذا ويطلق علماء الأصوات مصطلح " الأصوات الصامتة " أو الساكنة على الأصوات التي يلقى الهواء المندفع عقبات وحوائل تؤدي في بعض الحالات الى انغلاق تام لمجرى الهواء ، وبعكسها " أصوات اللين " فانها تجد حدّا أدنى من تلك الحوائل بالقياس الى ما تصادفه الأصوات الصامتة (1) .

وتعد أصوات العربية كلها عدا أصوات الواو والياء والألف وما يتفرع منها من حركات أصواتا صامتة ، وتتصف الأصوات الصامتة بصفات خاصة نذكر منها "التكرار" و " الانحراف " وهما صفتان للراء واللام .

وما يتضح من خلال تتبعنا لمسار الهواء الخارج من الرئتين وما نجم عنه من تقسيمات متنوعة وعديدة لصفات الأصوات العربية عند الأصواتيين أن المصطلحات المتعلقة بصفات الأصوات العربية عندنا في هذا البحث .

تنقسم الى قسمين :

أ — مصطلحات تتعلق بالصفات العامة للأصوات العربية .

ب — مصطلحات تتعلق بالصفات الخاصة بها .

---

(1) — خليل ابراهيم العطية . في البحث الصوتي عند العرب . ص . 39 .

وسنبيّنهما في الآتي ذكره مبتدئين بمصطلحات الصفات العامة وفي مقدمتها مصطلحي :

1 — الجهر والهمس :

رأينا فيما سبق ذكره أن الأصوات تقسم من حيث ذبذبة الوترين الصوتيين وعدمها الى : صوت مجهور ومهموس .

وعرفنا المجهور هو : ذلك الصوت الذي تصحبه ذبذبة الأوتار الصوتية والمهموس ما لا تصحبه تلك الذبذبة .

ولقد عرف القدماء هذا التقسيم دون أن يعرفوا الوترين الصوتيين وميزوا بين المجهور والمهموس .

فسيبويه يعرّف المجهور قائلا : ((فالمجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت ، فهذه حال المجهورة في الحلق والفم الا النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنّة والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخلّ بهما .))(1) .

ثم يقول : ((وأما المهموس فهو حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه وأنت تعرف ذلك اذا اعتبرت فرددت الحرف

---

(1) — سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص . 405 .

مع جري النفس ، ولو أردت ذلك في المجهور لم تقدر عليه [1])) .

ولم يخرج ابن جني عن هذين التعريفين في سر الصناعة حيث يقول : ((فمن ذلك انقسامها الى الجهر والهمس — (يعني صفات الأصوات) — وهي على ضربين : مجهور ومهموس [2])) .

وكذلك الزمخشري (ت 538 هـ) [3] وابن الجزري (ت 833 هـ) [4] .

وذهب آخرون الى تعريفهما تعريفات أخرى منها ذهاب ابن كيسان (ت 299 هـ) الى عد الصوت المجهور : ((ما لزم موضعه الى انقضاء حرفه وحبس النفس أن يجري معه فصار مجهورا لأنه لم يخالطه شيء يغيره .))

والمهموس : ((حرف لان مخرجه دون المجهور وجرى معه النفس وكان دون المجهور في رفع الصوت . [5]))

وابتسر السكاكي (ت 626 هـ) في تعريف الجهر بأنه "انحصار في مخرج الحرف " والهمس : جري ذلك فيه [6] "

---

(1) — نفسه . ص 406 .

(2) — ابن جني . سر صناعة الاعراب . ج : 1 ص 28 .

(3) — الزمخشري . المفصل . راجع : شرح المفصل لابن يعيش . ج : 10 . ص 123 .

(4) — ابن الجزري . النشر في القراءات العشر . ج : 1 . ص 202 .

(5) — أنظر : ابن منظور لسان العرب . ج : 1 ص 13 .

(6) — السكاكي . مفتاح العلوم . ص . 39 .

وما يتضح من هذه التعاريف التي وردت بعد سيبويه أنها جعلت علماءنا القدماء حائرين أمام تعريفي سيبويه للأصوات المجهورة والمهموسة ، واقتنعوا بترديد ألفاظهما دون شرح أو تعليق ذي قيمة تذكر ولا يكادون يقربون منهما حتى ينقلبوا عنهما .

ونحن حين نحسن الظن بتعريف سيبويه ونحكم عليه بأنه كان على علم حقيقي بطبيعة المجهور والمهموس ، نستطيع بعد امعان النظر تفسير هذين التعريفين تفسيرا معقولا ، ولكي يتسنى لنا ذلك ينبغي لنا هنا أن نسجل الملاحظات التالية :

1 — استعمل سيبويه في التعريفين مصطلحي (الاشباع والاضعاف) وكما يبدو من المقابلة بينهما ووضوح معنى الثاني منهما (أن الاضعاف يعني سلب القوة) يمكن فهمهما على النحو التالي :

الاشباع = التقوية

الاضعاف = ازالة القوة .

2 — يظهر من اسناد الاشباع والاضعاف الى (الاعتماد) واتفاق منع جرى الصوت مع اشباع الاعتماد وجرى النفس مع اضعاف الاعتماد أن : الاعتماد = الضغط .

3 — يبدو من استعمال سيبويه لكلمة (موضعه) دون كلمة مخرجه في النص السابق وأن المقصود بهذه الكلمة غير المقصود بالأخرى ، وأن " المخرج " دون " الموضع " كما سبق أن وضحنا[1] .

---

(1) — أنظر : ص 263 من هذا البحث .

ويتضح ذلك :

أ — أن الاعتماد له موضع ولا يوصف بأنه له مخرج لأن المخارج عند سيبويه بالحروف فقط .

ب — أن الاعتماد يكون من موضعه و (الضمير للاعتماد) واقعا على مخرج الحرف فالمعتمد عليه فمنشأ الاعتماد وموضعه هو الحجاب الحاجز الضاغط على الرئتين لافراغ ما فيهما من هواء وهو (أي الاعتماد أو الضغط) ولا يطعن في هذا الفهم قوله عن الميم والنون ، وقد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة لأن حروف الجر يحل بعضها محل البعض والحروف "في" حل محل "على" المخرج الذي يوجد "في" الفم والخياشيم .

فاعادة الضمير في كلمة "موضعه" على الاعتماد أولى بأن تجعل المعنى مستقيما .

4 — يتضح من عبارة سيبويه القائلة ((ومنع النفس أن يجري معه ... ويجري صوت)) أن هناك نوعا من التقابل بين مصطلحي النفس والصوت يمكن ايضاحه بما يأتي :

النفس يرتبط بالهمس .

الصوت يرتبط بالجهر .

ولست أرى بعد تسجيل هذه الملاحظات مبرّرا للحكم على تعريفي سيبويه "المجهور والمهموس" بقدر ما أرى وجوب اعادة صياغتها مستبدلة مصطلحاته بمصطلحات مبسطة متداولة في لغتنا ، وفي تفسيرهما

ولأمر ما عبر سيبويه بقوله : "أشبع الاعتماد في موضعه" ولم يقل في مخرجه لأنه كان يشعر بهذا الاشباع في كل مجرى الصوت منذ صدوره من الرئتين الى انطلاقه الى الخارج فكلمة " الموضع " هنا هي ما عبرنا عنه في هذا البحث ب" المجرى " وفرقنا بينه وبين"المخرج " .

أما الأمر الثاني الذى تبين لنا من تعريف سيبويه هو ما عبر عنه بقوله : (منع النفس أن يجرى معه حتى ينقضي الاعتماد عليه) ، ومعنى هذا في رأيي أن الحس المرهف لسيبويه جعله يشعر مع المجهور باقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر حتى لا يكادان يسدان طريق النفس . وتلك هي الصفة التى وضحها المحدثون حين وصفوا ما يجرى في الحنجرة مع المجهورات ، اذ قالوا : انه مع المجهور يقترب الوتران الصوتيان أحدهما الوترين الصوتيين ، وتجعلهما يتذبذبان حتى ينقضي الاعتماد ، أى حتى تنتهي العملية العضوية المطلوبة في اصدار الصوت . أما في حالة المهموس فقد عبر عنها سيبويه بضعف الاعتماد ، أى عدم تمكن الصوت في أثناء جريانه في مجراه ، مما يترتب عليه قلة وضوحه .

كذلك نجد طريق التنفس معه مفتوحا بحيث يسمح بانسيابه حرًّا طليقا ، وتلك هي الحال التي عبر عنها المحدثون بقولهم : ان الوترين الصوتيين مع المهموس يتباعد أحدهما عن الآخر فينطلق النفس من بينهما دون حاجة الى تحريكهما واحداث ذبذبات بهما . هذا هو معنى جريان النفس مع المهموس ، ومنع جريانه مع المجهور .

وهكذا نجد أن تعريف سيبويه للمجهور والمهموس لا يقوم أساسا

((المجهور صوت يشتد الضغط في الحجاب الحاجز معه ولم يسمح للهواء المهموس أن يجرى معه حتى ينتهي الضغط عليه ولكن يجرى الصوت في أثناء نطقه فهذه حال الأصوات المجهورة في الحلق والفم عدا النون والميم فقد يتم الضغط فيهما على مخرجهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة ، أي أنهما صوتان أنفيان مجهوران)) .

وهكذا يختلف فهم سيبويه للجهر والهمس عن فهم المحدثين : ومما يذكر المحدثون من علماء الأصوات ، أنه لاختبار جهر الصوت يمكن أن تجرى التجارب التالية :

1 - حين نضع الأصبع فوق تفاحة آدم ، ثم ننطق بصوت من الأصوات وحده مستقلا عن غيره من الأصوات ولا يتأتى هذا إلا بأن تشكل الصوت موضع التجربة بذلك الرمز الذى يسمى السكون مثل "ب" ويجب الاحتراز من الاتيان قبله بألف وصل ، كما كان يفعل القدماء من علماء الأصوات لأن الصوت حينئذ لا يتحقق فيه الاستقلال الذى هو أساس التجربة الصحيحة فاذا نطقنا بالصوت وحده ، وكان من المجهورات نشعر باهتزازات الوترين الصوتيين ، شعورا لا يحتمل الشك .

2 - وكذلك حين نضع أصابعنا في آذاننا ، ثم ننطق بصوت مجهور وهو وحده مستقلا عن غيره ، نحس برنة الصوت في رؤوسنا . ففي ذلك يقول : " فندريس " :

---

(1) - انظر . ابراهيم أنيس . الأصوات اللغوية . ص . 23 .

((واذا راعى الانسان أن يسدّ أذنيه عند النطق فانه عندما يصل الى المجهورة يسمع الرنين الذى تنشؤه الذبذبات الحنجرية في تجاويف الرأس))[1] .

3 ـ والتجربة الثالثة هي أن يضع المرء كفه فوق جبهته في أثناء نطقه بالصوت موضع الاختبار ، فيحس برنين الصوت وذلك الرنين هو أثر ذبذبة الوترين الصوتيين .

وقد أدى الاختلاف في فهم ظاهرتي : الجهر والهمس عند سيبويه والمحدثين وكذلك بين المشتغلين بالبحث الصوتي من المحدثين أنفسهم حول صحة وصف العلماء العرب للظاهرتين ففريق مؤيد أحسن الظن بهما وآخر منكر لاحداثه اللبس وتداخل بينه وبين الصوت الشديد والرخو مما سنذكره بعد حين .

وفي هذا الصدد نورد تعليق " هنرى فليش "[2] اذ يقول :

((ولاحق أن العلماء العرب ـ مع ما بدا من جهلهم للوترين الصوتيين ودورهما المعروف في تحديد صفتي الجهر والهمس ـ لم يكونوا على جهل بأهم ظاهرة في الصوت المجهور ، وهي صفة " التمكن والقوة " التي تتأتى من " توترهما " عند التقائهما ، واستشعارهما هذا دليل واضح على معرفتهم بالظاهرة ، ولا شك أن " جهلهم بالسبب لا يستتبع مطلقا أنهم لم يستطيعوا ادراك " الأثر ")) .

---

(1) ـ فندريس . اللغة . ص . 51 .

(2) ـ هنرى فليش . مجلة اللغة العربية بمصر . مج : 3 . ص . 53 .

ويذكر الدكتور خليل ابراهيم العطية نصا أورده (1)

أبو سعيد السيرافي (ت 368 هـ) لسيبويه في شرحه على الكتاب يدل على فهم وادراك بأمين لظاهرتي الجهر والهمس بالاشارة الى (الرنين) أو ما يسميه (صوت الصدر) في المجهور وغيابه في الصوت المهموس ، أن النص ((المهموس اذا أخفيته ثم كررته أمكنك ذلك ، أما المجهور فلا يمكنك فيه ، ثم كرر سيبويه "التاء" بلسانه وأخفى فقال : ألا ترى كيف يمكن ؟ وكرر الطاء والدال وهما من مخرج التاء فلم يمكن .

قال : وانما الفرق بين المجهور والمهموس انك لا تصل الى تبيين المجهور الا أن تدخله الصوت الذي يخرج من الصدر .

- فالمجهورة كلها هكذا يخرج صوتهن من الصدر ويجري في الحلق أما المهموس فتخرج أصواتها من مخارجها . ... والدليل على ذلك أنك اذا أخفيت همست بهذه الحروف ولا تصل الى ذلك في المجهور . (2)

وهكذا يكون أساس التمييز بين الأصوات المجهورة والمهموسة - عند سيبويه - فرق بين صوت الصدر - في المجهور وصوت المخارج - وجلها في الفم ... باعتبار أن صوت الصدر غائب في المهموس موجود بسبب ارتفاع الصوت في المجهور .

---

(1) - راجع : في البحث الصوتي عند العرب ، ص ، 42 .
(2) - شرح السيرافي لكتاب سيبويه ، مخطوطة التيمورية .
راجع : خليل ابراهيم العطية ، في البحث الصوتي عند العرب ، ص 43 .
ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص ، 123 .

أما اشارة سيبويه الى جريان الصوت ومنعه ، فهي تأكيد لمعرفة علماء العربية بدور الرئتين ، واذا كان سيبويه قد أشار الى خروج الصوت من الصدر ، فان ابن جني طوّر هذه الملاحظة بالاشارة الى " الصدى الذي لا يخرج عن كونه احساس المرء بذبذبات الوترين في أثناء النطق بالصوت المجهور في أثناء جريان النفس من الرئتين[1] .

ومما نشير اليه أن علماءنا الأوائل قد استطاعوا التمييز بين مجهور الأصوات ومهموسها بطريقة فطرية تعتمد على حسّهم المرهف ولم يخذهم التوفيق في بيانهما الا في عدّهم أصوات الهمزة والقاف والطاء مهموسة وهي عند المحدثين مجهورة ، وان كانت الهمزة محل خلاف بين المحدثين أنفسهم ففريق وصفه بالهمس وآخرون نفى صفة الهمس والجهر لأن وضع الوترين معه لا يسمح بشيء من ذلك[2] . ونحن مع الهمس أميل .

هذا وبعد أن عرّفنا المجهور والمهموس عند القدماء من المحدثين وذكرنا ما علّق عليهما ننتقل الى صفة أخرى من الصفات العامة للأصوات وهي أقرب الى مفتي الجهر والهمس يطلق عليهما مصطلحي :

2 — الشدة والرخاوة :

تبيّنا عند حديثنا عن طريقة خروج الهواء من الرئتين أن الصوت الخارج (حالة وجود عائق) يسمى شديدا أو انفجاريا ، وفي حالة عدم وجود أي عائق يسمى احتكاكيا أو رخوا .

---

(1) — ابن جني سر صناعة الاعراب . ص . 36 .

(2) — أنظر : تمام حسان . مناهج البحث في اللغة . ص . 97 .
جان كانتينو . دروس في علم أصوات العربية ص . 123 .

وارتأينا أنّ بعض المحدثين من علماء الأصوات قد التبس الأمر عليهم في فهم ظاهرتي الجهر والهمس ، لأنّ ما يفهم من تقسيم الأصوات عند سيبويه الى مجهورة ومهموسة أنه يقوم على جرى النفس وعدمه وتلك لصفة من السمات الخاصة بشدة الصوت ورخاوته .
كان من الممكن القول بأن سيبويه يقصد بالمجهور والمهموس ما نعنيه نحن " بالشديد " أو " الانفجاري " أو " الرّخو " أو " الاحتكاكي " عند الغربيين . لولا أنّ سيبويه قسّم الأصوات بعد ذلك الى " شديد ورخو " وبيّن المراد بهما عنده ، وعلى الرغم من ذلك فانّ تعريفه للشديد قريب جدا من تعريفه للمجهور ، كما يقرب تعريفه للرّخو من تعريفه للمهموس كذلك يقول سيبويه :

((ومن الحروف الشديد وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه ، وهو الهمزة ، والقاف ، والكاف ، والجيم ، والطاء ، والتاء ، والدال والباء ، وذلك أنك لو قلت : الحج ، ثم مددت صوتك لم يجر ذلك)) .

ومنها ((الرّخوة وهي : الهاء ، والحاء ، والغين ، والخاء ، والشين والصاد ، والضاد ، والزاي ، والسين ، والظاء ، والثاء ، والذال ، والفاء وذلك اذا قلت : الطّس وانقض ، وأشباه ذلك ، أجريت فيه الصوت ان شئت .))(1)

وأضاف علماء العربية صفة ثالثة للصوت غير الشّديد والرّخو دعوه متوسطا تارة ، وما بينهما تارة أخرى ،

---

(1) — سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص . 406 .

يقول ابن الحاجب : ((. . . ثم تنقسم جميع حروف التهجي قسمة مستأنفة ثلاثة أقسام : شديدة ، ورخوة ، وما بينهما . . .))(1) ويجمعها لفظ (لم يروعنا) .

وعند المحدثين أطلقوا مصطلح " التوسط " معللين أنه في بعض الأصوات لا يلاقي الهواء عند مروره في مجراه انحباسا ولا احتكاكا إما لأن مجراه في الفم خال من المعوقات كما في صوتي الواو والياء أما لأنّ مجراه في الفم يتجنب المرور بنقطة السداد والتضييق كما في صوت اللام ، وإمّا لأنّ هذا التضييق غير ذي استقرار على حالة كما في صوت " الراء " أو لأنّ الهواء لا يمر بالفم وانّما يمر بالأنف ، كما في صوتي الميم والنون . وهذه الأصوات تسمى " متوسطة " .

كما أضاف علماء العربية المحدثون صفة أخرى أطلقوا عليها مصطلح " الأصوات المركبة " ترجمة للمصطلح الأجنبي (africate) وتمنح هذه الصفة لحرف واحد من حروف اللغة العربية هو حرف " الجيم " لدى القرّاء المصريين حيث لا يصاحبه عند النطق به انفصال مفاجيء للعضوين بل يكون الانفصال بطيئا حيث تحدث فيه مرحلة بين الانسداد المطلق والانفتاح المطلق تشبه كل الشبه بالتضييق الذي يحدث في الأصوات الرخوة . ومن هنا نرى أن صوت الجيم يجمع بين الشدة والرخاوة فيقال عنه صوت مركب .

---

(1) ـ الاستراباذي . شرح شافية ابن الحاجب . ج : 3 . ص 60 .

وما يلاحظ على تعريفي سيبويه للصوت "الشديد والرخو" أنه لا فرق بين المجهور والشديد والمهموس والرخو ، ويبدو أن بين التقسيمين السابقين تداخلا والتباسا ، وان كان ابراهيم أنيس قد نفى ذلك حيث يقول : ((أنّ سيبويه قد عبّر في تعريفه للصوت الشديد (بمنع الصوت) ولم يقل "منع النفس" فهناك فرق بين المجهور الذي تحقّق فيه بمنع النفس وعدم انطلاقه حرّا طليقا ، ولكن الصوت معه لا يمنع بل تظلّ نسمعه ، وسيبويه لا يتناقض مع نفسه كما يظن بعض الدارسين لأنّه لا يدع مجالا للبس ، اذ فرّق بين منع النفس مع المجهور ومنع الصوت مع الشديد فمنع النفس لا يكون الا في الحنجرة وأما منع الصوت فمكانه مخرج الحروف)) (1) .

انّ هذا التفريق الذي عمد اليه ابراهيم أنيس غير واضح وضوحا تاما ، وليست التعريفات عند ابن جني في كتاب سرّ صناعة الاعراب ، بأوضح منها عند سيبويه ، واعتماد العرب على جريان النفس وعدمه في الشديد والرخو سبب اختلاطا وتداخلا بين المجهور والمهموس وجعل التمييز بينهما صعبا ، ومع ذلك فان تعريف سيبويه لكل من الشديد والرخو ، يلفت نظرنا الى شيء تنبّه له علماء الغرب كذلك وهو أنّ الأصوات الشديدة أصوات وقتية آنية (Momentalente) لا يمكن التغني بها وترديدها لأنها تنتهي بمجرد زوال العائق وخروج الهواء .
أما الأصوات الرخوة فانها أصوات استمرارية متمادة (Panerlante) يمكن التغني بها واستمرار نطقها بلا انقطاع ، ما دام في الرئتين هواء .

---

(1) — ابراهيم أنيس . الأصوات اللغوية . ص . 125 — 126 .

ويبدو أن انتباههم الى"الآنية" هو الذى ساعدهم فى تمييز الأصوات الشديدة والرخوة فلم نجد بينهم وبين المحدثين فيهما كبير خلاف .

يقول جان كانتينو : " وتوافق المقابلة بين " الشدة " و "الرخاوة مقابلتنا بين (occlusion) و (occlusive) موافقة كاملة . فالحروف "(الشديدة) هى التى نسميها (spirantisme) بالذات وتسمى أيضا " حروفا آنية " وقائمة الحروف الشديدة التى نجدها عند سيبويه وعند ابن يعيش مطابقة للنظرة الحديثة تمام المطابقة .

فهما يذكران فعلا الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والدال والباء والتاء ، وكذلك لا تحتوى قائمة الحروف الرخوة أو " المتواصلة " عندهما الا على الحروف التى نسميها نحن ( ) أى الحاء والهاء والغين والخاء والشين والسين والضاد والزاى والصاد والظاء والثاء والذال والفاء . وأما الحروف الباقية أى الألف والعين والياء واللام والنون والراء والميم والواو فيعتبرونها بين " الشدة والرخاوة " .[1]

وفعلا فان النون والميم خيشوميان واللام والراء يمتازان بكيفية خاصة فى النطق والألف والواو والياء هى "حروف مد " فلا يبقى مجال للشك فى صحة هذا الترتيب الا فيما يتعلق بحروف العين التى عدوها متوسطة رخوة فى نطقنا الحالى . وما يزال فى النفس من خواصها الشئ الذى نجهل . وماعدا ذلك فان الترتيب مطابق لترتيب علماء الأصوات المحدثين .

---

(1) ـ جان كانتينو . دروس فى علم أصوات العربية . ص 35 ـ 36 .

والآن بعد أن فرغنا من حديثنا عن مصطلحات تتعلق بصفة الجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط والتركيب ولم يكن حديثنا عن المصطلحات فقط وانما أوردت مادة صوتية كما يستبان مما ذكرت نرى لزاما علينا أن ننتقل الى مصطلحات أخرى توضح صفات الأصوات العربية العامة وهي المعروفة ب :

3 ـ الأصوات الصامتة وأصوات اللين :

لقد قسم اللغويون الغربيون والعرب المحدثون الأصوات الكلامية الى قسمين كبيرين :

قسم أطلقوا عليه مصطلح "الأصوات الصامتة" (Consonne) أو الساكنة ، أو الصحيحة .

وقسم أطلقوا عليه مصطلح "الأصوات اللينة" أو الحركات "Vowel" أو الأصوات الصائتة ، أو حروف العلة .

وقد بنوا هذا التقسيم على ثلاثة أسس هي :

أ ـ وضع الأوتار الصوتية .

ب ـ مواضع النطق .

ج ـ حالة مرور الهواء في أثناء النطق .

ويجدر بنا الآن أن نقدم تعريفات مختصرة لهذه الأصوات مع جعل الأساس الثالث للتقسيم السابق محورا للدراسة وترتيب المناقشة .

وقبل هذا نجمل تعليقنا حول تسمية الأصوات مرة "بالصامتة" وأخرى "بالساكنة" وكذلك تسميتها "بالحركات" مرة و "بالصائتة" أخرى .

5 ـ كل صوت يحرف هواؤه فيخرج من جانبي الفم أو أحدهما صوت صامت كاللام .

6 ـ كل صوت غير مجهور (= مهموس) صوت صامت ومن هنا نستطيع أن نقسّم الأصوات الصامتة :

التقسيم الأول :

تنقسم الأصوات الصامتة الى مجموعات بحسب الأوتار الصوتية أي من حيث ذبذبة الأوتار أو عدم ذبذبتها أثناء النطق الى مجهورة ومهموسة وقد سبق تعريف الصوت المجهور والمهموس.(1)

أما الأصوات الصامتة المجهورة كما ننطقها اليوم هي :

(ب . ج . د . ذ . ر . ز . ظ . ض . ع . غ . ل . م . ن والواو نحو " ولد وحوض " والياء نحو " يترك ، بيت " .) .

وقد أضاف علماء العربية الطاء والقاف الى المجهورة وأخرجوهما من الأصوات المهموسة ، وهذا الذي قالوا لا يوافق نطقنا الحالي لهذين الصوتين .(2)

والأصوات الصامتة المهموسة عشرة وهي : (الفاء ، والحاء ، والثاء والهاء ، والشين ، والخاء ، والصاد ، السين ، الكاف ، والتاء .) يجمعها قولك " فحثه شخص سكت . "

---

(1) ـ راجع : ص . 302 من هذا البحث .

(2) ـ محمد كمال بشر . علم اللغة العام . الأصوات . ص . 68 .

القسم الثاني :

وهو تقسيم الصوامت وفق مواضع النطق فترتب في مجموعات ابتداء من الشفتين حتى آخر الحلق ، وهذا عكس القدماء الذين رتبوا الحروف ترتيبا تصاعديا من الداخل أي من أقصى الحلق الى الشفتين .(1)

وفيما يلي بيان الأنواع الرئيسة للأصوات العربية حسب مواضع النطق المختلفة .

1 — أصوات شفوية . وهي الباء والميم .
2 — أسنانية شفوية . وهي الفاء .
3 — أسنانية لثوية . وهي التاء والدال والضاد والطاء واللام والنون .
4 — لثوية . وهي الراء والزاي والسين والصاد .
5 — لثوية — حنكية . وهي الجيم الفصيحة والشين .
6 — أصوات وسط الحنك . وهي الياء .
7 — أصوات أقصى الحنك . وهي : الخاء والغين والكاف والواو .
8 — أصوات لهوية . وهي : القاف . كما ننطقها اليوم في اللغة الفصيحة ، لا في اللهجات العامة .
10 — أصوات حلقية . وهي : العين والحاء .
11 — أصوات حنجورية . وهي : الهمزة والهاء

(1) — انظر : الخليل . ص 21 وسيبويه . ص 54 من هذا البحث .
ابن جني . سر صناعة الاعراب . ج : 1 . ص . 50 .

التقسيم الثالث للأصوات الصامتة :

وهو تقسيم مبني على حالة ممر الهواء عند مواضع النطق . أو بعبارة أخرى اننا سننظر في هذه الأصوات مراعين ما يحدث لهذا الممر من عوائق أو موانع تمنع خروج الهواء منعا تاما أو منعا جزئيا أو ما يحدث له من تغير أو انحراف فيخرج الهواء من جانبي الفم أو الأنف مثلا . وبهذه النظرة نحصل على المجموعات الرئيسة التالية للأصوات الصامتة .

1 ــ الأصوات الانفجارية وتسمى " الوقفات " أيضا وهي الباء والتاء والدال والضاد والطاء والكاف والقاف والهمزة . وعددها ثمانية .

2 ــ الأصوات الاحتكاكية وهي : الفاء والثاء والذال والظاء والزاي والسين والصاد والشين والخاء والغين والحاء والعين والهاء .

3 ــ صوت انفجاري ــ احتكاكي ومركب وهو : الجيم = 1

4 ــ صوت مكرر وهو : الراء = 1

5 ــ صوت جانبي وهو : اللام = 1

6 ــ أنصاف الحركات وتتمثل في : الواو والياء .

4 ــ الأصوات اللينة أو " الحركات " :

تحدثنا فيما مضى عن الأصوات الصامتة ، فعرفنا مخارجها وتعريفها وصفاتها وأقسامها وكيفية حدوثها ، وعرفنا الموجود منها في العربية الفصحى ، ونتحدث الآن عن "الأصوات اللينة " أو " الحركات " وقد سبق لنا أن عرّفناها عند تعريف الأصوات الصامتة ، فقلنا : انها هي الأصوات

المجهورة التي يحدث في تكوينها ؛ أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم والأنف أحيانا دون أن يكون هناك عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضا تاما ، أو تضييق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا (1) .

ويعرفها : " دانيال جونز " بأنها أصوات مجهورة يخرج الهواء عند النطق بها على شكل مستمر من البلعوم والفم دون أن يعترض لتدخل الأصوات الصوتية ، تدخلا يمنع خروجه ، أو يسبب فيه احتكاكا مسموعا (2) .

فأصوات العلة أو اللين على هذا أصوات مجهورة كلها ، بمعنى أن الأوتار الصوتية تهتز عند حدوث أي صوت منها ، وان كان الدكتور أيوب ، يزعم أن هناك حركات مهموسة . فيقول :

((اشتراط " جونز " في تعريف الحركة أن تكون مجهورة ، وسبب هذا الشرط ، أن الحركة صوت لا تتدخل عند النطق به أعضاء النطق العليا على الاطلاق ، أو تدخل تدخلا لا يحدث احتكاكا مسموعا ، وعلى ذلك فلولا الجهر الذي هو تدخل الأوتار الصوتية ، لمر الهواء من الرئتين الى الخارج ، دون تدخل يذكر تماما كما يحدث عند الزفير ، وقد قال بضرورة الجهر بالحركات حتى تكون الحركة صوتا مسموعا ولا تكون مجرد زفير ، ولكن شرط " جونز " هذا لا مبرر له ، فنحن في دراسة الأصوات دراسة وصفية نصف الواقع ، فلو أن هناك حركة مهموسة تقوم

---

(1) — راجع : ص 296 من هذا البحث .

(2) — انظر : كتاب : (D. Jones. Amautlin. P. 97.)

D. Jones. Amautlin. P.97.

بوظيفة في الكلمة ، فانه يجب أن ندخلها في حسابنا سواء أشبهت الزفير أم لم تشبهه ، وفي اللهجة المصرية مثلا : يمكن مقارنة الكلمة (سك) معنى أقفل ، والكلمة (مقاسك) وسنلاحظ أن فتحة السين في (مقاسك) مهموسة بينما في (سك) مجهورة ، وما دام هذا الفرق واقعيا ، فلابد للواصف من اعتباره ، والقول حينئذ بوجود فتحة مهموسة))[1] .

اننا مع الدكتور " أيوب " في وجود فتحة مهموسة في لهجة من اللهجات بتطبيق المنهج الوصفي لكننا حينما نتخذ الفصحى معيارا لمقياس الظواهر الأكثر شيوعا نجد أن الأصوات " اللينة " أو " الحركات " كلها مجهورة وحكمنا في هذا حكم الشائع على الشاذ أو النادر الذى يحفظ ويراعى ولكن لا يقاس عليه ، وما هو معروف في كل اللغات أن "الحركات" (Vowel) أصوات مجهورة كلها .

هذا ومثل ما درس العلماء العرب " الأصوات الصامتة " وأقسامها درسوا كل ما يتعلق بأصوات اللين من حيث طبيعتها ومراتبها وصلة الحركات بأصوات الألف والياء والواو . وتبيّن لهم أن الحركات في العربية تشمل الحركات الثلاث : الفتحة والضمة ، والكسرة . ثم حروف المد الثلاثة الألف والواو والياء .

ونتيجة لأهمية الدور الذى تلعبه الحركات في النطق بأية لغة اهتم اللغويون المحدثون بدراستها وحاولوا دراستها دراسة علمية

---

(1) — انظر : عبد الرحمان أيوب . أصوات اللغة . ص . 176 .

دقيقة تكشف أسرارها و تسهل النطق بها .

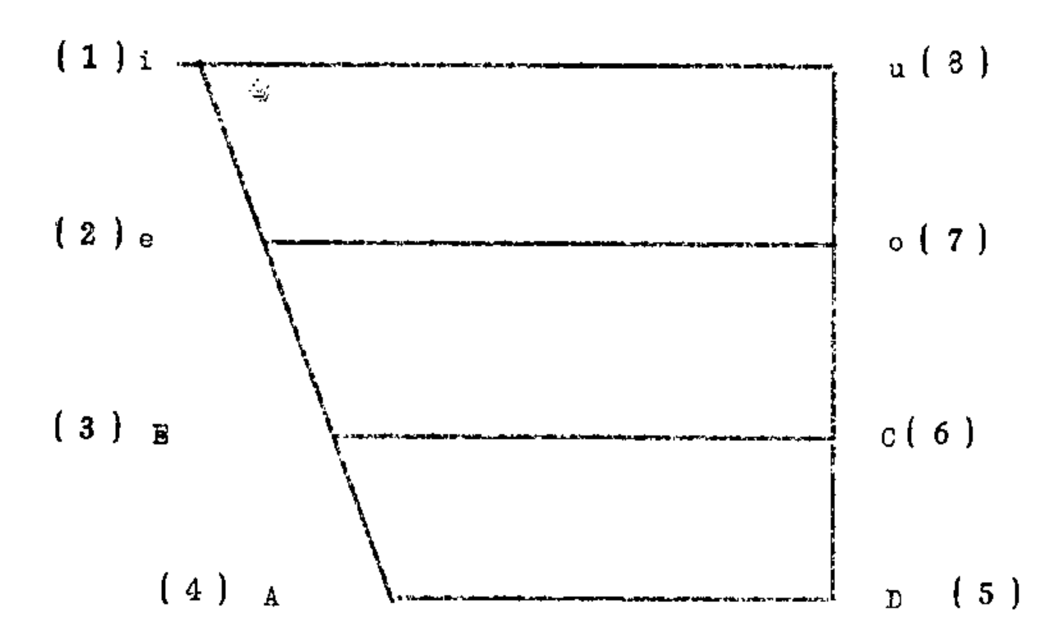
و لما كانت الحركات مختلفة مع اختلاف نطقها من لغة الى أخرى ابتكر اللغويون طريقة عامة من شأنها أن تضع مقاييس معينة واضحة ثابتة تساعد الناس في نطقهم للغات الأجنبية ، و تقلّل الخطأ في النطق و وضعوا مصطلحا أسموه " النظام المعياري " للحركات .

و لم تؤخذ هذه الحركات المعيارية من لغة معينة ، و انما أخذت من مختلف اللغات البشرية . و قد لا توجد في البعض منها و بذلك جاءت تلك الحركات معايير و مقاييس عامة ، تقاس عليها حركات أية لغة من اللغات البشرية .

و من اللغويين الذين اعتنوا بهذه الدراسة للحركات العالم اللغوي (دانيال جونز) الذي كان من الأوائل في انجاح هذا النظام و تطبيقه في الدراسات الصوتية . فقد رأى " جونز " أن العضوين الأساسين في تكوين الحركات في أثناء العملية الصوتية هما الشفتان و اللسان فهما اللذان يعدلان شكل مجرى الهواء المتصاعد من الرئتين حتى الفم ثم الشفاة ، و بذلك فمن الممكن تصنيف الحركات المعيارية كالتالي :

أ — بالنظر الى دور اللسان و وضعه بالنسبة للحنك الأعلى من حيث الارتفاع و الانخفاض ، و بالنظر الى الجزء المعيّن منه و الذي يحدث منه الارتفاع و الانخفاض (أي درجة العلو الذي يرتفع اليها اللسان) .

ب ـ بالنظر الى وضع الشفتين ضمهما ، وانفراجهما ، ووضعهما المحايد . ولقد ذكر " دنيال جونز " ثماني حركات معيارية هي : ((i, e , E, a, u, oC, d.))(1) أما الحركة التاسعة فيكتنفها الغموض وذلك لعدم امكانية تحديد جزء اللسان الذي يرتفع أو ينخفض ، كما لم يمكن أيضا تحديد درجة اللسان أو انخفاضه ويبيّن الشكل التالي رسما توضيحيا لهذه الحركات المعيارية كما رآها " جونز " :



وفيما يلي وصف مبسط لهذه الحركات المعيارية .

---

(1) ـ نفسه ، ص ، 17 .

1 ـ المعيارية : (i) ، (1)

وهي أولى الحركات المعيارية في نظام الحركات الذي وضعه " جونز " وعند النطق بها يرتفع مقدم اللسان الى أقصى ما يمكن بحيث لو زاد الارتفاع عن ذلك لنتج صوت صامت هو الياء وتكون الشفتان في حالة انفراج كامل في أثناء نطق هذه الحركة .

2 ـ المعيارية : (e) ، (2)

يرتفع مقدم اللسان الى ثلثي المسافة التي يرتفع اليها أثناء نطق الحركة الأولى ، أما الشفتان فتكونان في وضع الاستدارة أيضا لكن درجتها أقل من الاستدارة أثناء نطق الحركة الأولى .

3 ـ المعيارية : (E)

وفيها ينخفض اللسان الى حد ما ولكن لا يصل الى الانخفاض الذي يحدث عند النطق بالمعيارية (2) ويرتفع ثلث المسافة التي يصل اليها مع الحركة المعيارية الأولى .

4 ـ المعيارية : (A)

وفيها ينخفض مقدم اللسان الى أقصى ما يمكن أما الشفتان فتكونان في وضع محايد أي أننا لا نلاحظ فيهما بوضوح صفة الاستدارة أو

الانفراج ولكنهما أقرب الى الانفراج منهما الى الاستدارة .

5 — المعيارية : (a)

وفيها ينخفض اللسان الى أقصى ما يمكن ويكون في وضعه الطبيعي وتكون الشفتان في وضع محايد ولكنهما مع ذلك أقرب الى الاستدارة منهما الى الانفراج .

6 — المعيارية : (c)

وهي التي ينخفض فيها مؤخر اللسان الى حد ما ولكنه لا يصل الى الدرجة التي يصل اليها مع الحركة الخامسة ، اذ نلاحظ أنه يرتفع الى ثلثي المسافة التي يصل اليها وهو في أقصى حالات ارتفاعه مع الحركة الثامنة .

7 — المعيارية : (o)

وفيها يرتفع مؤخر اللسان الى ثلثي المسافة التي يرتفع اليها في أثناء نطق الحركة الثامنة وتقلّ استدارة الشفتين مع هذه الحركة عن الدرجة التي تصل اليها الاستدارة مع الحركة الثامنة .

8 — المعيارية : (u)

وفيها يرتفع مؤخر اللسان الى أقصى ما يمكن وتكون الشفتان في

هذا الوضع في أقصى حالات الاستدارة و هذا النظام الذى وضعه " جونز " يتحكم في تقسيم أصوات الحركة توضحه كالتالي :

أقسام أصوات الحركة :

تبيّن لنا فيما مضى أنّ الأصوات الصامتة تنقسم وفق اعتبارات عديدة الى أقسام مختلفة ، كذلك نجد أنّ أصوات الحركة تنقسم بدورها الى :

أ ـ حركات أمامية و أخرى خلفية وذلك بالنظر الى الوضع الأفقي للسان أى الجزء الذى يرتفع أو ينخفض فيه .

ب ـ حركات متسعة أو متوسطة الاتساع و حركات ضيقة أو متوسطة الضيق وذلك باعتبار الوضع الرأسي للسان أى وفقا لدرجة الارتفاع أو الانخفاض و ما يترتب على ذلك من ضيق في مجرى الهواء أو اتساعه .

جـ ـ حركات مستديرة و حركات منفرجة و ذلك بالنظر الى وضع الشفتين

د ـ حركات قصيرة وأخرى طويلة . وذلك بالنظر الى الزمن الذى يستغرقه نطق الحركة .

وفيما يلي نتناول بايجاز وبيان هذه الأصناف وذلك بتطبيقها على أصوات الحركة في العربية الفصحى ولسنا مع القائلين بأن النتائج التي توصل اليها " جونز " لا تنطبق على الحركات العربية .

أقسام أصوات الحركة في العربية الفصحى : تنقسم :

أ ـ من حيث الوضع الأفقي للسان .

1 — حركات أمامية :

وهي الكسرة (تقابل المعيارية الأولى) في نظام " جونز " وهي : (i)
والفتحة المرققة (تقابل المعيارية الرابعة) : (a) .

2 — حركات خلفية :

وهي : الضمة (تقابل المعيارية الثامنة) : (u) .
الفتحة المفخمة (تقابل المعيارية الخامسة) : (a) .

ب — من حيث الوضع الرأسي للسان وما ينجم عنه من ضيق المسافة بين سطح اللسان وما يوازيه من الحنك الأعلى أثناء نطق الحركة فانها تنقسم الى :

1 — حركات ضيقة وهي : الكسرة والضمة .
2 — حركات متسعة وتشمل الفتحة بنوعيها المفخمة والمرققة .

جـ — من حيث وضع الشفتين الى :
1 — حركات مضمومة أو مستديرة وهي : الضمة .
2 — حركات منفرجة (غير مستديرة) وهي : الكسرة .
3 — حركات محايدة وهي : الفتحة بنوعيها المفخمة وتكون أقرب الى الاستدارة أما المرققة فتكون أقرب الى الانفراج .

وما ينطبق في جميع الأقسام السابقة :
على الفتحة ينطبق على ألف المدّ . اذ الألف عندنا ليست الا امتداد

للفتحة ، وما ينطبق على الكسرة ينطبق بالتالي على ياء المدّ وواوه لأن الحركتين الأخيرتين لا تعدوان أن تكونا امتدادا للكسرة والضمة .

أما من حيث الزمن فقد قسّم المحدثون أصوات حركات الفصيحة الى :

1 — حركات قصيرة وتشمل الفتحة والكسرة والضمة .

2 — حركات طويلة وتشمل ألف المدّ وواوه وياءه .

هذا وثمة محاولات في دراسة هذه الحركات من قبل الدارسين العرب وقد تنبّه المحدثون الى "أنصاف الحركات " (semi vowel) نذكر منهم : ابراهيم أنيس ومحمود السعران .

وأنصاف الحركات عند ابراهيم أنيس هي : الواو والياء مثل : (بيت ، ويوم) ويعالج هذان الصوتان معالجة خاصة حيث أنّ موضع اللسان معهما قريب الشبه بموضعه مع أصوات اللين (1) .

أما السعران فأطلق عليهما مصطلح (أشباه الصوائت) وهو مصطلح يطلق على " صوائت انزلاقية " يحدث فيها أن تبدأ الأعضاء بتكوين (صائت ضيق) كالكسرة مثلا ، ثم تنتقل الى " صائت " آخر أشدّ بروزا ولا يدوم وضع الصائت الأول زمنا ملحوظا (2) .

---

(1) — ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص ، 42 .

(2) — محمود السعران ، علم اللغة ، ص ، 197 .

وقد اتفق السعران مع ابراهيم أنيس في تحديد الأصوات التي ينطبق عليها هذا الوصف في العربية بأنها أنصاف الحركات وهما الواو في (وجد) مثلا والياء المراد بها ياء (يزن) ونخلص من هذا القول أنه في العربية صوتان يندرجان تحت مصطلح "أنصاف الحركات" أشار اليهما بعض اللغويين العرب المحدثين ، الا أن القدماء أغفلوا ذكرهما وترجع علة اغفالهم لدراسة هذين الصوتين ذلك الغموض الذي أحاط بالحركات عندهم نتيجة تركيزهم الشديد على دراسة الحروف الصحاح وحالاتها .

وما نشير اليه في هذا الصدد أيضا أن النحاة العرب لم يعرفوا مصطلح "الحركات"(1) ولم يدرسوها على حدة ، الا أنهم لم يتجاهلوا خصائصها حيث عالجوا وعالج أهل التجويد موضوعات الامالة والاشمام والروم وما الى ذلك .

وانتبهوا الى علاقة القربى التي تجمع بين الحركات سواء أكانت قصيرة أم طويلة .

وأطلق علماء الأصوات على صوت الفتحة اسم (صوت العلة المتسع) كما يطلقون على صوتي الضمة والكسرة مصطلح (أصوات العلة الضيّقة) وقد فطن بعض علماء العربية الى علاقة القربى بين الكسرة والضمة من جهة ، وياء المد وواوه (وهما تطويل للكسرة والضمة) من جهة أخرى ، قال ابن درستويه :

---

(1) ـ راجع : سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص . 117 .
ابن جني . سرّ صناعة الاعراب . ج : 1 . ص . 53 .

((كلّ ما كان ماضيه من الأفعال الثلاثية ، على فعلت ، بفتح العين ولم يكن ثانيه ولا ثالثه من الحروف اللين ولا حروف الحلق فانه يجوز في مستقبله ، يفعل بضم العين ، ويفعل بكسرها كقولنا : ضرب ، يضرب ، وشكر يشكر ، وليس أحدهما أولى به من الآخر ، ولا فيه عند العرب إلاّ الاستحسان والاستخفاف .

فما جاء وقد استعمل فيه الوجهان ، قولهم : ينفر وينفر ، ويشتم ويشتم ، فهذا يدلكم على جواز الوجهين فيه ، وأنهما شيء واحد لأن الضمة أخت الكسرة (1))) .

ويتضح من قول ابن درستويه أنّ هناك قرابة وعلاقة بين الكسرة والضمة وأنّ الضمة ليست عدوة للكسرة كما جاء في بعض الكتب العربية .

ومما يؤكد هذا نصّ ابن جني في علاقة القربى بين ياء المدّ وواوه أيضا حيث قال : ((أنّ بين الياء والواو قربا ونسبا ليس بينهما وبين الألف ، ألا تراهما تثبت في الوقف ، في المكان الذي تحذفان فيه وذلك قولك : هذا زيد ، ومررت بزيد ثم تقول ضربت زيدا . وتراهما تجتمعان في القصيدة الواحدة ردفين : في نحو قول امرىء القيس :

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني
جرداء معروقة اللّحيين سرحوب (1)

ثم قال فيها :

---

(1) — ابن درستويه . تصحيح الفصيح . ص . 105 .

(2) — ابن جني . سرّ صناعة الاعراب . ج : 1 ص . 23 .

وانظر ديوان امرىء القيس . ص . 225 . 227 .

كالـدلـو يقّت صراهـا وهـي مثالـة

وخانـهـا وذم منهـا وتكـريـب

ولهـذه العلاقة بين الكسـرة والضمـة تطـورت كـلّ واحـدة منهما الى الكسرة الممالـة والضمـة الممالـة في الحبشية القديمـة (الجفريـة) (2)

ومما يـوضـح اهتمامهـم بالحركـات قـول خليـل :

((ان الفتحـة والضمـة والكسـرة زوائـد ، ومـنّ يلحقـن الحـوف ليوصـل الـى التكلـم بـه (3))) .

ومعنـى " زوائـد " الاشـارة الى كونهـا رمـوزا اضافيـة تلحـق أواخـر الكلـم ، وقد دعاهـم الى هـذا الظـن طريقـة الكتابـة العربيـة والساميـة باعتمادهـا على الصـوامت في تأليـف صـور مختلفـة مـن " الجـذر " الواحـد أمـا الحركـة فقد كـانت عنـدهـم أمـرا ثانويـا يلجـأ الكـاتب اليـه عند اقتضاء الضـرورة (3) .

ونتـج مـن اعتبـار كـون الحركـات رمـوزا اضافيـة " أو ثانويـة " جـدل حـول موضـع الحركـة وأيـن تكـون رتبتهـا قبـل أو مـع بعـد الحـرف . وقد ذهـب سيبويـه وابن جنـي الى كونهـا بعـده وهـو الصـواب (4) .

---

(1) ـ راجـع : رمضـان عبـد التـواب . المدخـل الى علم اللغـة . ص . 37 .

(2) ـ سيبويـه . الكتـاب . ج : 4 . ص . 241 .

(3) ـ خليـل ابراهيـم العطيـة . في البحـث الصوتـي عند العـرب . ص . 50 .

(4) ـ راجع : سيبويـه . الكتـاب . ج : 4 . ص . 345 .

ابن جنـي . الخصائـص . ج : 2 . ص . 321 .

وسـرّ صناعـة الاعـراب . ج : 1 ص . 32 .

وقد أعطى ابن جني للحركات مكانة صوتية لا بأس بها حيث يقول : ((اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهي : الألف والواو والياء ، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة كذلك الحركات ثلاث ، وهي : الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو ، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة . وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة .)) (1)

ويتضح من النص أنّ الحركات هي أجزاء حروف المد أو اللين ، و لكن بصورة مصغرة ، وحروف العلة أو المد ، أو الاستطالة ، أو الحروف الليّنة .

كلها مصطلحات ذكرت عند ابن جني مع جلّ حروف المعجم خلال دراسته للمضارع وقد وصف ابن جني (أصوات المد) (الألف والواو والياء) بالأصوات الثابتة الكاملة ، كما وصف " الحركات " بأنها أصوات ناقصة . فلولا الألف ما كانت الفتحة ، ولولا الياء ما كانت الكسرة ولولا الواو ما كانت الضمة .

فهذه الفكرة الارتباطية لوجود الحركات بوجود حروف العلّة يحلّلها بعد ذلك ابن يعيش فيقول :
((اعلم أنّ الفتحة قد تمال كما الألف لأن الغرض من الامالة مشاركة الأصوات وتقريب بعضها من بعض وذلك موجود في الحركة كما هو موجود في الحرف لأن الفتحة من الألف وقد كان المتقدمون يسمون

---

(1) — ابن جني . سرّ صناعة الاعراب . ج : 1 . ص 19 و 71 .

الفتحة الألف الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة ، والكسرة الياء
الحركات أصوات وانما رأى النحويون صوتا أعظم من صوت
حرفا ، والخفيفة حركة وان كانا في الحقيقة شيئا واحدا .

اذن لا يمكن أن تكون الحركات مستقلة حسب ابن جني
هذا ما توصل اليه الخليل قبل ابن جني وذكره الأزهري
" لكل حرف .... صوت وجرس ، أما الجرس فهو فهم النفس
الحرف ، وأما الصوت فهو حركة الحرف ... "

ويستنتج من هذا أن حروف المدّ " صائتة " و " مصوتة
فالحركات هي الأخرى مصوتة أو صائتة لأنها أبعاض تلك الحروف
أيد ابن جني تسمية النحاة الفتحة بألف صغيرة ، والكسرة
والضمة بواو صغيرة وقال : انهم على طريق مستقيم تدعيما
اعتبار الحركات أجزاء من حروف المدّ .

فالحرف الشامل يحتوي على الحركة ، ولو تفردت الحركة
منفردة لوجد ما لك ان الحرف ناقصا ، فتقول عنه " صغير

فابن جني لا يعطي فروقا ولا يبين حدودا بين
ولذلك يقول : " ان الحركات أوائل لها وأجزاء منها[2]
حكم للحرف . " لأن الحركة اذا كانت بعضا للحرف
البعض هذا تابع لحكم الكل . "[3].

(1) — ابن يعيش . شرح المفصل . ج : 9 . ص . 24 .
(2) — ابن جني . سرّ صناعة الاعراب . ج : 1 . ص . 19 — 20 .
(3) — نفسه . ص . 20 .

وتسمية الحركات حروفا صغارا ليست بعيدة في القياس :

((ألا ترى أن الألف والياء والواو ، واللواتي هن حروف توام كوامل ، قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتم منهن في بعض وذلك قولك : يخاف ويسام ويسير ، ويقوم ، فتجد فيهن امتداد أو استطالة فإذا وقعت بعد هن الهمزة أو الحرف المدغم ، ازددنا طولا وامتدادا ، وذلك نحو : يشاء ويسوء تقول مع الادغام : شابّة ودابّة . . . ألا ترى الى زيادة المد فيهن . وقوع الهمزة والمدغم بعدهن ، وهن في كلا الموضعين يسميين حروفا كوامل ، فاذا جاز ذلك فليست الحركات حروفا صغارا بأبعد في القياس منه . (1))) .

فالقياس أن تسمي هذه الحروف " حروفا تواما " ولكن ما أورده ابن جني في النص السابق يوضح أن الحروف قد كبرت وصارت أتم وبالتالي : فهي " حروف كوامل " وهنا نبتعد عن القياس لأن " القياس " تعدى تلك الحالة الى الكمال .

فاذا ما سمينا الحركات " حروفا صغارا " وهي أجزاء من حروف المدّ الناقصة ، فكيف تكون ناقصة وهي تامة وكاملة وبذلك فتسميتها بحروف المدّ الناقصة تبعدنا عن القياس الاّ أننا لا نبتعد أكثر من اللازم حسب نظرية ابن جني " اقتداء بتمام الحروف وكمالها " .

---

(1) - ابن جني ، سرّ صناعة الاعراب ، ج : 1 ، ص ، 19 .

فبما أنّ تسمية " حروف توام " بعيدة عن القياس ، فكذلك ... تسمية " الحركات حروفا صغارا " بعيدة عن القياس . وهذا ... ابن جني نفسه محاصوا فيلجأ الى الخروج من أزمته ووضع حروف المد ... بعد الهمزة وأخرى بعد الادغام .

ويستشف من كلام ابن جني أن مدّة حروف المدّ قضية هامة وكأن الناحية الكمية لنطق حروف المدّ معيار هام في دراسة الحركات .. فابن جني يصور لنا تنوعا نسبيا في مدّة حروف المدّ ودرجات امتداداتها كما ورد في النص السابق ، ولكن ذلك الا يحاء يبقى غامضا عند ابن جني .

ففكرة " الكمية " أي تقويم الحركات الطويلة بالنسبة للقصيرة لم تكن معروفة عند النحاة العرب القدماء .
صحيح أنّ بعض القرّاء قد تكلّموا عن الألف وأنها مكوّنة من فتحتين (1) وأن الواو مكوّنة من ضمتين ، والياء من كسرتين .

الا أنّ الخليل وسيبويه وابن جني لم يتكلموا عن هذه ... على هذه الصورة ، فعندما يذكر ابن جني كلمة "كمية الحركات " لا يقصد " الطول " أو " الامتداد " بل يقصد عدد الحركات في العربية بالنسبة للجنس فهو يقول ((أما ما أبدى الناس في ظاهرة الأمر فثلاث : وهي الضمة والفتحة والكسرة ومحصولها على الحقيقة ست)) (2) .

---

(1) — جان كانتينو ، دروس في علم أصوات العربية ، ص ، 54 .

(1) — ابن جني ، الخصائص ، ج : 3 ، ص ، 120 .

وفي هذا الصدد يقول ابن جني : ((ويدلك على أنّ الحركات أبعاض لهذه الحروف ، أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه))(1) .

الصامت انفجاريا . وبما أنّ الانفجاري لا يمكن مدّه عند نقطة مخرجه ، فان ما يسمى تطويلا بالنسبة له يكون عن طريق اطالة مدّه قفل الطريق أمام الصوت قبل تفجيره(2) .

ويعرّف " كانتينو " الحروف المضعفة بأنها ((هي التي يمتد النطق بها فيضا هي مدامها مدى حرفين بسيطين تقريبا وترسم هذه الحروف عادة في الأبجدية الأوروبية بحرفين متتابعين (bb) أو (Mm) وهكذا))(3) .

وقد شرح " فندريس " فكرة أو مصطلح " الصوت المضعف " وأنه ليس الّا صامتا واحدا طويلا ، فقال : ففي كل صوت(4) انفجاري ثلاث خطوات متميزة الاغلاق أو الحبس ، والامساك ... ثم يقول : وعلى العكس من ذلك تظهر الخطوات الثلاث بوضوح فيما يسمى " بالصوامت المضعفة " وهي ليست الّا صوامت طويلة كما أنها تنطبق بقوة أشدّ مما في حالة القصيرة . فاذا تركنا مسألة الشدّة جانبا

---

(1) — ابن جني . سرّ صناعة الاعراب . ج : 1 . ص . 20 .

(2) — ماريوباي . أسس علم اللغة . ص . 146 .

(3) — كانتينو . دروس في علم أصوات العربية . ص . 25 .

(4) — راجع : ص . 297 من هذا البحث .

وجدنا أن مجموعة مثل : (atta) (أتّ) تتميز عن المجموعة (ata) (أت) بوجود مسافة بين الحبس والانفجار ، يمكن للأذن أن تقدّرها . ومن الخطأ أن يقال بأنه يوجد ساكنان في (atta) وساكن (صامت واحد) في (ata) . فالعناصر محصورة بين الحركتين في كلتا المجموعتين واحدة : عنصر انحباس ، يتبعه عنصر انفجاري . ولكن بينما نجد عنصر الانحباس في (ata) يتبعه العنصر الانفجاري مباشرة ، نجده في (atta) ينفصل عنه بامساك ، يطيل مدى الانغلاق)) (1) .

ولم تكن هذه الفكرة خافية على بعض القدامى من اللغويين العرب فقد قال ابن جني : ((الحرف لما كان مدغما ، خفي فنبا اللسان عنه وعن الآخر بعد نبوة واحدة ، فجريا لذلك مجرى الحرف الواحد)) (2) . كما يقول : " ادغام الحرف في الحرف ، أخفّ عليهم من اظهار الحرفين ألا ترى أنّ اللسان ينبو عنهما معا نبوة واحدة " (3) .

كما يقول صاحب مراح الأرواح : ((الادغام اثبات الحرف في مخرجه مقدار اثبات الحرفين)) (4) ، كما يقول أيضا : " المشدّد زمانه أطول من زمان الحرف الواحد ، وأقصر من زمان الحرفين " (5) .

---

(1) — فندريس . اللغة . ص . 48 .

(2) — ابن جني . الخصائص . ج : 1 ص . 92 .

(3) — نفسه . ج : 2 . ص . 227 .

(4) — مراح الأرواح . ص . 82 .

(5) — نفسه . ص . 83 .

ولعلّ الذي دعا النحاة العرب، الى اعتبار المشدّد حرفين أنه يقوم في اللغة أحيانا، بوظيفة صوتين فقول العرب مثلا: " يذّكر ". الذّال الطويلة فيه تنوب مناب التاء والذّال في " يتذكر ".

وهكذا نلاحظ أنّ الحركات حظيت باهتمام كبير عند القدماء والمحدثين وقد قادهم الاستقراء الى بيان مراتبها في القوّة والضعف فالفتحة في رأي سيبويه " أخفّ من الضمة والكسرة، كما أنّ الكسرة أخفّ من الضمة "(1).

وانما وصف سيبويه الفتحة بالخفّة للاستشعار ه اتخاذ اللسان حالة الانخفاض التام في قاع الفم عند النطق بها ولذلك عدّه من أصوات اللّين المتسعة، في حين يتخذ اللسان عند النطق بالضمة والكسرة ارتفاعا يبلغ ثلث المسافة من الحركات السابقة ولذلك سمّاها المحدثون أصوات اللّين " نصف الضيّقة " كما سبق أن ذكرنا، ولا شك أن الجهد المبذول في الأولى أقل من الثانية.

هذا قبل أن ننهي بحثنا في " الحركات " لابد من الاشارة الى مصطلح آخر تمت به الحركات وهو " الاختلاس " و " الامالة " كما نتعرض الى ما يقابل الحركات في النظام الصوتي.

فما هي الحركات المختلسة ؟

لقد رأينا أنّ من الممكن الاطالة في الحركات، وهنا نرى كيفية

---

(1) — سيبويه. الكتاب، ج: 4، ص، 167.
(2) — راجع: ص. من هذا البحث.

اختلاس الحركات " وتضعيفها . يقول ابن جني : ((فأمّا الحركة الضعيفة المختلسة كحركة همزة بين بين وغيرها من الحروف التي يراد اختلاس حركاتها تخفيفا ، فليست حركة مشممة شيئا من غيرها من الحركتين ، وانما أضعف اعتمادها ، وأخفيت لضرب من التخفيف ، وهي بزنتها اذا وفت ولم تختلس)) (1) .

ويريد ابن جني أن اختلاس الحركة لا يؤثر في بنية الكلمة التي توجد فيها فيضيف ((وقد تقدمت الدلالة على أنّ همزة بين بين كغيرها من سائر المتحركات في ميزان العروض الذي هو حاكم وعيار على الساكن والمتحرك (2) ، وكذلك غير هذه الهمزة من الحروف المخفاة الحركات)) .

وأما المحدثون فيعرفون الحركات المختلسة " أنها حركات قصيرة جدا نجدها خاصة عند الوصل أو مع ألف الاتكاء التي يؤتى بها حتى لا تبدأ الكلمة بساكن كما هو الشأن في الأفعال المزيدة مثل : أفعل وانفعل الخ . أو في الأمر وتكون في الغالب كسرة . (3))) .

ولقد حاول ابن جني أن يدرس هذا النوع من الحركات حيث ذكر بعض درجات الاختلاس منها :

1 — الحركات المختلسة الضعيفة : وتصاحب عادة همزة بين بين كما تصاحب أي صوت صامت آخر . كما نجدها في حالة توفر شروط

---

(1) — ابن جني . سرّ صناعة الاعراب . ج : 1 : ص . 64 .
(2) — نفسه .
(3) — الطيب البكوش . التصريف العربي . ص . 43 .

الادغام الذى يكاد لا يتم لتتابع ساكنين وتأتي الحركة الضعيفة المختلسة لتخفيف ذلك التتابع حتى يتمكن الناطق من نطق الحرفين المتشابهين والمتتابعين دون جهد (1) .

2 ـ حالة الاشمام عن الحركات المختلسة : وهي عند ابن جني على ضربين : الأول وهو حالة الكسرة المشربة بالضم ، والثاني هو الضمة القصيرة جدا الخالية من الكسر .

ويلاحظ ابن جني أن " حركة الاشمام لضعفها غيرمعتد بها والحرف الذى هي فيه ساكن ، أوكالساكن " (2) .

الحركات الممالة (الامالة) :

اهتم القدماء بظاهرة الامالة وأطلقوا عليها مصطلحات متباينة ومتعددة اذ سمّاها الخليل " الاجناح " يقول سيبويه في كتابه : ((فزعم الخليل أن اجناح الألف أخفّ عليهم ، يعني الامالة ، ليكون العمل من وجه واحد ، فكرهوا ترك الخفة وعلموا ان كسروا الراء ، وصلوا الى ذلك وأنهم ان رفعوا لم يصلوا ...)) (3) .

ويتحدث سيبويه عن الامالة في " الكتاب " ذاكرا أمثلة استغلّها من جاء بعده في تعريف الامالة ، حيث ان سيبويه لم يعرّفها :

---

(1) ـ ابن جني . سرّ صناعة الاعراب . ج 1 . ص . 64 .

(2) ـ نفسه . 68 .

(3) ـ سيبويه . الكتاب . ج 3 . ص . 278 .

((هذا باب ما تمال فيه الألفات اذا كان بعدها حرف مكسور وذلك بقولك : عابد وعالم ومساجد ومفاتيح وهابيل ... وانما أمالوها للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقربوها .... والألف قد تشبه الياء فأرادوا أن يقربوها منها ...)) (1) .

ولقد استفاد من كلام سيبويه في تعريف الامالة أبو العباس المبرد حيث يقول : ((الامالة : أن تنحو بالألف نحو الياء)) (2) .

ثم الزجاجي الذي عرّف الامالة : ((أن تميل بالألف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة ، نحو قولك : عالم وعابد ومفاتيح .... وما أشبه ذلك)) (3) .

ثم يأتي ابن جني بتعريف يتسم بالطابع الصوتي الواضح حيث يقول : ((وذلك أن الامالة انما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف التي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت)) (4) .

ويشرح ابن جني حالات الحركات الممالة فيقول ((تجد الفتحة مشوبة بشيء من الكسرة أو الضمة فنحو اليهما ، وتجد الكسرة مشوبة بشيء من الضمة والضمة مشوبة من طرف الكسرة ، ولا تجد الكسرة ولا الضمة مشوبة بشيء من الفتحة)) (5) .

---

(1) — سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص . 117 .

(2) — المبرد . المقتضب . ج : 3 . ص . 42 .

(3) — الزجاجي . الجمل . ص . 361 .

(4) — ابن جني . سر صناعة الاعراب . ج : 1 . ص . 58 .

(5) — نفسه .

ويضرب أمثلة لذلك :

((أما الفتحة المشوبة بالكسرة فالفتحة التي قبل الألف نحو فتحة عين "عابد" و"عارف" لضرب من التجانس الصوتي . وأما الفتحة الممالة نحو الضمة فالتي تكون قبل ألف التفخيم وذلك نحو الصلاة والزكاة ، وقام وصلاح . وأما الكسرة المشوبة بالضمة فنحو : قيل ، وبيع ، وسيق . وأما الضمة المشوبة بالكسرة فنحو قولك في الامالة : مررت بمذعور ، وهذا ابن بور ، كما أن الحركة مشوبة غير مخلصة فالحروف اللاحق بها أيضا في حكمها)) (1) .

والملاحظ أن ابن جني يدرج ألف الامالة وألف التفخيم تحت الفتحة المشوبة بشيء من الكسرة أو الضمة ونستطيع القول أن العربية تحتوى ثلاث حركات صحاح ، وأربعة متوسطة ، وثلاث متوسطات ، تنقسم واحدة منها الى فرعين وهي : الفتحة التي تمال نحو الكسرة ثم نحو الضمة وبذلك تكون الحركات الممالة : الفتحة الممالة نحو الكسرة أو المشربة بالكسرة أو بين الفتحة والكسرة .

- الفتحة الممالة نحو الضمة
- الفتحة والضمة .
- الكسرة المشربة بالضمة أو بين الكسرة والضمة .
- الضمة المشربة بالكسرة .

والملاحظ أن ابن جني رصد الامالة بين الفتحة والكسرة ثم الفتحة والضمة ثم الكسرة والضمة وآخر الضمة والكسرة ، وبقيت الامالة من

---

(1) — ابن جني . سر صناعة الاعراب . ج : 1 . ص . 58 — 60 .

الكسرة أو الضمة الى الفتحة ، فعلل لعدم حدوثهما :

فيقول : ((ان الفتحة أول الحركات وأدخلها في الحلق والكسرة بعدها والضمة بعد الكسرة ، فاذا بدأت الفتحة ، وتصعدت تطلب صدر الفم والشفتين اجتازت في مرورها بمخرج الياء والواو ، فجاز أن تشمها شيئا من الكسرة أو الضمة لتطرقها اياهما ، ولو تكلف أن تشم الكسرة أو الضمة رائحة من الفتحة لا حتاجت الى الرجوع الى أول الحلق فكان في ذلك انتقاض عادة الصوت ، بتراجعه الى ورائه ، فلما كان في اشمام الكسرة أو الضمة رائحة الفتحة هذا الانقلاب والنقض تحامى ذلك ، فلم يتكلف البتة)) (1) .

وواضح ان ابن جني حاول اعطاء تعليل صوتي دقيق لعدم امالة الكسرة أو الضمة الى الفتحة فجاء تعليله علميا دقيقا ومقنعا .

ويذكر ابن يعيش : ((أن الامالة هي عدول بالألف عن استوائه وجنوح به الى الياء فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء)) (2) . وهو المقصود بالامالة عند اطلاقه في كتب اللغة والقراءات ويقابلها " الفتح " والفرق الصوتي بين " الامالة " و "الفتح " أن الألف الممالة صوت لين نصف ضيق ، أما الألف غير الممالة — في حالة الفتح — فصوت لين نصف متسع (3) .

---

(1) — ابن جني . سر صناعة الاعراب . ج : 1 . ص . 60 — 61 .

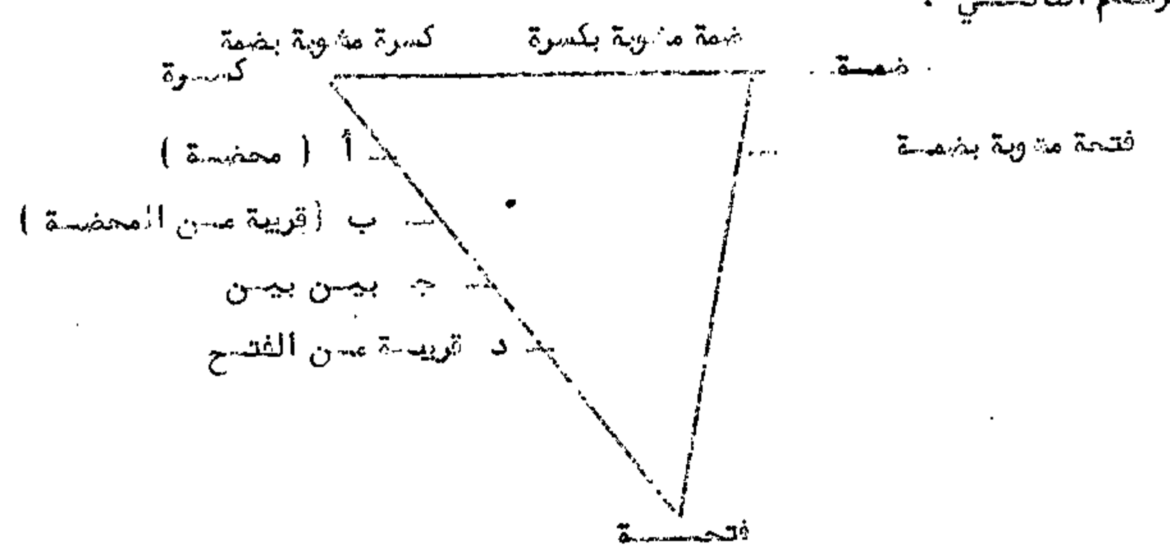
(2) — ابن يعيش . شرح المفصل . ج : 9 . ص . 54 .

(3) — راجع : خليل ابراهيم العطية . في البحث الصوتي عند العرب . ص . 78 .

كما يقابل مصطلح "الامالة" : "الاضجاع" و "البطح" أو "الكسر" (1)
وفي هذا الصدد يقول ابن الجزري : والامالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء ويقال له : الاضجاع ، ويقال له : البطح ، وربما قيل له الكسر أيضا .

ويذكر قول الداني : والامالة والفتح لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل بلغتهم القرآن ، فالفتح لغة الحجاز ، والامالة لغة عامة أهل نجد وتميم وأسد وقيس . (2)

ويختلف القرّاء في الامالة ففريق يميل وبعضهم يفتح — وبالمستطاع القول — بشكل عام أنّ قرّاء الكوفة أكثر ميلا اليها من سواهم لقربهم من مواطن اقامة القبائل التي ترجح الى الامالة . (3)
ومن كلام ابن جني عن الحركات المتفرّعة الممالة وضع "عبد الفتاح شلبي" الرسم التالي : (4)



---

(1) — شرح الأشموني على ألفية ابن مالك . ج : 3 . ص . 762 .
(2) — ابن الجزري . النشر في القراءات العشر . ج : 2 . ص . 30 .
(3) — خليل ابراهيم العطية . في البحث الصوتي عند العرب . ص . 80 .
(4) — عبد الفتاح شلبي . الدراسات القرآنية واللغوية . ط : 2 . دار نهضة مصر للطبع والنشر . الفجالة . القاهرة . 1971م . ص . 25 .

وهناك حروف تمنع حدوث الامالة ذكرها سيبويه في كتابه ثم تبعها النحاة ومنهم ابن جني ، ومن خلال الاستقراء يتبيّن أنها لا ترد في وجهين :

الأول : في أصوات الاطباق (الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاد والقاف) واثنين من أصوات الحلق (الخاء والغين) .

الثاني : لا ترد في بعض الأدوات مثل : (حتى ، وأمّا ، وأنى ولا ، وما .) ومعنى ذلك أن الامالة خاصة بالاسم والفعل دون الحروف .

وعلل النحاة موانع الامالة في الأصوات المطبقة والحلقية عند مجاورتها الألف (ونفتقد بينها الحاء والعين) كونها أصواتا مستعلية الى الحنك الأعلى ، ولمّا كانت الألف تستعلي اليه عند خروجها الى الامالة "كان العمل من وجه واحد أخف عليهم"[1] .

وقد دفعهم موقفهم من بعض اللهجات الى انكار امالة أمثال : " ناقد وعاطس وعاصم وعاضد ... مع أن فريقا من العرب ذهب الى امالتها بدعوة أنها (لغة من لا يؤخذ بلغته)[2] .

---

(1) ـ سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص . 128 .

(2) ـ خليل ابراهيم العطية . في البحث الصوتي عند العرب . ص . 80 .

كاف بكر ، وميم عمرو ، ألا تراك تقول : بكر وعمرو ، وبكر وعمرو وبكر وعمرو ، فلما جاز ان تحمله الحركات الثلاث ، علمت أنه قد كان قبلها ساكنا[1] . فمن خلال كلام ابن جنى نستطيع القول أنه كان يقصد بالسكون خلو " الحرف " من أية حركة أو تجرده من أى امتداد وهذا الذى يذهب اليه المحدثون حين يعرفون " الأصوات الساكنه " .

وملاحظة " خلو الحرف من الحركة هي التى أوحت لابن جنى بمفهوم السكون ، فالحركات : " تقلق الحرف الذى تقترن به وتجذبه نحو الحروف التى هي أبعاضها[2] " وتحرك الحرف ، أما اذا خلا الحرف من أية حركة تقلقه فهو عندئذ فى حالة " سكون " .

ويتأثر السكون بحركة الحرف المجاور له : (وقد أجرت العرب الحرف الساكن ، اذا جاور الحرف المتحرك ، مجرى المتحرك ، وذلك القولهم فيما حكاه سيبويه : المراة والكماة يريدون المرأة ، والكمأة ولكن الميم والراء لما كانتا ساكنتين والهمزتان بعدهما مفتوحتان صارت الفتحتان اللتان فى الهمزتين كأنهما فى الراء والميم وصارت الراء والميم كأنهما مفتوحتان ، وصارت الهمزتان لما قدرت حركتاهما فى غيرهما ، كأنهما ساكنتان ، فصار التقدير فيهما : " مرأة وكمأة " ثم خففتا ، فابدلت الهمزتان ألفين ، لسكونهما وانفتاح ماقبلهما فقالوا : مراة ، وكماة

---

(1) — ابن جنى سر صناعة الاعراب . ج : 1 . ص 31 .

(2) — نفسه : ص 30 .

كما قالوا في فأس ورأس لما خففا : فاس ، وراس .(1)

وما يلاحظ أن تأثر السكون بالحركة التي تليه هو الذي جعل النطق بالحرف الساكن في وسط الكلمة خلاف النطق به في آخر الكلمة ، فالنطق والساكن في وسط الكلمة يتطلب من الناطق التأهب أثناء النطق بالحرف الساكن للنطق بالحرف الذي يليه ، ونتيجة لذلك الاسراع تقل شدة السكون بالنسبة لسكون الحرف آخر الكلمة الذي يركز عليه الناطق ، ويعلل ابن جني لذلك :(وسبب ذلك عندى أنك اذا وقفت عليه ولم تتطاول الى النطق بحرف آخر من بعده تلبثت عليه ، ولم تسرع الانتقال عنه ، فقدرت على تلك اللبثة على اتباع ذلك الصوت اياه ، فاما ان تأهبت للنطق لما بعده وتهيأت له ونهمت فيه ، فقد حال ذلك بينك وبين الوقف الذي يتمكن من اشباع ذلك الصويت ، فيستهلك ادراجك أياه طرفا من الصوت الذي كان الوقف يقره عليه امدادك اياه به)(2)

وهكذا نلاحظ ان ابن جني لم يعرف السكون مباشرة الا أن اشاراته المتعددة خلال كلامه عن الحركات حددت مفهوم السكون عنده وطبيعته وحالاته فاذا ماقارنا بين مفهوم السكون عند المحدثين نلاحظ أن ابن جني أحاط بالروح العامة للسكون أو " لحالة " انعدام أي امتداد

---

(1) — ابن جني ، سر صناعة الاعراب ، ص 86 .

(2) — ابن جني ، الخصائص ، ج : 1 ص 57 — 58 .

في الصوت اللغوي :

هذا وبعد أن أفضنا في الحديث عن الأصوات العامة ومخارجها والمصطلحات المتعلقة بتسميتها وأقسامها وكذلك الحركات وأصواتها والمصطلحات التي أنعتت بها ، وسبق أن ذكرنا أنهما تمثلان الصفات العامة للأصوات العربية بالاضافة الى المصطلحات الأخرى التي وضحناها نرى لزاما علينا أن ننتقل الى الحديث عن الصفات الخاصة للأصوات وفي مقدمها :

الذلاقة والاصمات :

لعل أول ما نسجله على هذين المصطلحين أنهما مصطلحان انفرد بهما العرب القدماء ولا يعرفهما المحدثون من علماء الأصوات .
(1)
ونعني بذلق اللسان لغة : طرفه المستدق .

والذلاقة في الأصوات مصطلح يندرج تحته نوعان من الأصوات الأول ذلقي مخرجه من ذلق اللسان من طرف غار الفم ويشمل أصوات (الراء ، واللام ، والنون) .
والثاني شفوي مخرجه من بين الشفتين ويشمل أصوات (الفاء الميم والباء) .
ويطلق على هذين النوعين مصطلحات " الذليقة " أو الذلقية أو الذولقية .

---

(1) — ابن دريد . الجمهرة . ج : 1 . ص . 7 .

قال الخليل : ((اعلم أنّ الحروف الذّلق والشفوية ستة وهي :
((ر . ل . ن . ف . ب . م .)) وانما سمّيت هذه الحروف ذلقا لأن الذلاقة في المنطق انما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة ، منها ثلاثة ذليقة ، ((ر . ل . ن .)) فتخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم ، وثلاثة شفوية : ((ف . ب . م .)) ، مخرجها من بين الشفتين خاصة (1))) .

والاذلاق في اللغة يقابله " الاصمات " وهو يشمل باقي أصوات العربية ، وانما عدوها مصمتة لأنّها على رأي " القسطلاني " (ت 923هـ) تعني المنع : تقول : أصمتت أي منعت أي تختص ببناء كلمة في لغة العرب اذ كثرت حروفها لاعتياصها على اللسان ، فهي حروف تتفرد بنفسها في كلمة أكثر من ثلاثة أحرف حتى يكون معها غيرها من الحروف المذلقة (2) .

ويقول ابن جني : ((سمّيت مصمتة : أي صمت عنها (3)))
وكان الفراهيدي السابق في وضع ضوابط الذلاقة والاصمات في الأصوات العربية ، وتعتمد نظريته على أنّ : أية كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من أصوات الذلاقة فلابد أن تكون محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب (4) .

ولابد أنّ العلماء العرب لاحظوا بعض هذه الخصائص من خلال ملاحظتهم شيوع هذه الأصوات في كلام العرب .

---

(1) — الخليل . العين . ج 1 . ص . 57 .

(2) — القسطلاني . لطائف الاشارات . ج 1 . ص . 192 .

(3) — ابن جني . سرّ صناعة الاعراب . ج 1 . ص . 74 — 75 .

(4) — الخليل . العين . ج 1 . ص . 53 .

فابن جني يجعل حروف الذلاقة ستة وهي : ((اللام ، والراء ، والنون ، والفاء ، والباء ، والميم)) لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه .(1)

والملاحظ أنه لا يوجد اسم رباعي أو خماسي غير ذي زوائد إلا وفيه حرف من هذه الحروف الستة أو حرفان ، وربما ثلاثة نحو : (جعفر ، سفرجل ، سلهب) غير أن الاستراباذي يورد في مصطلح " الذلاقة " شيئاً آخر : ((والذلاقة الفصاحة ، والخفة في الكلام)) .(2)

وواضح أن الاستراباذي كان أصح وأدق لأن الذلاقة هنا تعني القدرة على الانطلاق في الكلام دون تعثر : ((فذلاقة اللسان كما نعلم جودة النطق والطلاقة في أثناء الكلام .

ولما كانت هذه الحروف الستة هي أكثر شيوعاً في الكلام العربي أطلق عليها " حروف الذلاقة " دون النظر إلى مخرجها ، أو صفاتها أو أي ناحية من نواحي الدراسة الصوتية .(3)

ورغم هذا فقد تكون كلمة الذلاقة فقدت دلالتها " الصوتية " وأصبحت دلالة " بلاغية " فإذا صح هذا فالاستراباذي يكون من أوائل الذين ابتعدوا بمصطلح " الذلاقة " عن مفهومها العلمي

---

(1) ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج : 1 ، ص . 74 .

(2) رضي الدين الاستراباذي ، شرح الشافية ، ج : 3 ، ص . 262 .

(3) ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص . 110 .

الدقيق الى ذلك المفهوم العام .

وقد أيدت المباحث الصوتية التي أجراها الدكتور ابراهيم أنيس (1) شيوع " اللام " نحو 127 مرة في كل ألف من الأصوات الصامتة في العربية ، وأن نسبة الميم 124 مرة في كل ألف مرة منها ، وأن نسبة النون بلغت 112 مرة كذلك .

كما لوحظ اتفاق في عدد الميمات والنونات في السور العشر الأولى من القرآن الكريم اذ يزيد كل منها عن عشرة آلاف (2) .

وأفصح الحاسب الألكتروني في احصاء جذور (الصحاح) للجوهري (ت 398 هـ) ، المشتمل على 5633 جذرا عن شيوع صوت الراء في الجذور الثلاثية 1003 مرات ، يليه صوت الميم والنون واللام بتردد يتقارب (3) .

الا أن ما يجدر قوله حول صحة صدق شيوع " حروف الذلاقة " الذى كان بينا في تسميتها والتي لا يخلو منها السواد الأعظم من الكلمات الرباعية والخماسية في اللغة العربية أو صح ايماننا بصدق القول بابتداع أمثال : ((دعشق ، وضثقج ، وعقجش)) غير العربية وأشباهها (4)

---

(1) ـ نفسه ، ص ، 193 ، وانظر : اللهجات العربية في التراث العربي ، ص 242 .

(2) ـ أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص ، 242 .

(3) ـ خليل ابراهيم العطية ، في البحث الصوتي عند العرب ، ص ، 54 .

(4) ـ الجواليقي ، المعرب ، ص ، 12 .

مثلا الغالية من أحد أصوات الذلاقة ، فلا يصدق على " المسجد " وأمثالها اذ لا يمكن عدها مبتدعة أو محدثة ، ومهما حاول ابن دريد ((ت 322 هـ)) اقناعنا أنها عربية لأن السين لبنة جرسها من جوهر الغنة) (1) .

أو قول ابن جني الذي ذهب الى نصاعة العين فيها ولشذاذة مستعملها كان كافيا لقبولها مع أنها تخلو من أحد أصوات الذلاقة (2) .

2 — الاطباق أو التفخيم :

يذكر سيبويه " الحروف المطبقة " وهي : ((الصاد ، والضاد والطاء ، والظاء)) ويعرفها كالآتي : ((وهذه الحروف الأربعة اذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك فالصوت محصور في ما بين اللسان والحنك الى موضع الحروف)) (3) .

ويؤخذ من كلام سيبويه هنا الاشارات الآتية :

1 — الحروف المطبقة هي : (ص ، ض ، ط ، ظ .)

2 — الاطباق ضد الانفتاح .

3 — أن الحروف المنفتحة كل ما عدا المطبقة .

4 — أن الاطباق يتم برفع اللسان الى الحنك الأعلى .

5 — أن الاطباق يحصر الصوت (ومعناه الأثر السمعي) بين اللسان والحنك .

---

(1) — ابن دريد . الجمهرة . ج 1 . ص . 11 .

(2) — ابن جني . سر صناعة الاعراب . ج 1 . ص . 75 .

(3) — سيبويه . الكتاب . ج 4 . ص . 406 .

وكأنّ سيبويه يوشك أن يقول : وبذلك تتكوّن حجرة رنين لها شكل معين ينتج عنها أثر سمعي معين هو الذي نسميه " التفخيم "

6 — أنّ الاطباق يرادف التفخيم .

7 — أنّ التفخيم يلازم الاطباق كما في ص . ض . ط . ظ . ولكنه لا يتوقف عليه .

وهذه الملاحظات تتفق مع وجهة النظر الحديثة في العملية النطقية الحركية للتفخيم .

ويعرف ابن جني الاطباق فيقول : ((ان ترفع ظهر لسانك الى الحنك الأعلى ، مطبقا له (1))) ثم يضيف الأمثلة التي أتى بها سيبويه فيقول : ((ولولا الاطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا ، والظاد ذالا ، ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس في موضعها شيء غيرها (2))) .

وبقي هذا التعريف الغامض " للاطباق " متداولا عند اللغويين العرب حتى العصر الحديث ، حيث فرق المحدثون بين مصطلحي (الاطباق والطبقية) نذكر من بينهم الدكتور تمام حسان الذي قال : ((وليحذر القارئ من الخلط بين اصطلاحين يختلفان أكبر اختلاف وان اتحدا في كثير مما يخلق صلة بينهما ذلك هما : الطبقية أو النطق في مخرج الطبق (Velar articulative) والاطباق أو ما يسمى في علم

---

(1) — ابن جني . سرّ صناعة الاعراب . ج : 1 . ص . 70 .

(2) — نفسه .

الأصوات (Velaryation) فالطبقية ارتفاع مؤخر اللسان ، حتى يصل بالطبق فيسدّ المجرى ، أو يضيّقه تضييقا ، يؤدي الى احتكاك الهواء بهما في نقطة التقائهما ، فهي اذا حركة عضوية مقصودة لذاتها ، يبقى طرف اللسان معها في وضع محايد .

أما الاطباق فارتفاع مؤخر اللسان في اتجاه الطبق ، بحيث لا يتصل به على حين يجرى النطق في مكان آخر غير الطبق ، يغلب أن يكون طرف اللسان أحد الأعضاء العاملة فيه .)) .(1)

ويستنتج من كلام الدكتور تمام حسان :
أن الأصوات (الطبقية) هي : ((الخاء ، والغين ، والقاف)) .
وأصوات الاطباق هي : ((الضاد ، والطاء ، والصاد ، والظاء))
كما كانت عند القدماء .

ومما نشير اليه أن القدماء أغفلوا بيان الصلة بين الاطباق و التفخيم الشيء الذي استنتجناه من الملاحظات التي ذكرناها من تعريف سيبويه ، وقد ذكر هذه الحقيقة مكي بن أبي طالب (437هـ) وابن الجزري (ت 833 هـ) في كتابيهما ،(2) ومع ذلك فاننا نفتقد اشارة الى عدّ الراء واللام والقاف ضمن مباحثهما ، هما وسواهما من العلماء العرب — مع معالجتهم أحكام الراء (المغلظة) واللام المغلظة باعتبارهما من أصوات الاطباق لأنهما مفخمتين أيضا ومن هنا نخرج بمصطلح آخر مرادف للتفخيم وهو التغليظ .

---

(1) — تمام حسان . مناهج البحث في اللغة . ص . 89 .
(2) — مكي بن أبي طالب . الرعاية . ص . 98 .

كما أنهم يتنبهوا الى القيمة التفخيمية الجزئية لصوت " القاف " ولعل مرد ذلك عدم وجود صوت مرقق له عندهم .(1)

وقد قابل تمام حسان مصطلح " الاطباق " بمصطلح " التفخيم " والتفخيم الميل بالصوت ذي المخرج الذي خلف الغار الى أن ينطبق في الغار ، أو قرب ما يكون اليه .(2))) .

وشرح عبد الصبور شاهين قضية الاطباق فيقول : ((ان اللسان عند انفتاح أحد هذه الأصوات ينطبق في موضعها لا في موضع واحد كبقية الأصوات .(3))) .

وما نخلص اليه أن المحدثين لم يأتوا بالشيء الكثير حول قضية الاطباق ، ولم تتعد اضافتهم سوى بعض التفاصيل العلمية التي وفرها لهم التقدم العلمي بصفة عامة .

3 — الانفتاح أو الترقيق :

الأصوات المنفتحة أو المرققة : هي كل الأصوات غير الأربعة المطبقة ، ولم يذكر لها سيبويه تعريفا واضحا واكتفى بالقول : ((والمنفتحة كل سوى ذلك من الحروف لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك ترفعه الى الحنك الأعلى .(4))) .

---

(1) — أحمد مختار عمر . الصوت اللغوي . ص . 235 .
(2) — تمام حسان . مناهج البحث في اللغة . ص . 90 .
(3) — عبد الصبور شاهين . الأصوات في قراءات عمرو بن أبي العلاء . ص . 194 .
(4) — سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص . 406 .

والقول نفسه نجده عند الزجاجي (ت 337 هـ) الذي عاش في القرن الرابع الهجري وأشار الى أن الحروف المنفتحة هي كل الحروف غير المطبقة : ((حروف الاطباق أربعة وهي : (ص ، ض ، ط ، ظ) وانما سميت حروف الاطباق لأنك اذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق اللسان على ما حاذاه من الحنك الأعلى فصار الصوت محصورا من اللسان والحنك . وسائر الحروف منفتحة لا اطباق فيها .)) (1) .

أما ابن جني فاقتبس فكرة سيبويه نفسها حول الحروف المنفتحة : ((وللحروف انقسام آخر الى الاطباق والانفتاح ، فالمطبقة أربعة : وهي : الضاد ، والطاء ، والصاد ، والظاء ، وما سوى ذلك فمفتوح غير مطبق . (2)

فالحروف المنفتحة عند ابن جني هي الحروف غير المطبقة ولم يفسر ذلك أو يشرحه ، وبذلك اكتنف هذا التقسيم للحروف عند ابن جني — وغيره من القدماء — الكثير من الغموض .

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن الاطباق يساوي التفخيم والانفتاح عدم التفخيم . (3)

---

(1) — الزجاجي . الجمل . ص . 378 .

(2) — ابن جني . سر صناعة الاعراب . ج : 1 . ص . 70 .

(3) — كانتينو . دروس في علم أصوات العربية . ص . 20 .

التفشـــــي :

مصطلح يطلق على صفة خاصة بصوت ((الشين)) ومجهورهما وذلك لأنّ اللسان يتفشى فصلا على الحنك فيتكوّن في وسطه نوع من القناة ينطلق منها النفس ، ولا يقتصر تسربه على المخرج بل يتوزع في جنبات الفم ، وقد أقرّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة تسميته ب (hissing sounds)

وقد عرفت ظاهرة " التفشي " عند العرب فهذا ابن دريد مثلا يقول في مقدمة الجمهرة في معرض حديثه عن بعض الأصوات :
((. . . . الا أنها دخلت على الشين لتفشي الشين ، وقربها من عكدة اللسان ، بل هي مجاوزة للمكدة الى الفم)) (1) وفسر العكدة في جمهرته : بأنها أصل اللسان ، وانما قال ذلك بقرب مخرج الشين من مخرج الجيم والياء ، لأنّ هذه الأصوات عنده وعند سيبويه من وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى .

ويذكر " ابن الجزري " (2) حروف التفشي ويخص منها " الشين " اتفاقا لأنه تفشى في مخرجه حتى اتصل بمخرج الطاء ، وأضاف اليها بعضهم الفاء ، والضاد ، وبعض الرّاء والصاد والسين والياء والثاء والميم .

(1) ـ ابن دريد . الجمهرة . ج : 1 . ص . 54 .
(2) ـ ابن الجزري . النشر في القراءات العشر . ج : 1 . ص . 205 .

أما شهاب الدين القسطلاني فيتعرض لصفات الحروف في " لطائف الاشارات " ويذكر منها : " التفشي " ويخص هذه الصفة " بالشين " وحده فيقول : ((ومنها : التفشي وهو في الشين وحده وفاقا للداني ، لأنها تفشت عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج الظاء ، وأضاف بعضهم اليها : الفاء ، و " مكي " الثاء وآخر الضاد وآخر الراء والصاد والسين والميم والياء ، فتفشي الفاء " بالتأفف " والتاء " بالانتشار " ، والضاد " بالاستطالة " ، والراء " بالتكرير " والصاد والسين " بالصفير " ، والميم " بالغنة " ، لكن يلزم القائل بتفشي الصاد والسين الحاق الزاي اذ لا فرق .))(1) .

ويتضح من خلال النص أنّ صفة التفشي خاصة بالشين وحده و قد وصف القسطلاني الأصوات التي أضيفت وخصها بصفاتها ، والغريب أنه لم يذكر الياء في وصف تفشيها كما فعل في سائر الأصوات السابقة عليها .

وقد تعرض المحدثون لهذه الصفة وعرّفوا مصطلح " التفشي " بأنه خاصية حرف الشين وذلك لأنّ اللسان يتفشى فعلا على الحنك فيتكوّن في وسطه نوع من القناة ينطلق منها النفس(2) . دون أن يضيفوا شيئا ذا بال .

---

(1) — شهاب الدين القسطلاني . لطائف الاشارات . ج 1 ص . 202 .

(2) — جان كانتينو . دروس في علم أصوات العربية . ص . 38 .

الاستعلاء والاستفال :

يقسم ابن جني الأصوات العربية قسمين أطلق عليهما مصطلحي " الأصوات المستعلية والمنخفضة " ويعرف المستعلية بقوله : ((فالمستعلية سبعة وهي : الخاء ، والغين ، والقاف ، والظاد ، والطاء ، والصاد والضاء . . .

ومعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى ، فأربعة منها فيها مع استعلائها اطباق ، وقد ذكرناها ، وأما الخاء والغين والقاف فلا اطباق فيها مع استعلائها .))(1) .

ويرى الرضي الاسترابادي : أن الحروف الثلاثة غير المطبقة يرتفع اللسان بها أيضا " ولكن لا الى حد انطباق الحنك عليها "(2) أي أن هناك بداية اطباق لا الاطباق كله .

أما الزمخشري(3) ، وابن يعيش(4) فيعرفان :((الاستعلاء بارتفاع اللسان الى الحنك أطبقت أم لم تطبق ، والحروف المستعلية هي الحروف المطابقة الأربعة ثم القاف والخاء والغين)).

---

(1) — ابن جني ، سر صناعة الاعراب ، ج : 1 ، ص ، 71 .

(2) — الرضي الاسترابادي ، شرح الشافية ، ج : 3 ، ص ، 262 .

(3) — الزمخشري ، المفصل ، ط : 2 دار الجيل ، بيروت ، ص ، 19 .

(4) — ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج : 10 ، ص ، 129 .

ومما يلاحظ أنه لا يخلو الاستعلاء من بعض الاتصال بالاطباق كما يلاحظ من تعريف ابن جني أنه فصل بين قضية الاستعلاء وجزئياتها وأشار الى الحروف المستعلية مع كونها غير مطبقة ، أي لم يترك مجالا للبس أو الالتباس .

ويريد في تعريفه ((بالتصعد في الحنك الأعلى)) ارتفاع مؤخرة اللسان فيها ، وقد تبين لنا أن أصوات الاستعلاء التي ذكرها المصوب لا تخرج عن كونها : لهوية ، كالقاف ، أو طبقية : كالغين ، والخاء ، و أسلية لثوية كالصاد والضاد ، والطاء ، والظاء ، ويرتفع معها جميعا مؤخرة اللسان صوب الحنك الأعلى ، كما أشار ابن جني ومن جاء بعده .

هذا ويقابل مصطلح "الاستعلاء" "الانخفاض" أو "الاستفال" و تسمى الحروف غير المستعلية "مستفلة" أو "منخفضة" .

أما الحروف "المنخفضة" فلم يضع لها ابن جني تعريفا وانما اكتفى بالقول ان المنخفضة هي ما عدا الحروف المستعلية السبعة :
"فالمستعلية سبعة . . . وما عدا هذه الحروف فمنخفض"[1] ولم يشر أية اشارة الى القصد بالانخفاض .

لكن رضي الدين الاستراباذي شرح شيئا ما عن قضية الانخفاض هذه فقال : " انها الحروف التي ينخفض معها اللسان ولا يرتفع وهي كل ما عدا المستعلية "[2]

---

(1) — ابن جني . سر صناعة الاعراب . ص . 72 .

(2) — رضي الدين الاستراباذي . شرح الشافية . ج 3 . ص . 262 .

ويرى المحدثون أن مصطلح الاستعلاء أو التفخيم كالاطباق صفة قوية في الصوت اللغوي يقابله "الترقيق" أو الاستفال . ويقرّرون تقسيم ابن جني الأصوات الى مستفلة ومستعلية في تعريفه .
ويضيف بعض المتأخرين في الزمن الهاء والعين الى الحروف المستعلية .

وما نجزم القول به أنه لا يمكن التفريق بين مصطلح التفخيم و الاطباق والاستعلاء وان كان التفخيم لا يذكر عادة في قائمة صفات الحروف ويسمى التفخيم أيضا : "التغليظ" أو "التسمين" ويقابله مصطلح "الترقيق" .

ومن الراجح فيما يبدو أن مصطلح التفخيم يطلق على بعض الحروف التي لها وقع خاص على السمع أي وقع "فخم" أو "غليظ" أو "سمين" على الأذن .

والحروف المطبقة هي : ((الصاد والضاد والطاء والظاء)) و يضاف اليهما ((القاف والخاء والغين ثم الراء واللام في بعض حالاتهما الخاصة .)) .

وما نشير اليه أن مصطلح "التفخيم" لا يطلق على الأصوات الصامتة فحسب بل يطلق أيضا على الحركات فهناك في العربية "ألف التفخيم" كما يدخل التفخيم على الياء ويطلق عليه مصطلح آخر . يعرف "بالاشمام" سنعود اليه بعد حين .

الصفيـــــر :

يطلق مصطلح " الصفير " على الأصوات التي يصحبها اضطراب شديد للهواء ينتج عنه صوت يشبه الصفير وهي : ((الصاد ، والزاي والسين)) وتسمى أيضا بالأصوات "الأسلية "(1).

ويعرّف ابن يعيش في شرح المفصل الأصوات الصفيرية بقوله : وسميت عندهم كذلك " لأنّ صوتها كالصفير لأنها تخرج من بين الثنايا وطرف اللسان فينحصر الصوت هناك ويصفر به "(2) .

وقد رأينا قبل قليل أنّ صوت الصاد والزاي والسين من الأصوات الرخوة أو الاحتكاكية ومخرجها مخرج الأسنان اللثوية ، وما الصفير فيها إلاّ حالات الصوت الرخو . ومن أصوات الصفير يطلق القدماء والمحدثون مصطلحا آخر يتمثل في أصوات " القلقلة " .

يقول القسطلاني : ((حروف الصفير وهي : السين ، والصاد ، و الزاي ، وهو صوت زائد يخرج من بين الشفتين يصحبها عند خروجها وهي الحروف الأسلية ، ومنها حروف " القلقلة " ويقال " اللقلقة " وهي خمسة جمعوها في " قطب جد " وتكون " متوسطة " كباء "لبحث "

---

(1) ـ راجع : ص 25 من هذا البحث .

(2) ـ ابن يعيش . شرح المفصل . ج :10 . ص . 130 .

أما الاسترابادي فيقول في حروف القلقلة : ((وحروف القلقلة انما سميت حروف القلقلة لأنها يصحبها ضغط اللسان في مخرجها في الوقف مع شدة الصوت المتصعد من الصدر وهذا الضغط التام يمنع خروج ذلك الصوت ، فاذا أردت بيانها للمخاطب احتجت الى قلقلة اللسان وتحريكه عن موضعه حتى يخرج صوتها فيسمع .))[1] .

أما ابن يعيش فيقول أثناء تعرضه لحروف القلقلة في شرحه للمفصل " انّ هذه الاصوات سميت حروف القلقلة " لأنك لا تستطيع الوقوف عليها الّا بصوت وذلك لشدة الحصر والضغط نحو : الحق اذهب ، اخلط ، اخرج "[2] ولم يضف شيئا ذا بال يذكر بل كرّر تعريف ابن جني وأمثلته كما سبق أن ذكرنا[3] .

وأما عند المحدثين فهي الحروف التي لها صوت شديد لأنها جمعت بين الجهر والهمس[4] .

فاذا كانت هذه الحروف في آخر الكلمة ووقف عليها كانت القلقلة شديدة جدا وسميت " القلقلة الكبرى " وهي التي أطلق عليها القسطلاني مصطلح " القلقلة المتطرّفة " واذا كانت وسطا سميت " القلقلة الصغرى " وهي التي سميت بالقلقلة المتوسطة عند المجودين .

---

(1) ـ الاسترابادي ، شرح الشافية ، ج : 3 ، ص ، 263 .

(2) ـ ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج : 10 ، ص 130 .

(3) ـ راجع : ص 368 من هذا البحث .

(4) ـ جان كانتينو ، دروس في علم أصوات العربية ، ص ، 37 .

الانحراف :

مصطلح " الانحراف " يطلق على الحرف الذي ينحرف فيه اللسان عند النطق به . وهي صفة تخص حرفا واحدا في العربية وهو اللام . يقول ابن جني : ((ومن الحروف حرف منحرف ، لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت ، فيخرج الصوت من تينك الناحيتين وما فويقهما وهو اللام .)) (1) .

اذا ففي العربية حرف منحرف واحد ، وقد وصفه ابن جني وصفا دقيقا ، ونفس الوصف — تقريبا — ذكره سيبويه في أثناء تعرضه للمنحرف (2) .

وقد أشار البعض من المحدثين الى الحرف المنحرف ((أن الصوت يخرج من حافة اللسان حين تتصل بما جاورها من الأسنان والأضراس . (3)

واللام في البحث الصوتي الحديث صوت لثوى يتم نطقه باتصال طرف اللسان باللثة ، وارتفاع الطبق الذى يؤدى الى اغلاق المجرى الأنفي عن طريق اتصاله بالجدار الخلفي للحلق . (4)

---

(1) — ابن جني . سر صناعة الاعراب . ج : 1 . ص . 72 .

(2) — سيبويه . الكتاب . ج : 4 : ص . 40 .

(3) — عبد الصبور شاهين . الأصوات في قراءة أبي عمرو بن العلاء . رسالة ماجستير . كلية دار العلوم . ص . 196 .

(4) — راجع : خليل ابراهيم العطية . ص . 60 .

التكـــــــرار :

يقـول سيبويـه : ((المكـرر وهـو حـرف شـديـد يجـري فيـه الصـوت لتكـريـره [1])) .

أمـا الزجـاجـي فيـورد الفكـرة نفسهـا ((والحـرف المكـرّر الـراء لأنّ فيـه تكـرار)) ويعنـي التعريـف الـذي ورد عنـد سيبويـه ثـم الزجاجـي يورده ابن جنـي مع بعض التفصيـل ((ومنهـا المكـرر ، وهـو الـراء ، وذلك أنـك اذا وقفـت عليـه رأيـت طـرف اللسـان يتعثـر بمـا فيـه مـن التكريـر ، ولذلك احتسـب فـي الامالـة بحرفيـن . [2])) .

ويعنـي ابـن جنـي بالتكـرار تعثـر طـرف اللسـان فيـه عنـد الوقـف ويعـدّ مـن أهـم مـن درس ووضـح مصطلـح " التكـرار " وقـد وردت نفـس الفكـرة عنـد ابـن يعيـش فـي شـرح المفصـل ،(والتكـرار صفـة الـراء وذلـك اذا وقفـت عليـه رأيـت اللسـان يتعثـر بمافيـه مـن التكريـر [3]) .

ويـراد بالتكريـر ملاحظـة الضربـات المتلاحقـة التـي تصحـب نطـق الـراء وبـذلك يسميـه " " .

ويعـرف المحدثـون " المكـرر " تعريـف القدمـاء حيث يـرون أن النطـق بالـراء " يتمثـل فـي عـدّة هـزات وارتعـاشـات في طـرف اللسـان [4]" .

---

(1) — سيبويـه . الكتـاب . ج : 4 . ص . 416 .
(2) — الزجاجـي . الجمـل . ص . 378 .
(3) — ابن جنـي . سرّ صناعـة الاعـراب . ج : 1 . ص . 72 .
(4) — ابـن يعيـش . شـرح المفصـل . ج : 10 . ص . 130 .

وهكذا نرى أنّ المحدثين لم يضيفوا شيئاً ذا أهمية كبيرة الى ما توصل اليه القدماء حول قضية مصطلح : ((الانحراف والتكرار)) .

الهــــــــاوي :

أطلق الخليل مصطلح "الهاوي" على الصوت الذي لم يكن له حيز ينسب اليه الا الجوف ، وقد سماه "بالجوفي" لخروجه من الجوف وعدم وقوعه في مدرجة من مدارج اللسان أو الحلق، أو اللهاة .

وقد عدّ الأصوات الهوائية أربعة وهي (الهمزة ، والواو ، والياء والألف) فيقول : ((فأما الهمزة فسميت حرفاً هوائياً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة ، انّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيّز تنسب اليه الا الجوف . وكان يقول كثيراً : الألف اللينة والواو والياء هوائية . أي أنها في الهواء)) (1) .

و "الهاوي" صفة الألف قال سيبويه فيه :

((وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه ، أشدّ من اتساع مخرج الياء والواو لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك ، وهي الألف .)) (2) .

---

(1) — الخليل . العين . ص 64 .

(2) — سيبويه . الكتاب . ج 4 : ص 435 — 436 .

ويتعرض القسطلاني الى صفات الأصوات فيذكر منها : الهاوى ، وهو الألف "[1] . ويقول ابن الحاجب : ((لأنه في الحقيقة راجع الى الصوت الهاوى الذى بعد الفتحة ، وهذا وان شاركه الواو والياء فيه ، الا أنه يفارقهما من جهة اتساع هواء الألف ، لأنه صوت بعد الفتحة ، فيكون الفم فيه مفتوحا ، بخلاف الضمة والكسرة فان ذلك لا يكون عنهما ، فلذلك اتسع هواء صوت الألف أكثر منه في الواو والياء[2])) .

ومنها "الجرس" وهي الهمزة : والجرس لغة : الصوت فكأنه الحرف الصوتي ، وكل الحروف يصوت بها ، لكن الهمزة لها مزية زائدة في ذلك ، فلذلك استثقل الجمع بين همزتين في كلمة من كلمتين[3] .

ويعرف كانتينو " الصوت الهاوى بقوله : ((الهاوى : أى الذى فيه هواء .)) ، وهو نعت يعمت به الألف الجرس أى الألف الذى يحدث صوتا للمقابلة بينه وبين الألف اذا كان عماد الهمزة .))[4] .

وانما سمى العرب "الألف هاويا " لكونه أعلى مراتب الانطلاق في أصوات اللين .

---

(1) — القسطلاني . لطائف الاشارات . ص . 202 .

(2) — الرضى : شرح شافية ابن الحاجب . ص . 258 .

(3) — القسطلاني . لطائف الاشارات . ص . 202 .

(4) — كانتينو . دروس في علم أصوات العربية . ص . 38 .

والملاحظ أن الصوت " المهتوت " لم يحظ من خلال التعاريف السابقة بتحديد دقيق يوضحه بجلاء .

الاستطالة :

مصطلح يطلق على صفة خاصة بصوت الضاد في العربية .
يقول القسطلاني : ومن صفات الأصوات : ((المستطيل وهو "الضاد" لامتداده من أول حافة اللسان حتى اتصل بمخرج اللام لما فيه من القوة بالجهر والاطباق والاستعلاء ، حتى استطال في مخرجه ، فان قلت ما الفرق بين المستطيل والممدود ؟ أجيب بأنّ المستطيل جرى في مخرجه ، والممدود جرى في نفسه[1] .

ويعرف كانتينو : الاستطالة : بأنها صفة الضاد وربما كان السبب في هذه التسمية وجود تلك الزوائد الانحرافية في الضاد[2] . ويريدون بالاستطالة جانبيه صوت " الضاد " .

هذا وجد أن ألممنا بصفات الأصوات العربية العام منها والخاص وعرفنا المصطلحات التي أطلقت عليها في مختلف كتب التراث .

يجدر بنا أن نوزع هذه المصطلحات على الموصوفات بها وأقصد الأصوات العربية التسعة والعشرين لنخلص الى الكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف فيها قديما وحديثا .

---

(1) — القسطلاني . لطائف الاشارات . ص 202 .
(2) — كانتينو . دروس في علم أصوات العربية . ص 38 .

ج ـ توزيع المصطلحات المدروسة على الأصوات العربية :

فالألف : مجهور . رخو . منفتح . مستفل . ممدود . ممال هاو . جوفي . مصمت . زائد .

والهمزة : مجهور . شديد . جرسية . مهتوفة . مستفلة . مصمتة . منفتحة . حلقية .

والهاء : مهموس . رخو . مستفل . منفتح . مصمت . حلقي . مهتوت .

والعين : مجهور . منفتح . مستفل . مصمت . حلقي . متوسط .

الحاء : مهموس . مستفل . منفتح . رخو . حلقي . مصمت .

الغين : مجهور . رخو . مستعل . منفتح . مصمت . حلقي .

الخاء : مهموس . منفتح . رخو . مستعل . مصمت . حلقي .

القاف : مجهور . منفتح . مستعل . شديد . مقلقل . مصمت لهوي .

الكاف : مهموس . منفتح . شديد . مستفل . مصمت . لهوي .

الجيم : مجهور . منفتح . مستفل . شديد . مقلقل . مصمت . شجري . مركب .

الشين : مهموس . مستفل . منفتح . مصمت . شجري . رخو . متفش .

الياء : مجهور ، مستفل ، منفتح ، رخو ، خفي ، هاو ، شجري ، مصمت ، مدي ، معتل .

الضاد : مجهور ، مطبق ، مستعل ، رخو ، مستطيل ، مصمت ، شجري ، مفخم ، متفش ، (على قول) .

اللام : مجهور ، منفتح ، مستفل ، متوسط (بين الشدة والرخاوة) منحرف ، مذلق ، مرقق ، زائد .

الراء : مجهور ، منفتح ، مذلق ، مستفل ، (بين الشدة والرخاوة) مفخم ، منحرف ، مكرر .

النون : مجهور ، منفتح ، مستفل ، متوسط ، مذلق ، مرقق أغن .

الطاء : مجهور ، مستعل ، منطبق ، شديد ، مفخم ، مقلقل ، مصمت ، نطعي .

التاء : مهموس ، مستفل ، منفتح ، شديد ، مصمت ، زائد ، نطعي .

الدال : مجهور ، منفتح ، مستفل ، شديد ، مصمت ، مقلقل ، نطعي .

الظاء : مجهور ، مستعل ، منطبق ، رخو ، مفخم ، مصمت ، لثوي .

الذال : مجهور ، منفتح ، مستفل ، رخو ، مصمت ، لثوي .

الثاء : مهموس . مستفل . منفتح . رخو . مصمت . لثوي .

الصاد : مهموس . منطبق . مستعل . رخو . صفيري . مصمت . مفخم . أسلي .

السين : مهموس . مستفل . منفتح . رخو . صفيري . مصمت . أسلي .

الزاي : مجهور . منفتح . رخو . مستفل . صفيري . مصمت . أسلي .

الفاء : مهموس . مستفل . منفتح . رخو . مزلق . شفوي .

الباء : مجهور . منفتح . مستفل . مقلقل . شديد . مزلق . شفهي .

الواو : مجهور . رخو . منفتح . مستفل . ممدود . معتل . مصمت . هوائي .

الميم : مجهور . منفتح . مستفل . أغن . مزلق . متوسط . شفهي .

جدول صفات الحروف عند القدماء المحدثين

صفات الحروف	سيبويه	ابن جني	في العصر الحديث
الشديدة 8	ء، ق، ك، ج، ت، د، ب	ء، ق، ك، ج، ط، د، ت، ب	
الانفجارية 8			ب، ت، د، ط، ض، ك، ق، ج القاهرية
الرخوة 13	ه، ح، غ، خ، ش، ص، ض، ز، س، ظ، ث، ذ، ف.	ه، ح، غ، خ، ش، ص، ض، ز، س، ظ، ث، ذ، ف.	
الاحتكاكية			ث، ح، خ، ز، س، ش، ص، ظ، ع، غ، ف
مابين الشدة والرخوة	ع	ا، ع، ي، م، ل، ن، ر، و	
المتوسطة			و، ي، ل، ر، م، ن
المجهورة 19	د، ا، ع، غ، ف، ج، ي، ض، ل، ن، ر، ط، د، ز، ظ، ذ، ب، م، و	ء، ا، ع، غ، ف، ج، ي، ض، ل، ن، ر، ط، د، ز، ظ، ذ، ب، م، و	
المجهورة 15			ب، ج، د، ذ، ر، ز، ظ، ط، ع، غ، ل، م، ن، و، ي
المهموسة	ه، ح، خ، ك، ش، س، ت، ص، ث، ف	ه، ح، خ، ك، ش، س، ت، ص، ث، ف	

(تابع) جدول صفات الحروف عند القدماء المحدثين

صفات الحروف	سيبويه	ابن جني	في المصر الحديث
[illegible]			ق، ث، ح، خ، س، ش، ص، ظ، ف، ق، ك، هـ
اللا مجهورة اللامهموسة			ء
المطبقة المفخمة	ص، ض، ط، ظ	ص، ض، ط، ظ	ص، ض، ط، ظ
المنفتحة	ء، ب، ت، ث، ج، د، ن، ح، خ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي، ز، س، ش	أ، ب، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي، ت، ث	أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ى
المنحرفة	اللام	اللام	اللام
المكررة	ر	ر	ر
المستعلية		غ، ف، ق، ض، ط، ص، ظ	غ، ف، ق، ض، ط، ص، ظ
المنخفضة		غير المستعلية	غير المستعلية
الصحيحة		ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ	ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ
المعتلة		الألف، والواو، والياء	ا، و، ى

وما نستنتجه من هذه المقارنة المتواضعة لتقسيم صفات الأصوات العربية عند القدماء والمحدثين .

أولا : ان سيبويه وابن جني قد اتفقا في تعريف الحروف الشديدة وتعدادها لكن سيبويه لم يعرف (الحروف الرخوة) وقد وضحه ابن جني في تعريف صريح تبناه اللغويون المحدثون بعده وأطلقوا عليه مصطلح (احتكاكي) .

ثانيا : اتفق سيبويه وابن جني في تسمية الحروف التي بين الشدة والرخاوة بـ (مابين الشدة والرخاوة) لكن سيبويه لم يذكر منها الا حرفا واحدا وهو " العين " أما ابن جني فقد ذكرها كلها وعددها ثمانية . وأطلق عليها المحدثون مصطلح (المتوسطة)

ثالثا : أن المحدثين قد نظروا الى الحروف الشديدة والرخوة وما بينها نظرة واسعة النطاق وميزوا بين أربعة مصطلحات هي الانفجارية والاحتكاكية والمتوسطة والمركبة .

رابعا : بعد دراسة الأصوات المجهورة والمهموسة والشديدة والرخوة والمتوسطة عند القدماء نلاحظ أن التقسيمات جاءت في مجموعها متداخلة ، والتعريفات ليست واضحة وتنقصها الدقة في بعض الاحيان .

خامسا : أن تعريف سيبويه ثم ابن جني للجهر والهمس لا يعتمد على الاهتزازات التي تحدث للأوتار الصوتية أثناء العملية الصوتية أو انعدام هذه الاهتزازات ، وانما يقوم على جريان النفس ورجع

ذلك لعدم معرفة القدماء بتشريح الحنجرة والجهاز الصوتي بصفة عامة وليس ذلك قصورا منهم وانما مرده المستوى العلمي آنذاك الأمر الذي جعل وصفهما غامضا يتصف بعدم الوضوح في تعريفهما .

سادسا : أن العلماء المحدثين يذكرون خمسة عشر صوتا مجهورا ويعتبرون همزة القطع صوتا صامتا لا مهموسا ولا مجهورا . بخلاف القدماء فقد اعتبروها مجهورة .

سابعا : يضيف العلماء المحدثون صوتي (الطاء والقاف) عن الاصوات المهموسة العشرة التي عدّها القدماء ويرجع ذلك للتقدم العلمي بعدما تمكن العلماء من تشريح الحنجرة وادراك ما للوترين الصوتيين من وظيفة خاصة في العملية الصوتية بصفة عامة وفي الجهر والهمس بصفة خاصة .

ثامنا : نلاحظ أن المحدثين أسقطوا من الاصوات الشديدة التي عدها القدماء الهمزة وأضافوا الضاد باعتبار نطقها الحالي .

تاسعا : ان بعض صفات الاصوات اشترك فيها القدماء والمحدثون ولم تكن بينهما الا فروق طفيفة جدا تلك التي نجدها في وصف الأصوات " المنحرفة " التي ينحرف فيها الصوت مع الحرف عند النطق باللام مثلا .

وكذلك الأصوات المكررة وهي التي يجري فيها الصوت لتكرارها وذلك عند النطق " بالراء " مثلا .

عاشرا : ان هناك صفات للأصوات العربية انفرد بها ابن جني ولم يذكرها سيبويه وهي : "الأصوات المستعلية" و"المنخفضة".

أحد عشر: ان ابن جني يقسم الأصوات تقسيما آخر بحسب صفاتها الى "صحيحة ومعتلية" وأنه ينفرد بهذه المصطلحات أحيانا التي لم نجدها عند سيبويه ، ويرى أن جميع الأصوات العربية صحيحة ماعدا (الألف والواو والياء) فهي معتلة .. ومما تجدر الاشارة اليه أن هذه المصطلحات لم تحظ باهتمام كبير عند ابن جني وهناك مصطلحات أخرى لم تحظ بالدراسة أيضا عند القدماء بل أهملت على الرغم من علاقتها الشديدة الاتصال بالأصوات ..

ومن هذه المصطلحات التي سنتحدث عنها الآن :

أ— المقاطع الصوتية ::

نخلص من كل ما مر الى أن القدماء كانوا على قدر كبير من الدقة والعمق في تناول الموضوعات الصوتية ، وعلى جانب أكبر من استيعاب صفات الأصوات وفهم قوانينها واستكناه أسرارها في التطور والنمو ، ولكنهم لم يهتموا بالأمور التي تتصل بالأصوات مباشرة وما يترتب على ذلك من ظواهر ، وكان تصورهم لحدود علم الأصوات ضيقا في عدّة مجالات صوتية ان لم نقل عنها أنها أهملت تماما . ومن المواضيع التي أهملها العرب دراسة "المقاطع الصوتية"

" والنبر " و " التنغيم " فلم يتعرضوا لتعريف المقاطع وأشكالها وأجزائها بل كانت صورة المقاطع ضبابية عندهم وقد رأينا في هذا البحث أن ابن جني حين كان يسمي المخرج الصوتي " مقطعاً ".

وقد دفع اهمال القدماء لدراسة المقاطع المحدثين الى البحث فيها وتعريفها تعريفات متباينة ومتقاربة ومختلفة نذكر منها ما جاء في تعريف تمام حسان للمقطع فيقول : ((والمقاطع تعبيرات عن نسق منظم من الجزئيات التحليلية ، أو خفقات صدرية في أثناء الكلام ، أو وحدات تركيبية ، أو أشكال وكميات معينة))(1)

ثم يشرح تمام حسان ما ورد في تعريفه بقوله : فاذا بحث باحث في المقطع من جهة اعتباره تعبيرا عن نسق منظم من جزئيات التحليل اللغوي فانه يستطيع أن يخصص رمزا للصحيح وآخر للعلة ، وليكن هذان الرمزان (ص ، ع) ، وأن يعبر عن طبيعة النسق في المقطع بترتيبه هذا الرموز فيقول مثلا : ان من الانساق المقطعية نسقا في صورة (ص ع) وآخر في صورة (ص ع ص) وثالثا في صورة (ص ع ع) ، وهلم جرا .

فهذه أنساق منظمة من الرموز لانساق منظمة من الصحاح والعلل .

---

(1) — تمام حسان . مناهج البحث في اللغة . ص 138 .

أما اذا نظرنا الى المقطع باعتباره خفقة صدرية (كما ينظر اليه الموسيقيون غالبا) فان أي رمز كالنقطة والسهم كاف لأن يدل على المقطع في كافة كمياته وأشكاله ، ذلك بأن الذي يهمنا هنا ليس كمية المقطع ولا شكله ولا تركيبه في صورة نسق معين، وانما الدلالة على مقطع أيا كان وبهذا الاعتبار يمكن التعبير عن عدد المقاطع في كلمة مثل (كتب) (فعل ماض ساكن البناء) (ـــ ـــ ـــ) .

ولقد بنى العروضيون من العرب مقاييسهم العروضية بناء على هذه النظرة على مايبدو ، حيث نظروا الى المقاطع باعتبار خفقات صدرية أو وحدات ايقاعية أو شيئا له هذه الطبيعة ووصفوا النظام الايقاعي العروضي باستخدام الاصطلاحين " حركة " و" سكون " . ودلوا على الحركة بشوطة ، وعلى السكون بدائرة ، واعترفوا بثلاث امكانيات ايقاعية كما سيأتي .

(ــ) وتدل على مايساوي (ص ع)
(ــ 0) وتدل على مايساوي (ع ص) أو (ص ع ص) أو (ص ع ع) .
(ــ 00) وتدل على مايساوي (ص ع ع ص) أو (ص ع ص ص) .

أما اذا درسنا المقطع مع النظر الى كونه وحدة تركيبية ورمزنا الى كلمة تركيب بالرمز (ر) صح لنا أن نقول ان في العربية ست وحدات تركيبية هي : ($ر_1$) ، ($ر_2$) ، ($ر_3$) ، ($ر_4$) ، ($ر_5$) ، ($ر_6$)

وتكون في هذه الحالة قد تجاهلنا البحث على تحديد الفروق بين كل وحدة وأخرى . وان كنا نصطنا على هذه الفروق فهو محددة حين فرّقنا بين كل راء والأخرى بحدد صاحبها .

أما اذا درسنا المقاطع مع النظر الى كونها أشكالا وكميات معينة فسيكون لنا في الرمز اليها شأن آخر .
فعلنا نعني بالرمز " ق " كلمة قصيرة ، وبالرمز " م " متوسط وبالرمز " ط " طويل فهذه كميات ثلاث . ثم دعنا نعني بالرمز " ف " كلمة مفتوح ينتهي بعلة وبالملام مقفل ، ينتهي المقطع بصحيح فاذا جاء في نهاية المقطع صحيحان تشكلا ن بالسكون كان الرمز (ل ل) . فاذا فعلنا تتم لنا الكميات الأشكال الآتية للمقاطع العربية .

1 ــ (ق . ل) وهو من الناحية التركيبية : (ع . ص) .
2 ــ (ق . ف) . " " " " " (ص . ع) .
3 ــ (أ . ل) . " " " " " (ص . ع . ص) .
4 ــ (م . ف) . " " " " " (ص . ع . ع) .
5 ــ (ط . ل) . " " " " " (ص . ع . ع . ص) .
6 ــ (ط . ل . ل) " " " " " (ص . ع . ص . ص) .

فالقاف والميم والطاء تدل على كميات ، واللام والفاء تدل على أشكال . ويختار تمام حسان لدراسة المقاطع العربية من وجهة النظر الأولى أي اعتبار المقاطع نمطا من الجزئيات التحليلية ، وواضح من تعريف تمام حسان للمقاطع أنه عرّفها تعريفا فسيولوجيا مراعيا الناحية الفيزيائية لأنّ صوت الحركة انما يمثل قمة الوضوح السمعي ــ وتطرق لأشكال المقاطع وأنواعها قصيرة ومتوسطة وطويلة .

وهناك من عرف المقطع فسيولوجيا بأنه تتابع من الأصوات الكلامية له حد أعلى (صوت حركة غالبا) بين حدين أدنيين من الأسماع [1].

ويعرف الدكتور رمضان عبد التواب المقطع بقوله :

((فالمقطع الصوتي ، هو كمية من الأصوات ، تحتوي على حركة واحدة ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة ففي العربية الفصحى مثلا : لا يجوز الابتداء بحركة ، ولذلك يبدأ كل مقطع فيها بصوت من الأصوات الصامتة [2])) .

ويقول في هذا الصدد ماريوباي :

((فالمقطع على هذا عبارة عن قمة أسماع ، وغالبا ما تكون حركة مضافا اليها أصوات أخرى عادة — ولكن ليس حتما — تسبق القمة أو تلحقها أو تسبقها وتلحقها ، ففي ( ) قمة الأسماع هو : وفي هي : وفي هي : [3])) .

• ويقول كانتينو في تحديده للمقطع الصوتي :

((ان الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التصويت سواء أكان الغلق كاملا أم جزئيا ، هي التي تمثل المقطع [4])) .

---

(1) — أحمد مختار عمر . دراسة الصوت اللغوي . ص 241 .

(2) — رمضان عبد التواب . مدخل الى علم اللغة . ص 103 .

(3) — ماريوباي . أسس علم اللغة . ص 96 .

(4) — كانتينو . دروس في علم أصوات العربية . 191 .

وبتجميع هذه التعاريف التي قيلت في " المقطع " نستطيع أن نقدم من خلالها دراسة عن المقاطع الصوتية موضحين تصورنا للمقطع ، وأنواعه وتصنيفه ، ونظامه من خلال ما عرفناه على جهاز النطق وأعضائه وخروج الهواء .

المقطــــــع الصـــــوتي :

عندما ننطق بكلمة (خرج) ننطقها فيه نوع من التمهل والتأني ونلاحظ ما يحدث للرئتين أثناء هذا النطق ، فسنجد أنهما تعرضتا لثلاث ضغطات من القفص الصدري والحجاب الحاجز ، الأولى عند نطق خ ، والثانية عند نطق ر والثالثة عند نطق ج أمّا عند نطق الكلمة ساكنة الآخر (خرج) فاننا نلاحظ وجود ضغطتين اثنين ، أولهما عند نطق خ ، والثانية عند نطق (رج) ويسمى الأثر السمعي الناتج عن كل ضغطة من هذه الضغطات الصدرية بالمقطع ، وعلى ذلك فان المقطع الصوتي من الوجهة النطقية أو الفسيولوجية البحتة هو عبارة عن دفعة الهواء ، دفعة واحدة ، يتم تشكيلها في الجهاز الصوتي لدى الانسان وينجم عنها صوت واحد ، أو سلسلة متتابعة من الأصوات لا تحوى سوى واحد فقط من أصوات الحركة .

وتصورنا للمقطع هنا هو تصوّر (فوناتيكي) بحت ، وهو تصور عام يمكن أن ينطبق على جميع اللغات وقد رأى فريق من اللغويين أنّ هذا المقطع لا ينبغي أن ينظر اليه على أنه سلسلة متتابعة من الأصوات فقط بل سلسلة متتابعة من الأصوات تؤدى وظيفة معينة في النظام العام للغة من اللغات ومن ثم فقد رأوا في المقطع وحدة فنولوجية يمكن أن تحمل

نغمة واحدة أو درجة واحدة من النبر أو بأنهما وحدة تحتوى على صوت واحد من أصوات الحركة اما وحدة أو مع أصوات صامتة بأعداد معينة و بنظام مميّن (1) .

وقد جمع كثير من الباحثين بين هاتين الوجهتين فرأوا في المقطع الصوتي سلسلة متتابعة من الأصوات تتكون منها أصغر وحدة أدائية ممكنة (2) .

و يعتقد بعض الباحثين أنّه من الضرورى الفصل بين المقطع الصوتي باعتباره أحداثا صوتية منطوقة و بين المقطع باعتباره وحدة تجريدية تشكل عنصرا من عناصر اللغة و بعبارة أخرى الفصل بين مصطلحي (المقطع الفونولوجي) و (المقطع الفونيتكي) ، يقول تمام حسان :

ومن الضرورى أن نعترف بنوعين من أنواع المقاطع أولهما هو المقطع التشكيلي (الفونولوجي) والآخر هو المقطع الأصواتي (الفونيتكي) أما أول هذين فهو تجريدى مكون من حروف ، وأما الثاني فهو أصواتي محسوس مسموع مكون من أصوات و هذه الثنائية في التناول نتيجة حتمية للاعتراف بالحقيقة القائلة :

أنّ كل ما هو تقعيدى ، لا يتحقق دائما في النطق بالضرورة (3) و يقابل تمام حسان مصطلح التشكيل الصوتي بالفونولوجي و بالأصوات (الفونتيمك) .

---

(1) ــ أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوى ، ص . 243 .

(2) ــ راجع : أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوى ، ص . 248 .

(3) ــ تمام حسان ، مناهج البحث ، ص . 141 .

وسنتناول المقطع الصوتي في دراستنا التالية باعتباره سلسلة متتابعة من الأصوات المنطوقة (أى من الناحية الصوتية) كما سنتناوله باعتباره نمطا تركيبيا يدخل في بناء الكلمات العربية (أى من الناحية الفونولوجية) .

المقاطع الصوتية في اللغة العربية :

أنواع المقاطع الصوتية :

من المعلوم أنّ أصوات الحركة في اللغة العربية لا يمكن أن تقع في بداية المقطع الصوتي وذلك على عكس الأصوات الصامتة التي تبدأ بها المقاطع ويمكن أن تنتهي بها أيضا واذا نظرنا الى الامكانيات التعبيرية فيما يتعلق بالتكوين المقطعي للغة العربية فاننا سنجد الأشكال التالية من المقاطع (1) .

1 — ص + ح مثل المقاطع التي تتكون منها كلمة (دخل) .
2 — ص + ح ح مثل المقطع الأول من كلمة (داخل) .
3 — ص + ح + ص مثل المقطعين اللذين تتكون منهما كلمة (دخل) .
4 — ص + ح ح + ص مثل المقطع الذى تتكون منه كلمة (جال) في حالة الوقف .
5 — ص + ح + ص ص مثل المقطع الذى تتكون منه كلمة (شدّ) في حالة الوقف .
6 — ص + ح ح + ص ص مثل المقطع الذى تتكون منه كلمة (ضالّ) في حالة الوقف .

---

(1) — ص = صوت صامت   ح = حركة قصيرة
ح ح = حركة طويلة   ص ص = صوتين صامتين

ولقد أضاف تمام حسان الى هذه المقاطع نوعا آخر يتكون من ح + ص ومثل له بهمزة الوصل أو بأداة التعريف ويرى أن هذا المقطع شكيلي فونولوجي غير أصواتي ، لأن الأصوات لا تعترف بأن تبتدأ المجموعة الكلامية بحركة ولذا تعمد الى همزة تشفعها قبل هذه الحركة ، وتتخذها أساسا للنطق بها ، ثم تعتبر هذه الهمزة من بنية المقطع .(1)

أن الحجة التي ساقها تمام حسان لاعتبار همزة الوصل أو أداة التعريف مقطعا يتكون من حركة يعقبها صوت صامت هي حجة واهية في تصوري لأنه اذا كان نظام اللغة يقتضي سكون فاء الفعل واطراح همزة الوصل فمن باب أولى ألا يعتد بكسرة هذه الهمزة لأنها تابعة لها ، والأولى أن يقال هنا ان النظام المقطعي للغة العربية يأبى أن تبتدأ الكلمة بمقطع يتكون من ص + ص + ح كالمقطع الأول في (خروج) ومن هنا توسلت العربية بهمزة الوصل المكسورة ليصبح لدينا مقطعان هما ص + ح + ص (أخ) ، ص + ح + ص (رج) ثم تأتي بقية المقاطع بعد ذلك . أي أن النظام الفونولوجي لا يقتضي وجود مقطع يتكون من ح + ص وانما وجود مقطع يتكون من ص + ص + ح وقد تخلصت العربية من هذا اللون المقطعي لأن الذوق العربي يأبى التقاء ساكنين خاصة في أول الكلمة .

وبالنظر الى أنواع المقاطع التي ذكرنا نستطيع تصنيف المقاطع الصوتية من حيث طبيعتها الصوتية الى :

---

(1) — تمام حسان . مناهج البحث . ص . 145 .

1 — مقاطع صوتية مفتوحة و هي التي تختتم بصوت من أصوات الحركة
وذلك مثل النوعين الأول والثاني .
أي مقطع قصير مفتوح = صامت + حركة قصيرة مثل (خ ر ج)
مقطع طويل مفتوح = صامت + حركة طويلة مثل (خا ر ج) .

2 — مقاطع مغلقة و هي التي تختتم بصوت صامت مثل بقية المقاطع
ويمكن تقسيم هذه المقاطع من حيث الكم الى :

1 — مقاطع قصيرة ويمثلها النوع الأول .
2 — مقاطع متوسطة ويمثلها النوعان الثاني والثالث .
3 — مقاطع طويلة وتمثلها الأنواع من الرابع الى السادس .

نظام المقاطع في اللغة العربية :

تختلف المقاطع المستخدمة من لغة الى أخرى لأنّ لكل لغة نظامها الخاص بها . ونظام العربية تتحكم فيه حالتان حالة الوصل وحالة الوقف .

ففي حالة الوصل يخضع النظام الى :

1 — يبدأ المقطع دائما بصوت صامت واحد ، ويسمى هذا الصوت بداية المقطع .
2 — يلي أحد أصوات الحركة (القصيرة أو الطويلة) بداية المقطع أي أن صوت الحركة يشكل دائما العنصر الثاني في المقاطع العربية .
3 — يغلق المقطع بصوت صامت واحد أو يظل مفتوحا ويمكننا أن نعبر

عن هذه القواعد الثلاث بطريقة الرموز على النحو التالي :

ص + ح (ص) وتقرأ هذه الرموز هكذا ...

يتكون المقطع في حالة الوصل اما من صوت صامت تعقبه حركة (طويلة أم قصيرة) ، واما من صوت صامت تليه حركة يعقبها صوت صامت .

وأما في حالة الوقف فان اللغة العربية تسمح بأن يختم المقطع بصوتين صامتين و يمكن التعبير عن ذلك بالطريقة الرمزية التالية :

المقطع الصوتي العربي في حالة الوقف = ص + ح (ص أو ص ص)

ومعنى هذا أن المقطع الموقوف عليه اما أن يختم بحركة قصيرة أم طويلة واما بصوت صامت واحد أو صوتين صامتين .

ونستخلص من هذا أن المقاطع الصوتية من النوع الخامس والسادس لا ترد في العربية الا في حالة الوقف أما بقية المقاطع فانها تأتي في الوصل كما تأتي في الوقف .

وبذلك تكون المقاطع الثلاثة الأولى هي أكثر المقاطع شيوعا .

ولقد أدرك اللغويون العرب أن للغة العربية نظاما خاصا فيما يتعلق بتوالي حروفها وحركاتها وهو ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح (نظام توالي المقاطع) حين قرروا أن العرب قد أسكنت لام الفعل الماضي عند اتصاله بضمائر الرفع لأنهم كرهوا توالي الأمثال فيما يشبه الكلمة الواحدة و يعني هذا بعبارة أخرى أن اللغة العربية تأنف من توالي أربع مقاطع من النوع الأول ومن ثم لجأت الى تسكين لام الفعل الماضي الذي كان حقها البناء على الفتح فقالوا : ضربت بدلا (ضربت) وأقصى ما تسمح به العربية هو توالي ثلاث مقاطع من هذا النوع نحو : يقتلة

وما نخلص اليه أن مصطلح نظام توالي المقاطع في اللغة العربية مازال بحاجة الى مزيد من البحوث والدراسات ولقد أشار ابراهيم أنيس (أن اللغة العربية لا تسمح بتوالي مقطع من النوع الثالث (ص + ح + ص) يليه مقطعان من النوع الثاني (ص + ح ح) في كلمة واحدة فاذا صادفنا كلمة توالت مقاطعها على هذا النحو أدركنا أنها غير عربية . وذلك مثل (برنابا)[1] .

وأن أهمية دراسة المقاطع لا تقتصر على معرفة التكوين المقطعي للغة ومعرفة الأصيل من الدخيل بل تتجاوز ذلك الى معرفة مواطن النبر في الكلمات وسنتحدث فيما يلي الى ظاهرة النبر في اللغة العربية .

ب — النبـــر :

يعني النبر ابراز مقطع من المقاطع في الكلمة أو الجملة عن طريق قوة ضغط الهواء المصاحب للعملية الصوتية واستمراره وارتفاعه . ويلاحظ أن أعضاء النطق تكون أكثر نشاطا عند النطق بهذا المقطع المنبور .

وقد اختلف آراء العلماء ، حول وجود النبر في العربية الفصحى ومكانه في الكلمة ، فبينما يقول بروكلمان : ((في اللغة العربية القديمة يدخل نوع من النبر ، تغلب عليه الموسيقية ، ويتوقف على كمية المقطع فانه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها ، حتى يقابل مقطعا طويلا

---

(1) — ابراهيم أنيس . الأصوات اللغوية . ص . 169 .

فيقف عنده ، فاذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل ، فان النبر يقع على المقطع الأول منها[1])) .

يرى "برجستراسر" ((أنه لا نص نستند عليه في اجابة مسألة كيف كان حال العربية الفصيحة في هذا الشأن . ومما يتضح من اللغة نفسها ومن وزن شعرها ، أن الضغط لم يوجد فيها أو لم يكن يوجد . وذلك أن اللغة الضاغطة يكثر فيها حذف الحركات غير المضغوطة وتقصيرها وتضعيفها ومد الحركات المضغوطة وقد رأينا أن كل ذلك نادر في اللغة العربية .

واذا نظرنا الى اللهجات العربية الدارجة ، وجدنا فيها كلها ـ فيما أعرف ـ الضغط وهو في بعضها قوي ، وفي بعضها متوسط غير أنها تختلف في موضعه من الكلمة في كثير من الحالات فمن المعلوم أن المصريين يضغطون في مثل : (مطبعة) المقطع الثاني وغيرهم يضغطون الأول ، فلو أن الضغط كان قويا في الزمان العتيق لكانت اللهجات ـ على أغلب الاحتمال ـ حافظت على موضعه من الكلمة ولم تنقله الى موضع آخر[1])) .

ويعتقد " هنري فليش " أن نبر الكلمة كان مجهولا تماما لدى اللغويين العرب ، لأنه لم نجد له اسما بين مصطلحاتهم[2] .

---

(1) ـ برجستراسر ، التطور النحوي ، ص 46 .

(2) ـ هنري فليش ، العربية الفصحى ، ص 49 .

ويعلّق الدكتور رمضان عبد التواب عن رأي برجستراسر هذا فيقول :
أما أنّه ليس لدينا نص نعتمد عليه في معرفة حالة النبر في العربية القديمة ، فهذا صحيح ، وأما أنّ العربية ، لم تكن تنبر ، فاننا نشك في ذلك الذي قاله برجستراسر ، وهو يغفل في كلامه التطور اللغوى وتأثير الشعوب المختلفة ، التي غزتها العربية ، بعاداتها القديمة في النبر ، وأثر ذلك في اختلاف موضعه من الكلمة ، كما يبدو الآن ، في تعدد طرق النبر في مثل كلمة : (مطبعة)[1] .

أما الدكتور ابراهيم أنيس ، فانه يسلم بأنه (ليس لديها أثره في تطويل بعض حركات الكلمة ، ويسمّيه ابن جني ((مطل الحركات)) فيقول : مثلا : ((وحكى الفراء عنهم : أكلت لحما شاة : أراد : لحم شاة . فمطل الفتحة ، وأنشأ عنها ألفا[2]) .

كما يقول كذلك : ((وكذلك الحركات عند التذكر . . . عند قولهم : عند التذكر مع الفتحة في قمت ، قمتا ونحو ذلك مع الكسرة : أنتي ، أي أنت ومع قمتو : في قمت . . . . النسخ[3])) .

وللدكتور خليل ابراهيم العطية تعليق حول الآراء المختلفة في وجود ظاهرة " النبر عند العرب قديما . فيقول :

---

(1) — رمضان عبد التواب . مدخل الى علم اللغة . ص . 106 .
(2) — ابن جني . الخصائص . ج : 3 . ص 123 .
(3) — نفسه . ج : 3 . ص . 129 .

((أما انكار معرفة اللغويين العرب للنبر بادعاء جهلهم لمصطلحه – على رأي فليش – فانه مردود بعدّهم الهمز والنبر شيئا واحدا ، دالا على الضغط . وهو مؤدى توضيح ابن منظور لمعنى الهمز بأنه ((الغمز والضغط ومنه الهمز من الكلام لأنه يضغط))(1) .

وفسّر النبر بكونه : (ارتفاع الصوت ، يقال : نبر الرجل نبرة اذا تكلم بكلمة فيها علو)(2) .

ولكون "النبر" يعني الضغط على المقاطع من جراء الجهد العضلي الذي يبذله المرء عند النطق بالمقطع المنبور وهمز في حقيقته "ضغط" استشعره العرب من خلال النطق بالهمزة ، مع عدّهما مترادفين .

ولا مجال لتصديق برجستراسر في أن العربية لم تكن تعرف النبر في مقاطع الكلام ، وبين أيدينا نص لابن جني شاهد على وجوده فيها . وبالتالي معرفة العلماء العرب له في جوانب أخرى سيأتي بيانها .

أما نص ابن جني : وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم : سير عليه ليل ، وهم يريدون "ليل طويل" وكأن هذا انما حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها . وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من "التطويح" و "التطريح" و "التفخيم" و "التعظيم" ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك(3) .

---

(1) – خليل ابراهيم العطية . في البحث الصوتي عند العرب . ص . 65 .
(2) – مادة (ن . ب . ر) ابن منظور . لسان العرب . ص .
(3) – ابن جني . الخصائص . ج : 2 . ص . 370 .

أما اشارات ابن جني لما سمّاه " بالتطويح " و " التطريح " و " التفخيم " و " التعظيم " أو قوله : وتتمكن من تمطيط اللام واطالة الصوت بها وعليها وتمكن الصوت باللسان وتفخمه فيستغنى بذلك عن وصفه .

يقول الدكتور خليل ابراهيم العطية : فتلك دلالة بارعة مدركة لظاهرة " النبر " و " التنغيم " وان لم يصرح بهما .
وتشير ألفاظ : التطويح والتطريح والتفخيم من خلال معانيها الى رفع الصوت وانخفاضه . والذهاب به كل مذهب ، وعلى هذا — اشارة الى النبر — وليس النبر كما سبق بيانه .
ثم يقول الدكتور خليل ابراهيم العطية : واذا لم يكن هذا كافيا — وما أحسبه كذلك — فان معالجة اللغويين العرب لموضوع ما سمّاه سيبويه " بالاشباع "(1) ودعاه ابن جني " مطل الحركات "(2) فهم واستيعاب لمسألة الضغط على حركات الكلمة لتطول كميتها الصوتية .(3)

والحقيقة أنّ مصطلح " النبر " — بمعناه الحديث — لم يكن موجودا لدى القدماء وانما هو مصطلح حديث ، ولكن القدماء

---

(1) — سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص . 202 .

(2) — ابن جني . الخصائص . ج : 3 . ص . 123 — 129 .

(3) — خليل ابراهيم العطية . في البحث الصوتي عند العرب . ص . 65 و 68 .

خصصوه في " الهمز " ، فاذا قالوا مثلا (قريش لا تنبر) فالمعنى لا تهمز[1] .

وقال سيبويه عن الهمزة " نبرة في الصدر تخرج باجتهاد "[2] والكلمة الجديدة مصطلح يتعدى الهمز . فهي تشتمل على ما هو مهموز وما هو غير مهموز ، وهي تقابل لفظة (l'accent) وقد أدخل علم اللغة الحديث باب المهموز في المضغوط وفيه أن الكلمة مكونة – من حيث نطقها – من مقاطع ، وتنتهي المقاطع بأصوات مضغوطة . والباحثون في علم الأصوات الحديث مهتمون في أن يضعوا مقابلا للمصطلحات الصوتية الجديدة ، ومنها النبر (Accent Stress) فيعرفه الدكتور تمام حسان بأنه : ((وضوح نسبي لصوت أو مقطع اذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام))[3] .

ويقول الدكتور بشر : ((معنى هذا أن المقاطع تتفاوت فيما بينها في النطق قوة وضعفا ، فالصوت أو المقطع المنبور ينطق ببذل طاقة أكثر نسبيا ، ويتطلب من أعضاء النطق مجهودا أشد . لاحظ الفرق مثلا في قوة النطق وضعفه ، بين المقطع الأول في " ضرب " والمقطعين الآخرين (ض . ر . ب) تجد (ض) ينطق بارتكاز أكبر من زميليه في الكلمة نفسها))[4] .

(1) ابن منظور . لسان العرب . ج 1 . ص 16 و 40 .
(2) سيبويه . الكتاب . ج 2 . ص 147 .
(3) تمام حسان . مناهج البحث . ص 160 .
(4) كمال بشر . علم اللغة العام . الأصوات . ص 210 .

ويوضح محمود السعران مفهوم مصطلح " الارتكاز " بقوله :

الارتكاز هو درجة قوة النفس التي ينطق بها صوت أو مقطع . وليس كل صوت أو مقطع ينطق بنفس الدرجة . فدرجة قوة النفس في نطق الأصوات أو المقاطع المختلفة تتفاوت تفاوتا بينا (1) .

وعلى هذا الأساس يعرف كانتينو النبر :

((يعني باشباع مقطع من المقاطع بأن تقوى اما ارتفاعه الموسيقي أو شدته أو مداه أو عدة عناصر من هذه العناصر في نفس الوقت وذلك بالنسبة الى نفس العناصر في المقاطع المجاورة (2) .))

النبر عند المحدثين : علو في بعض مقاطع الكلمة (بالقياس الى المقاطع الأخرى) يكون مصحوبا أحيانا بارتفاع في درجة الصوت ، وينتج هذا العلو من زيادة اندفاع الهواء الخارج من الرئتين حين يشتد تقلص عضلات القفص الصدري .

أما ارتفاع درجة الصوت ، فتنتج من ازدياد النشاط العضلي في الحنجرة عند نطق المقطع المنبور (3) .

المقصود بمصطلح المقطع المنبور ذلك المقطع أو (الصوت) الذي يلقى وضوحا سمعيا اذا قورن بغيره من المقاطع أو الأصوات المجاورة في الكلمة أو الكلام (4) .

---

(1) — محمود السعران . علم اللغة . ص . 206 .

(2) — كانتينو . دروس في علم أصوات العربية . ص . 194 .

(3) — داود عبده . دراسات في علم أصوات العربية . ص . 104 .

(4) — خليل ابراهيم العطية . في البحث الصوتي عند العرب . ص . 62 .

وبملاحظة التعاريف المذكورة وفي ضوء النطق في الفصحى يمكننا أن نحدد مواطن النبر وذلك على النحو التالي :

1 — يقع النبر على المقاطع الطويلة في الكلمات التي تشتمل عليها أي أنّ الكلمات التي تحتوي أي مقطع من الأنواع الرابع والخامس والسادس فان النبر فيها يكون على هذه المقاطع (1) . فكلمة : حاجّ ، ودابّة يكون النبر فيهما على المقطع الأول . أما في الكلمات " مستقر " ، " نستعين " ، " ضالّ " ، فانّ النبر يكون على المقطع الأخير .

2 — يقع النبر على المقطع الذي قبل الأخير اذا لم يسبق بمقطعين متواليين من النوع الأول ولم يكن الأخير طويلا مغلقا وذلك مثل المقطع الثاني في : يعادي أو شاركَ .

3 — اذا سبق المقطع الذي قبل الأخير بمقطعين أو بثلاث مقاطع متوالية من النوع الأخير فان النبر حينئذ يكون على المقطع الأول مثل : نبر المقاطع الأولى في الكلمات : كتب — فسح . . .

وما يستنتج من ترصد مواقع النبر في العربية أنّ للنبر أنواعا مختلفة :

1 — النبر الأساسي : أو الرئيسي : وهو الذي أشرنا الى مواضعه فيما سبق ، وهو الغالب في معظم اللغات .

---

(1) — راجع : ص 386 . من هذا البحث .

2 ـ النبر الثانوي : وهو الذي لا يبلغ معه نشاط أعضاء النطق مبلغ نشاطها مع النبر الأساسي وذلك أنه حين تتعدد مقاطع الكلمة فان المتكلم قد يحتاج الى ابراز أكثر من مقطع وهنا نجد مقطعين منبورين أي أنهما يبرزان بصورة أكثر من غيرهما من المقاطع وهنا يسمى المقطع المقطع الذي هو أكثر نبرا بأنه موطن النبر الأساسي ، والثاني بأنه موطن النبر الثانوي .
وذلك كما في (عاشرهن بالمعروف) حيث وقع النبر الأساس على المقطع الذي قبل الأخير ، والثانوي على المقطع الأول (الرابع قبل الأخير) .

3 ـ نبر الكلمة : نبر يقع على مقطع من مقاطع الكلمة ويختلف موضعه باختلاف اللغات .

4 ـ نبر الجملة : يراد به زيادة في نبر الكلمة من كلمات الجملة لاظهار أهمية هذه الكلمة في مضمون الجملة .

5 ـ النبر الثابت : وفيه يلتزم مقطع معيّن من الكلمة ليكون منبورا كاللغة الفرنسية الحالية يقع النبر على المقطع الأخير من الكلمة .

6 ـ النبر المتنقل : وفيه ينتقل النبر من موضع الى آخر من الكلمة على حسب تصريفها .

7 ـ نبر الهمز : هو توتر حنجري عند النطق بصوت اللين يسمع كأنه همز . وقد رويت هذه الظاهرة عند البدو قديما . كما تسمع الآن لدى بعض البدو ومن أمثلتها القديمة نطق

" المألم " في المالم .

8 ـ نبر الاطالة : علامة خطية توضع (ــ) فوق حرف اللين دلالة على طوله نحو (frère) أو للتفرقة بين كلمتين نحو (ou) بمعنى أو و (où) بمعنى أين .

9 ـ النبر العروضي : نظام من النبر يقع على بعض مقاطع محدودة في انشاء الشعر و يختلف باختلاف اللغات وفقا لقواعد العروض .

وفي الخلاصة نقول ان النبر هو من أهم الوحدات الصوتية الأدائية التي تقوم بوظائف مختلفة . اذ يترتب على اختلافه في كثير من اللغات اختلاف معاني الكلمات ، أما في اللغة العربية فان للنبر وظائفه الصرفية والنحوية مثال ذلك عندما نقول : " ما عندي " فان الكلام يحتمل النفي والاثبات وفقا لاختلاف موضع النبر .

التفخيم :

انّ التفخيم هو المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع (= الصعود) والانخفاض (= الهبوط) في درجة الجهر في الكلام . وهذا التغير في " الدرجة " يرجع الى التغير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين هذه الذبذبة التي تحدث نغمة موسيقية يطلق عليها مصطلح " التفخيم " فالتفخيم يدل على العنصر الموسيقي في الكلام ، أي على لحن الكلام (1) .

وقد عرّف قدماء العرب مصطلح (التفخيم) يقول ابن جني : ((وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها . وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم : سير عليه ليل ، وهم يريدون : ليل طويل كما سبق ذكره (2))) .

وأنت تحس هذا من نفسك اذا تأملته . وذلك أن تكون في مدح انسان ، والثناء عليه فتقول : كان والله رجلا ، فتزيد في قوة اللفظ ب (الله) هذه الكلمة ، وتتمكن في تمطيط اللام واطالة الصوت بها وعليها ، أي رجلا فاضلا أو كريما أو نحو ذلك .

وكذلك تقول : سألناه فوجدناه انسانا ! وتمكن الصوت بانسان وتفخمه ، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك : انسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك .

---

(1) — محمود السعران . علم اللغة . ص . 210 .

(2) — راجع : ص . 397 . من هذا البحث .

وكذلك ان ذممته ووصفته بالضيق فقلت : سألناه وكان انساناً !
وتزوى وجهك وتقطبه ، فيغني ذلك عن قولك : انساناً لئيماً أو مبخلاً أو
نحو ذلك[1] .

ويحلل الدكتور خليل ابراهيم العطية : نص ابن جني هذا بقوله :

ويمكننا من تحليل النص ، الافادة من مسائل كثيرة منها : اشارته
لقضية (الحذف) في الكلام ، لقرينة حالية ، تستدعيها ظروف الكلام ومقامه
وهو ما يعرف بسياق الحال . وانظر د . الراجحي فقه اللغة في
الكتب العربية الذي يشير الى ظاهرة (التنغيم) بشكل جلي[2] .

أما اشارات ابن جني لما سمّاه بالتطويح والتفخيم والتعظيم أو قوله :
وتتمكن من تمطيط اللام واطالة الصوت بها وعليها . . . وتمكن الصوت
بانسان وتفخيمه فتستغني بذلك عن وصفه فدلالة بارعة مدركة لظاهرتي
النبر والتنغيم ، وان لم يصرّح باسميهما .

والتطويح فيهما من ((طوح الشيء اذا طوله ورفعه وأعلاه)) وما
التفخيم الا ظاهرة صوتية تحدث من حركات عضوية تغيّر من شكل الفراغات
بالقدر الذي يعطي الصوت هذه القيمة الصوتية الضخمة كما قال بحق
الدكتور تمام حسان[3] .

---

(1) ـ ابن جني . الخصائص . ج : 2 . ص . 370 ـ 371 .
(2) ـ الراجحي . فقه اللغة . ص . 167 .
(3) ـ تمام حسان . مناهج البحث في اللغة . ص . 9 0 .

وتفسير مصطلحات التطويح والتطريح والتفخيم من خلال معانيها اللغوية الى رفع الصوت وانخفاضه ، والذهاب به كل مذهب ، وهي على هذا — اشارة الى (النبر) ، وليس النبر — كما سبق بيانه — غير عملية عضوية يقصد منها ارتفاع الصوت المنبور وانخفاضه .
كما أن تمطيط الكلام وزوي الوجه وتقطيبه مظهر من المظاهر التي تستدعيها ظاهرة التفخيم .

ثم يعلق : واذا لم يكن هذا كافيا — وما أحسبه كذلك — فان معالجة اللغويين العرب لموضوع ما سماه سيبويه "بالاشباع"(1) ودعاه ابن جني (مطال الحركات)(2) فهم واستيعاب لمسألة الضغط على حركات الكلمة لتطول كميتها الصوتية ، فتصبح الكسرة ياء ، والضمة واوا ، والفتحة ألفا كما لاحظ الدكتور رمضان عبد التواب(3) كما أن ايثارهم الاعراب على المجاورة ، كما وجد الدكتور تمام حسان(4) لا يخرج عن كونه داعيا موسيقيا اقتضى المناسبة بين المتجاورين ، فأغنت عندهم قرينة وهما معنوية عن قرينة المطابقة في العلاقة الاعرابية ، وهي علاقة لفظية ، ولا شك أنها مظهر من مظاهر التفخيم في العربية .

---

(1) — سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص . 202 .
(2) — ابن جني . الخصائص . ج : 3 . ص . 123 — 129 .
(3) — رمضان عبد التواب . المدخل الى اللغة . ص . 108 .
(4) — تمام حسان . اللغة العربية معناها ومبناها . ص . 234 .

ومما يقوله أن التنغيم يدل على معان مختلفة للجملة الواحدة ، كنطقنا مثلا ، لا باسم ، للدلالة على النفي أو التهكم أو الاستفهام وغير ذلك والتنغيم يفرّق بين الجمل الاستفهامية والخبرية . في مثل (شفت أخوك) فإنك تلاحظ نغمة الصوت تختلف في نطقها للاستفهام عنها عند نطقها للاخبار .

كما يبيّن التنغيم المشاعر الانسانية مثل الفرح والغضب ، والنفي والاثبات والتهكم والاستهزاء والاستغراب .

وتسمى النغمة صاعدة اذا تم صعودها من أسفل الى أعلى على المقطع الذي وقع عليه النبر .
والنغمة هابطة اذا تم نزولها من الأعلى الى أسفل على آخر مقطع وقع عليه النبر .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن العلاقة بين النبر والتنغيم وثيقة اذ لا يحدث (تنغيم) دون (نبر) للمقطع الأخير من الجملة التي تقع ضمنها الكلمة .

والتنغيم في اللغة العربية يعمل فيها على مستوى الجملة وليس على مستوى الكلمة .

وهكذا يفرق بين معنى الجملة (ظهر الحق) اذا نطقت بتنغيم هابط تدل على التقرير . أو بنغمة صاعدة لتدل على الاستفهام .

ويقوم التنغيم في الحال السابق بوظيفة نحوية اذ تستقل وحدها

بالتمييز بين التركيبين التقريري والاستفهامي دون اضافة أي أدوات أو أسماء تفيد الاستفهام .

و للتنغيم وظائف أخرى منها الوظائف الانفعالية . وبذلك يعد التنغيم جزءاً من النظام النحوي للغة (1).

و هو ظاهرة موقعية و تحل مشكلة تطبيق نظام التنغيم في النحو على السياق الاستعمالي حين تتعارض قواعد النظام مع مطالب السياق ، و ثمة ظواهر أخرى تؤثر في السياق و تحدث فيها تغيرات صوتية بسبب تأثير الأصوات بعضها ببعض و هي ما نتعرض اليه في الفصل التالي .

هذا و بعد أن ألممنا بصفات الأصوات العربية العام منها و الخاص وقد تبين لنا فيما أوردنا ، وفرة، ما قدمه البحث الصوتي عند العرب وأنّ ما قدموه فيها لا يختلف كثيراً عما عرفه البحث الحديث في علم الأصوات مع اختلاف الوسائل يجدر بنا أن نعرض أهم النتائج التي أسفرت عليها دراسة المصطلحات الخاصة بصفات الأصوات العربية في هذا الفصل :

— من خلال استقرائنا لمصطلحات الصفات العامة لأصوات العربية تبيّن لنا : أنّ العرب عرّفوا مصطلحي " الجهر و الهمس " بحسب جريان الصوت و منعه الا أنهم أغفلوا الاشارة الى الوترين الصوتيين .

---

(1) — محمد مطلوح . دراسة السمع و الكلام . ص . 260 .

— اشارتهم الى تمكن الصوت المجهور وقوته المفهوم من (اشباع الاعتماد) وضعفه في المهموس .

— الاعتماد على جريان النفس في تمييز المجهور ومنعه أو حبسه أو انحصاره في المهموس .

ان اشارتهم الى جريان الصوت ومنعه ما هي الا تأكيد لمعرفتهم بدور الرئتين في العملية الصوتية ، واذا كان سيبويه قد اكتفى بالالمام الى خروج الصوت من الصدر ، فان ابن جني طوّر هذه الملاحظة بالاشارة الى مصطلح صوتي آخر وهو " الصدى " .

— توصل العرب الى أنّ طريقة التحكم في مجرى الهواء هامة في انتاج الصوت ، وقد قسموا الاصوات على أساسها الى شديدة ورخوة ومتوسطة ، ووصفوا بأصوات قائمة بأصوات كل نوع بطريقة يوافقهم عليها في جملتها التحليل الصوتي الحديث .

— عرف قدماء العرب التقسيم الذي عرفه المحدثون فيما سمي " بالأصوات الصحيحة والمعتلة " أو " الصوامت " والحروف اللينة "المصوتة" فعدّ معظمهم أصوات العربية عدا الألف والياء والواو من الصنف الاول وعدّوا الأخرى أصوات مدّ ولين .

— اهتدى العرب الى السمات الخاصة التي تميّز بعض الاصوات في اللغة العربية مثل اللام ووصفوها بأنها حرف منحرف ، والراء وصفوها بأنها حرفا مكرر . كذلك ميزوا في أصوات الحلق

بين الفتحة والألف من ناحية والكسرة والياء من ناحية أخرى .

— ولم يكتف العلماء العرب بتقسيم الأصوات الى مصطلحي (الصوامت والصوائت) وانما درسوا كل ما يتعلق بأصوات اللين من حيث طبيعتها ومراتبها وصلة الحركات بأصوات الواو والياء والألف ويبدو أنهم توصلوا الى كون الحركات أجزاء من الحروف عن طريق دراسة (الاشباع) الذى أطلق عليه ابن جني مصطلح (مطل الحركات) وملاحظتهم أن الضمة متى أشبعت صارت واوا والفتحة متى أشبعت صارت ألفا ، والكسرة متى أشبعت صارت ياء .

وقد قادهم الاستقراء الى بيان مراتب الحركات في القوة والضعف فالفتحة في رأى سيبويه أخف من الضمة والكسرة ، كما أن الكسرة أخف من الضمة .

— لم يكتف علماء العربية القدامى بالاشارة الى مصطلح (الحركات) وما اتصل بها بل اشاروا الى بعض الحركات القصيرة للغاية التي نجدها في مباحث ، الامالة التي أطلقوا عليها مصطلحات عديدة مثل (الاجناح) و (البطح) و (الاضجاع) و (الكسر) .

وهي عند المحدثين : تصنف الى مصطلحات عرفت بالامالة الشديدة والمتوسطة ، والضعيفة ، أوامالة صغرى ، وكبرى والروم والاشمام ، والاختلاس . عند النحاة والمقرئين .

— وفي صفات الأصوات الخاصة انفرد العرب القدماء بمصطلحي " الذلاقة والاصمات " وخصاهما بمميزات لم يعرفها الباحثون المحدثون .

وفصل العرب الأصوات المطبقة عن غيرها وهي الأصوات المفخمة التي يشترك مؤخر اللسان في النطق بها وذكروا أنها هي الصاد ، والضاد والطاء والظاء .

لكنهم أغفلوا بيان العلة بين الاطباق وبين التفخيم لأن اللسان فيهما يتخذ شكلا واحدا وهو " التقعر " .

— أهمل العلماء العرب القدماء دراسة (المقاطع) وأشكالها وأجزائها اهمالا تاما ، وقد ارتأينا أن ابن جني كان يسمي المفتوح مقطعا الأمر الذى دفع المحدثين الى البحث فيها وتصنيفها الى (مقاطع تشكيلية) و (مقاطع صوتية) صنفوها الى :

مقاطع طويلة مفتوحة .

ومقاطع طويلة مقفلة .

ومقاطع قصيرة .

وعرفوا المقطع بأنه العلم الذى يدرس البناء المقطعي للغة ويختلف من لغة الى أخرى .

— كما أهمل العرب القدماء (النبر) اهمالا تاما ولم يعيروه توضيحا بخلاف المحدثين فقد اهتموا بالنبر والتنغيم . وقسموا النبر الى ثلاثة أنواع أطلقوا عليها مصطلحات تعرف بالنبر الرئيس والثانوى والضعيف ، كما عرفوا " التنغيم " وهو النغمة عند نوعان نغمة صاعدة وأخرى هابطة . كما أطلق المحدثون مصطلح علم الأصوات التشكيلي الفونولوجي على العلم الذى يتناولهما بالدراسة .

الفصل الخامس

مصطلحات التغيرات الصوتية

مصطلحات التغيرات الصوتية :

سبق أن ذكرنا من الصفات الفارقة للاصوات " صامتة " كانت أم " حركات " انما يتحقق عند ما ننظر الى كل منها بمفرده بعيدا من السياق أي عما يجاورها من أصوات أخرى ، ويعني النظر الى الصوت بمفرده بعيدا عن السياق ، أي أن هذا الصوت يتحقق وفقا لمقتضيات النظام الصوتي للغة العربية باعتباره وحدة صوتية قائمة بذاتها ولها صفاتها المميزة لها عما عداها ، وذلك كأن تتصف " الباء " بالشفوية والشدة والجهر ، فاذا حدث أن فقدت " الباء " احدى هذه الصفات كان هذا استجابة لمقتضيات السياق وذلك كما في " ركتب " حيث اقتضى الوقف وهو ظاهرة من ظواهر السياق أن تفقد الباء صفة الجهر ، وهناك ظواهر أخرى للسياق نذكرها بعد حين :

وتتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام فحين ينطق المرء بلغته نطقا طبيعيا لا تكلف فيه ، نلحظ أن أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في البعض الآخر ، كما نلحظ أن اتصال الكلمات في النطق المتواصل قد يخضع أيضا لهذا التأثر على أن نسبة التأثر تختلف من صوت الى آخر .

فمن الأصوات ما هو سريع التأثر يندمج في غيره أكثر مما قد يطرأ على سواه من الأصوات ، ومجاورة الأصوات بعضها لبعض في الكلام المتصل ، هي سر فيما يصيب بعض الأصوات[1] .

---

(1) ـ ابراهيم أنيس . الأصوات اللغوية . ص . 173 .

فعملية التأثير و التأثر هذه التي تقع بين الأصوات اللغوية هي مصدر التغيرات الصوتية التي تطرأ على الأصوات اللغوية عند النطق بها نتيجة أسباب متعددة .

ونعني بمصطلح " التغيرات الصوتية " " تلك الاختلافات والفروق التي يدركها السامع في أثناء سماعه للصوت الواحد في عدة مواقع من الكلمة أو منطوقا من قبل عدة أشخاص .

وتنقسم التغيرات الصوتية الى قسمين أساسيين :

" تغيرات غير مشروطة " ، و " تغيرات مشروطة " .

أما التغيرات غير مشروطة : فهي تلك التغيرات التي تحدث مع تطور الكلام ، وفي ((التغيرات الملحوظة في أصوات المستوى اللغوي الواحد بغض النظر عن السياق الصوتي)) (1) .

وهذه التغيرات هي التي آثر المشتغلون بعلم اللغة الحديث تسميتها بالقوانين مثل تلك التي توضح المقابلات الصوتية بين العربية الفصحى و اللهجات العربية (2) .

ومن الأمثلة على ذلك نطق الحروف العربية مابين الأسنانية وهي أصوات (الذال ، والثاء ، والظاء) وفي اللهجات العامية العربية الحديثة أسنانية فالثاء تحولت الى تاء لاتفاقهما في الجهر ، والاطباق و والذال الى دال لاتفاقهما في الجهر وعدم الاطباق .

---

(1) — فهمي حجازي . مدخل الى علم اللغة . دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة . 1978 . ص . 48 .

(2) — نفسه . ص . 49 .

وقد طرح مصطلح " القوانين الصوتية " أول مرة اللغوي الألماني " ليسكين " 1876 ، ودافع عنها النحاة المحدثون وفي طليعتهم " فر... الذي أحدث مجموعة من القوانين سميت بقوانين " فريم " : وهي ((التي المتعلقة بالابدال المباشر في السواكن الجرمانية)) (1) .

ومن ذلك يستطيع المرء أن يكوّن فكرة عن القيمة التي يجب أن تعطى لكلمة " قانون " هنا .
فمصطلح " القانون الصوتي " كما عبّر " مييه " علاقة بين حالتين ... للغة واحدة في وسط اجتماعي معين ، فهو ليس قانونا عاما شبيها بقوانين علم الطبيعيات أو علم الكيمياء (2) .
أي أن القوانين الصوتية لا تشبه القوانين الطبيعية ، فالذي يجمع بين حالتين متتابعتين في لغة واحدة انما هو رباط تخلقه وليس رباطا طبيعيا ، لذلك لا يمكن أن نعرف مقدما كيف يتطور هذا الصوت أو ذاك لأنه يوجد دائما في تطور الأصوات عدد يكثر أو يقل من العوامل فيه المتطورة التي تنتج اثرها .

وحتى من يقبل الآن مصطلح " القوانين الصوتية " يشترط عدم مقارنتها بالقوانين الطبيعية أو الكيميائية ، بل يعتبرها قوانين من صنع البشر ، شبيهة بالقوانين السياسية والاجتماعية ، لكنها تختلف اختلافا جذريا عن تلك التي يسنها المجتمع للهيمنة على أفعال البشر ، لأن ... مشرعي قانون العقوبات مثلا انزال العقاب الصارم بالجناة للحد من ...

---

(1) — فندريس . اللغة . ص . 71 .
(2) — مييه . علم اللسان . ص . 105 .

تجاوزهم على الآخرين ، والقانون المدني لتحديد مناحي سلوك أبناء المجتمع ، وصلاتهم بالآخرين .

وحين قبل اللغويون " مصطلح القوانين الصوتية " تحدثوا عنها في صورة أكثر تواضعا واعتدالا حين يضعون الأمر في صورة " اتجاهات صوتية " ، وليس في صورة " قوانين صوتية " فهناك اتجاهات تحكم الأنظمة الصوتية . هذه الاتجاهات تسرى على أغلبية الحالات ، في حين أن كلمات معينة لأسباب متعددة تنجو من تأثير الاتجاهات المتحدث عنها أو تتجاوزها (1) .

وربما كان من أوائل من أطلق مصطلح " القوانين الصوتية " اللغوى السويدى " أكسال كوك " الذى نشر في عام 1896 دراسة جذب فيها الانتباه الى سلسلة من العوامل تقلل من فاعلية القوانين الصوتية ، مثل اختلاف نسبة تردد الكلمات أو الأصوات في اللغة (2) .

وأما "التغيرات المشروطة " — وهذا النوع من التغيرات يحدّده السياق — وتأتي بطريقة طارئة فتصيب الأصوات من ناحية الصلة التي تربط الصوت بالآخر في الكلمة الواحدة .

---

(1) — أحمد مختار عمر . الصوت اللغوى . ص . 318 .
(2) — نفسه . ص . 318 .

ومن أهمّ هذه التغيرات : "المماثلة" و "الادغام" و "المخالفة" و "القلب المكاني" . وتسمى هذه المصطلحات "بالتغيرات التركيبية" والأولى التي تحصل عن طريق التحول في النظام الصوتي من جرّاء تعاقب الأجيال في تعاملهم مع اللغة "بالتغيرات التاريخية" .

وسيكون حديثنا متوجها الى معالجة التغيرات التركيبية لشدة صلتها بالبحث الصوتي عند العرب ، ولأن علماء العربية عالجوا الكثير من المسائل التي تدخل ضمنها وسنبتدئ بقانون "المماثلة" : أولا :

يقصد بمصطلح "المماثلة" "Assimilatio" تقارب صوت من صوت آخر بحيث يفقد احدى صفاته الفارقة تحقيقا للانسجام الصوتي بينهما مثال ذلك : أن تفقد التاء صفة الانفتاح فتتحول الى صوت مطبق "أى طاء" تحقيقا للانسجام الصوتي مع الصاد المطابقة في "اصطبر" أو تفقد صفة "الهمس" لتتحول الى صوت مجهور "أى دال" لتحقق الانسجام الصوتي مع الزاى المجهورة في "ازدجر" .

ولقد عرف علماؤنا العرب القدامى هذه الظاهرة وعالجوها تحت مسميات مختلفة فسموها أحيانا "بالابدال" وأحيانا "بالادغام" كما سموها أيضا "بالمضارعة" (1) حينا و "بالتقريب" حينا آخر . ولكنهم قصروا على أمثلة محدودة متناثرة وقعت لهم فيما يبدو عن طريق

---

(1) — انظر سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص . 426 .؛
ابن جني . سرّ صناعة الاعراب . ج : 1 . ص . 32 ، 33
ابن يعيش . شرح المفصل . ج : 10 . ص 121 .

المصادفة فلم توصف في كتبهم على أنها ظاهرة عامة .

لقد تناول سيبويه في أكثر من موضع من كتابه ما يحدث من تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض وسمى هذه الظاهرة " بالمضارعة " كما سمّاها " بالتقريب "[1] ، وتناول ما يسمى بأقصى درجات التأثر بين المتجاورين " الادغام " .

وتتضح ظاهرة المماثلة عند سيبويه في الباب الذى عقده تحت عنوان " هذا باب الحرف الذى يضارع به حرف من موضعه ، والحرف الذى يضارع ذلك الحرف وليس من موضعه "[2] .

ويعني سيبويه بالحرف الذى يضارع به حرف من موضعه (الصاد الساكنة اذا كانت بعدها الدال ، وذلك نحو : مصدر ، أصدر والتصدير) .
وبعد أن يبين سيبويه أن ادغام الصاد في الدال أو ابدال الدال حرفا يناسب الصاد كالطاء مثلا غير ممكن في هذه الأمثلة ، ويفسر ما حدث في هذه الأمثلة بأنه مضارعة الصاد بالزاى ، أى تقريبها منها ، لأن الزاى مجهورة كالدال ، فيتحقق بهذا الانسجام بين المتجاورين .

ومما يؤيد أن ما حدث في الصاد هو تقريبها من الزاى قول سيبويه : " ولم يبدلوها زايا خالصة كرمية الاجحاف بها للاطباق " .

---

(1) — سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص . 426 .
(2) — نفسه .

ويشير سيبويه الى أن شرطا تأثر الصاد بالدال ، أن تكون الصاد ساكنة فيقول : ((فأما الذى يضارع به الحرف من مخرجه فالصاد الساكنة اذ كانت بعدها الدال)) ثم يقول : ((فان تركت الصاد لم تبدل ، لأنه قد وقع بينهما شيء)) يعني الحركة الفاصلة بين الحرفين فلا تتحقق المجاورة المباشرة .

ونلاحظ أن سيبويه يقصر كلامه في المضارعة على حرف واحد هو الصاد حين تليها الدال .

وقد شرح ابن يعيش " المضارعة " عن الزمخشري بقوله :
((المضارعة أن تنحو بالصاد نحو الزاى فتصير حرفا مخرجه بين مخرج الصاد ومخرج الزاى))(1) وهذا التعريف في نظرنا محل نظر لأن التغير الذى حدث لا علاقة له بالمخرج وانما بصفتي الجهر والاطباق .

وكما يحصل الانسجام الصوتي بين صامت وآخر مثله ، فانه يحصل بين حركة وأختها ، أو بين صوت صامت وبين حركة ، وتسمى المجاورة بين الحركات أيضا مماثلة .

وقد أشار سيبويه الى المماثلة بين الحركات المتجاورة في باب الامالة حين قال : ((انما أمالوا للكسرة التى بعدها ، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الادغام الصاد من الزاى))(2) .

---

(1) ـ ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج : 10 ، ص ، 53 .
(2) ـ سيبويه ، الكتاب ، ج : 4 ، ص ، 435 .

و يؤيد هذا قوله في باب ما تقلب فيه الواو ياء اذا سكنت وقبلها كسرة في مثل : ميزان ، و (ميعاد) ، فكان العمل من وجه واحد أخف عليهم ، كما أنهم اذا أدنوا الحرف من الحرف كان أخف عليهم نحو قولهم (اودان) واصطبر ، (فالمماثلة تعني المضارعة و التقريب)(1) .

أمّا عند الزمخشري في مفصله فتعني " التجانس الصوتي " قال الزمخشري : ومن أصناف المشترك الامالة (يشترك فيها الاسم و الفعل ، وهي أن تنحو بالالف نحو الكسرة ليتجانس الصوت كما شُبت الصاد صوت الزاي لذلك)(2) .

وهي عند ابن يعيش "التجانس" ، أو"التماثل"أو"التناسب الصوتي"أو"التشاكل الصوتي" .

يقول ابن يعيش : ((ألا ترى أنّه لولا الاطباق في الطاء لكانت دالا و لولا جهر الدال لكانت تاء فمخرج هذه الحروف واحد الاّ أنّ ثمة أحوالا تفرق بينهن من الجهر والاطباق و الهمس وفي الطاء اطباق يوافق ما قبلها فيتجانس الصوت و يكون العمل من وجه واحد فيكون أخف عليهم(3))) .

---

(1) — سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص . 435 .

(2) — ابن يعيش . شرح المفصل . ج : 9 . ص . 53 .

(3) — نفسه . ج : 10 . ص . 47 .

وعند ابن الحاجب المماثلة (المناسبة) بقول : (و سبب الامالة قصد المناسبة لكسرة أو ياء) (1) .

وقانون المماثلة عند المحدثين : يعالج تأثر الأصوات المتجاورة في الكلمات والجمل ، وميلها الى الاتفاق في المخارج والصفات نزوعا الى الانسجام الصوتي ، واقتصادا في الجهد الذي يبذله المتكلم (2) .

وقد عرّف دانيال " جونز " المماثلة أنها ((عملية استبدال صوت بآخر تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أو في الجملة)) .

وذكر أنّ المماثلة قد تتسع لتشمل الحالات التي فيها فناء أحد الصوتين في الآخر بحيث يؤلفان صوتا واحدا وسمي هذا النوع (coalescent) (Assimilation) الذي يقابل الادغام .
وتنقسم " المماثلة " عند القدماء الى مماثلة كلّية وذلك اذا تحول صوت من الأصوات الى نفس الصوت الذي يجاوره بحيث يدغم فيه مثال ذلك " ادعى " حيث تحولت تاء الافتعال الى دال ثم أدغمت الدال في الدال وفي هذا المثال وأشباهه يتحد معنى " الادغام " و" المماثلة " وهي المماثلة التي قابلها " جونز " " بالادغام " في حالة اتساعها .
وكذلك " بروجستراسر " (3) .

---

(1) ـ الرضي الاستراباذي . شرح الشافية . ج : 3 . ص . 4 .
(2) ـ راجع : خليل ابراهيم العطية . في البحث الصوتي عند العرب . ص . 70 . 71 .
(3) ـ انظر . بروجستراسر . التطور النحوي . ص . 19 .

مماثلة جزئية وذلك اذا تحول الصوت الى صوت آخر قريب من الصوت الذي يجاوره وذلك كما في (ازدان) حيث تحوّلت تاء الافتعال الى دال مجهورة لتتناسب مع الزاى المجهورة ، وهذا النوع من المماثلة يسميه العرب القدماء " ابدالا " طالما كان للصوت المتلاشي عن المماثلة رمز كتابي يدل عليه فاذا لم يكن لهذا الصوت الجديد رمز كتابي سمّوا ذلك بالمضارعة كما رأينا في مثال سيبويه كأن تتحول الصاد المهموسة الى صوت آخر مجهور مطبق قبل الدال في نحو مصدر وهذا الصوت يشبه الظاء في العامية المصرية .

أما عند المحدثين فتنقسم المماثلة حسب تأثر الأصوات الى :

مماثلة مقبلة : وهي التي يؤثر فيها الصوت الأول في الصوت الثاني مثال ذلك : " اصطبر " حيث أثّر الصاد في تاء الافتعال فحوّلتها الى طاء ويسمي الغربيون هذه المماثلة بمصطلح " التأثر التقدمي " (progressive) كما يسمي المستشرق الألماني " برجستراسر " المماثلة " بالتشابه " وهي عنده نوعان : " تشابه كلي " و " تشابه جزئي " . ويقابل " التشابه " بمصطلح " الادغام " . وينقسم " التشابه " عنده من جهة أخرى الى " مقبل " و " مدبر " ، و " متبادل " . (1)

وهو التقسيم الذى ارتأيناه لمصطلح " المماثلة " عندنا في هذا البحث .

(1) — برجستراسر . التطور النحوى . ص . 29 .

الصاد المهموسة الى زاى مجهورة لتناسب الدال ، ومنها الصويق بدلا من السويق حيث تحوّلت السين غير المفخمة الى صاد مفخمة لتناسب القاف .

ومما نستنتجه ونخلص اليه أنّ اللغويين وعلماء التجويد عالجوا ظاهرة " المماثلة " خاصة اذا كانت مماثلة كلية تحت باب الادغام ورأوا أنّه لكي تتحقق هذه المماثلة فلابد من أن يلتقي الصوتان دون فاصل بينهما حتّى ولو كان هذا الفاصل حركة قصيرة ومن ثم فقد اشترطوا في الادغام أن يلتقي صوتان متماثلان أو متقاربان أو متجانسان الأول منهما ساكن .

ونعني بمصطلح " التماثل " أن يكون الصوتان من جنس واحد مثل البائين والنونين .

أمّا " التجانس " فيقصد به صوتان اتحدا في المخرج واختلفا في الصفة مثل الدال ، والتاء . مخرجهما أسناني لثوي لكنّ الدال صوت مجهور ، والتاء صوت مهموس .

وأمّا " التقارب " فيعني صوتين تقاربا في المخرج والصفة أو في أحدهما مثل : الذال والزاى .
وعالج المحدثون " المماثلة " أيضا وللتمكن من الربط بين منهج القدماء والمحدثين في هذه الظاهرة نعرض — كما ورد عندنا في هذا البحث — صفة من صفات الأصوات العربية لنخرج على منوالها قانون المماثلة عند القدماء والمحدثين .

3 — الجهـــــر والهمـــــس :

درس علماء العربية مظاهر هذه الحالة من المماثلة عند معالجتهم صيغة " افتعل " من الأفعال المبدوءة بالزاي من أمثال : " زان " التي تصبح " اوتان " ثم تتحول عن طريق قانون المماثلة " ازدان " (والسبب في ذلك أن الزاي رخوة ، فتباعد ما بين الزاي والتاء فقربوا أحد الحرفين من الآخر ليقرب النطق بهما ، فأبدلوا الدال من التاء لأنها أخت التاء في المخرج وأخت الزاي في الجهر) (1) .

وهذا فهم داع لهذا الضرب من التماثل ، فعندما تجاور صوت الزاي المجهور والتاء المهموس في " ازتان " تجاذبا النزاع ومالا الى توفير نوع من الانسجام بينهما وهنا تأثرت التاء بالزاي فجهر بها وعند جهر التاء تحولت دالا لأن مخرج التاء والدال (أسناني لثوي) وأضحى كل من الدال والزاي متقاربان في صفة الجهر ، ويكون بذلك نوع من التشابه أو التماثل جزئي ومقبل أو تقدمي ، لتأثر التاء بالأول الزاي .

هذا ونستطيع أن نبين حالات " المماثلة " من خلال معالجة صفة الاطباق والانفتاح (2) والانتقال مجرى الصوت (3) والانسجام الصوتي (4)

---

(1) — ابن عصفور . الممتع . ج : 1 . ص . 356 .

(2) — راجع : ص 542 . من هذا البحث .

(3) — ويحدث عن طريق تحول صوت أنفي ، "كالنون " الى نظيره "الانفي الفم" أو تحول أحد أصوات الفم تحت وطأة التمثل الى صوت أنفي .

(4) — ظاهرة صوتية تحدث في مقاطع الكلمة الواحدة والمقاطع المتجاورة نزوعا الى التوافق الحركي واقتصادا في الجهد .

والاتباع الحركي[1] .

ثانيا : الادغام (Assimilation)

أشرنا من قبل أن اللغويين وعلماء التجويد عالجوا ظاهرة المماثلة خاصة اذا كانت (مماثلة كلية) تحت باب الادغام .
ورأينا أن المحدثين يقابلون مصطلح (التشابه) بمصطلح (الادغام)[2]
وأن الأصوات فى تأثرها تهدف الى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها ليزداد مع مجاورتها قربها فى الصفات والمخارج .

فالادغام ظاهرة من ظواهر المماثلة يفنى فيها الصوتان المتجاوران فناء تاما ولذلك نرى المحدثين يطلقون مصطلح "المماثلة الكاملة " على الادغام لأنه نزعة صوتية الى التماثل أى الاتصاف بصفات مشتركة تسهل اندماج أحدهما فى الآخر ويقع ذلك خاصة فى الحروف المتقاربة المخارج .

ولقد اهتم العلماء العرب ــ النحاة والصرفيون وأهل القراءات ــ بدراسة هذه الظاهرة وأنواعها عناية كبيرة اذ جعلوها منطلق الدراسات الصوتية عندهم ، ونتيجة للاهتمام بها درس القدماء الحروف العربية دراسة صوتية ابتداء من سيبويه الذى خص باب الادغام ــ القسم الأخير ، من كتابه ــ لدراسة الحروف العربية ومخارجها وصفاتها وتغيراتها ، ثم تبعه فى منهجه معظم اللغويين العرب

---

(1) ــ ضرب من المماثلة وقد عالج هذا المصطلح سيبويه تحت باب (ما تكسر فيه الهاء التى هى علامة الاضمار) .
راجع : سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص 195 .
(2) ــ برجشتراسر . التطور النحوى . ص . 29 .

فى تخصص فصول من كتبهم لدراسة الادغام وما يندرج تحت هذا العنوان كالذى تجده عند المبرد والزمخشرى الذى تعرض للادغام فى آخر كتابه المفصل تحت باب أسماه " المشترك " وعنى به ما اشترك فيه الاسم والفعل والحرف أو اثنان منهما ، بحيث بدا لدراسة أول وهلة ثانوى القيمة ، ولكن تأكيد " ابن يعيش " شارح " المفصل " يرد هذا الظن بالقول : " هذا القسم الرابع آخر أقسام الكتاب وهو أعلاها وأشرفها اذا كان مشتملا على نكت هذا العلم وتصريفه ، وأكثر الناس يضعف عن الاحاطة به لغموضه والمعرفة به عامة "[1] .

ونجد هذه العناية بالادغام عند "مكى بن أبى طالب " فى كتابيه " الرعاية " و " الكشف عن وجوه القراءات " وابن الجزرى فى نشره[2] والسيوطى فى همعه[3]

والادغام عند العلماء القدماء هو تجاور صوتين متقاربين أو متجاذبين وفناء أحدهما فى الآخر .

وسنحاول فيما يلى أن نلخص نظرة سيبويه الى ظاهرة الادغام تلخيصا يقربها الى طريقة التناول الحديثة ويذهب ببعض التعقيد الذى يظهر فى أسلوبه أحيانا .

---

(1) ـ ابن يعيش . شرح المفصل . ص 121 ، وخليل العطية . فى البحث الصوتى عند العرب . ص 81 .

(2) ـ ابن الجزرى . النشر فى القراءات العشر . ج : 1 ص 275 .

(3) ـ السيوطى . همع الهوامع . عن كتاب فى البحث الصوتى عند العرب . للدكتور خليل ابراهيم العطية . ص . 81 .

والأصل الذي يرجع اليه سيبويه في ذلك ما عبر عنه بقوله : "كلما توالت الحركات أكثر كان الادغام أحسن".(1) فاللغة العربية تكره توالي المتحركات في الكلام وتأباه في الكلمة الواحدة . ويسمى هذا النوع من الادغام " ادغام المتماثلين " وهو يرد في كلمة واحدة نحو : ردّ ، عقّ ، شدّ . . الخ

وفي كلمتين متتاليتين نحو قوله تعالى : " اضرب بعصاك الحجر"(2) وهذا ما يرويه سيبويه من ادغام الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعا واحدا لا يزول عنه ،وواضح من الأمثلة التي جاء بها سيبويه والتي أتينا بها أنه ينظر الى ذلك في الكلمة الواحدة نحو : شدّ ،وردّ ،وعضّ . اذ أن أصل : شدّ "شدد" وردّ "ردد" وعضّ "عضض" فالتقى المثلان (الدال + الدال) و (الضاد + الضاد) أولهما حرف ساكن والثاني متحرك فأصبح الادغام حسنا والبيان أحسن .

وقد تجنبت العرب توالي الأمثال حتى لا يحدث التكرار . ولأن الادغام شكل من أشكال التضعيف هنا ،فعندما نقول " شد " اجتمع دالان وهما صوتان متماثلان لا تفصل بينهما حركة ونطقهما من مخرج واحد كما ينظر اليه في الكلمتين اذا تواليان فيكون المثلان آخر

---

(1) ــ سيبويه . الكتاب . ج 4 : ص 437 .

(2) ــ سورة البقرة . الآية . 60 .

أولاهما وأول ثانيهما في نحو : (اضرب بعصاك الحجر) فما يورده من قواعد الادغام هنا صادق على نسق البنية المفردة كما هو صادق على نسق السياق ويعلل كل ذلك من وجهة نظر الادغام الناشيء عن كراهية التقاء المثلين .

وادغام المثلين في البحث الصوتي مجيء صوتين متجاورين متماثلين في المخارج ، فان تجاورا تجاورا مباشرا بحيث لا تفصل بينهما حركة حصل الادغام ، وان كان تجاورهما غير مباشر لوجود حركة تفصل بينهما — جرى حذف الحركة وأدغم الصوت الأول في الثاني ، وعلى هذا فالادغام المتماثل نوع من المماثلة المدبرة التي أشرنا اليها .

(Assimilation regressive) كما يسميها الغربيون ..

— المتقاربان :(1)

— يتكلم سيبويه على النوع الثاني من أنواع الادغام وهو الادغام

---

(1) — راجع : ص من هذا البحث .

في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد أو من مخارج متقاربة . نحو : من يكون فيقال : مّيكون . ولا يتم ادغام المتقاربين الا بعد جعل الصوتين متماثلين ، لأن الادغام على رأي الرضي الاستراباذي في شرح الشافية : ((اخراج الصوتين من مخرج واحد دفعة واحدة باعتماد تام ولا يمكن اخراج المتقاربين من مخرج واحد لأنّ لكل صوت مخرجا على حدة))(1) .

ويقسّم سيبويه "ادغام المتقاربين" الى ثلاثة أقسام :

1 ـ فمن الحروف ما لا يدغم في مقاربه ولا يدغم فيه مقاربه كما لم يدغم مثله في مثله (ء . ا . و . ى) أي حروف تأبى الادغام :

2 ـ من الحروف ما يدغم في مقاربه ولكن يدغم فيه مقاربه (م . ف . ر . ش) .

3 ـ من الحروف ما يدغم في مقاربه ويدغم فيه مقاربه .

فأما الطائفة الأولى التي تأبى الادغام (ء . ا . و . ى) والهمزة خاصة اذا استثقلت لم يكن تخفيفها بوساطة الادغام وانما يكون بطرق أخرى يشملها التغيير ، أو الحذف . ولعلّ سيبويه يستعمل مصطلح (التغيير) هنا عمدا ليشمل بها القلب ، والابدال ، والتسهيل .
وأما الألف فانها لا تدغم في غيرها مطلقا ولكن سيبويه ينص على الهاء

(1) ـ الاستراباذي . شرح الشافية . ج 3 . ص 235 .

1 ـ الهاء والحاء : ويقعان من حيث التقدم والتأخر على صورتين :

(ه ح = ح ح) نحو : اجبهٔ حملا = اجبحملا . فالادغام حسن لقرب المخرجين واتفاقهما في الهمس والرخاوة . ولكن البيان أحسن لاختلاف المخرجين وتأبى حروف الحلق على الادغام .

(ح ه = ح ه) أي أن الحاء لا تدغم في الهاء نحو : " امدح هلالا " لأن ما كان أقرب الى حروف الفم كان أقوى على الادغام .

2 ـ القاف والكاف : وهما على صورتين :

(ق ك = ك ك) نحو : " الحكّلدة =الحق كلدة " لقرب المخرجين وكونهما من حروف اللسان واتفاقهما في الشدة ولكن البيان يتساوى في الحسن مع الادغام .

(ك ق = ق ق) نحو : انهقّطنا = انهك قطنا ، فالادغام حسن هنا لقرب مخرجيهما الى الحلق فشبهت الخاء مع الغين ولكن البيان أحسن

وعند النظر في العلل التي جاء بها سيبويه للادغام في هذه التطبيقات يمكن تلخيص هذه القاعدة فيما يأتي :

1 ـ من الظروف المناسبة للادغام أن يتقارب مخرجا الحرفين المتتاليين وأن يتحد ان الحرفان في الصفة والمقصود بالصفة هنا طريقة النطق كالشدة والرخاوة ، أو القيمة الصوتية كالتفخيم والترقيق أو وضع الصوت كالجهر والهمس .

2 ـ مما يكثر فيه الادغام أن يكون بين حروف الفم ويعبر سيبويه على ذلك بقوله : ((ان حروف الفم أصل في الادغام))(1) .

---

(1) سيبويه ، الكتاب ، ص 433 .

ومعنى ذلك أن الحروف غير الفموية أقل تعرضا للادغام والمقصد بالفم هنا من الغار الى اللهاة .

3 - لا يتم الادغام بين حروف اللسان وحروف الحلق ، وربما كان ذلك راجعا الى عدم تقارب المخارج .

4 - اذا تجاور حرفان من غير حروف الفم فان أقربهما الى الفم لا يدغم في أبعدهما منه ، أما العكس فانه يدغم .

3 - حروف طرف اللسان والثنايا :

وهذا النوع الثالث من حروف الادغام كثير مطّرد نذكر منه :

1 - التاء وما يسبقها :

ظ ث = ث ث نحو : احفظ ثابتا والادغام أكثر وأجود .
ذ ث = ث ث نحو : خذ ثابتا " " "
ث ث = ث ث نحو : ابعث ثابتا " " "

2 - الذال وما يسبقها :

ظ ذ = ذ ذ نحو : احفظ ذلك والادغام أكثر وأجود .
ت ذ = ذ ذ " ابعث ذلك " " "
د ذ = ذ ذ " أبعد ذلك " " "

وكذلك الحروف التالية وكلها تدغم فيما يسبقها :
((ظ ، س ، ز ، د ، ط ، ت ، ض ، ش)) .

4 ـ الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه أو من غيره :

وهذا النوع الرابع من الادغام يلخص كالتالي :

أن الصاد والشين والجيم اذا تلتها الدال ألحق بها نوع من الادغام يتناول الصفة ولا يتناول المخرج لأن المخرج في كل الأحوال مقارب ولا يتغير ، فالصاد والشين يلحقهما الجهر والجيم تلحقها الرخاوة اذا جاءت الدال بعدهن مثال ذلك :

مصدر = مزدر " بتفخيم الزاى "

أشدق = أجدق .

5 ـ الصاد السين صادا في بعض اللغات لوجود القاف أو الغين أو الخاء بعدها في كلمة واحدة .

وذلك نحو : " سقت " و " صقت " و " سلخ " و " صلخ " .

ومن ذلك : ساطع = صاطع لقرب المخرجين والاطباق .

هذا ويعرف المبرد الادغام : ((اعلم أن الحرفين اذا كان لفظهما واحدا فسكن الأول منهما فهو مدغم في الثاني ، وتأويل قولنا مدغم أنه لا حركة تفصل بينهما ، فانما تعتمد لهما باللسان اعتمادا واحدا لأن المخرج واحد .))[1] .

أما الزجاجي فيقول : ((ومعنى الادغام ان تلتقي حرفان من جنس واحد فتسكن الأول منهما وتدغمه في الثاني ...

(1) ـ المبرد . المقتضب ، ج 1 ، ص 197 .

فيصير حرفا واحدا مشددا ليرتفع اللسان عنه نبوة واحدة ، أو يلتقي حرفان متقاربان في المخرج فتبدل الاول من جنس الثاني وتدغمه فيه وانما تفعل ذلك تحقيقا نحو : شدّ ومدّ وما أشبه ذلك .[1]))

ويفصل ابن جني ظاهرة " الادغام " فيقسمه الى قسمين :
يقول في الادغام الاكبر : ((قد ثبت أن الادغام المألوف المعتاد انما هو تقريب صوت من صوت في الكلام على ضربين : أحدهما أن يلتقي المثلان على الاحكام التي يكون عنها الادغام فيدغم الاول في الآخر والاول من الحرفين في ذلك على ضربين " ساكن " و " متحرك " فالمدغم الساكن الاصل " كطاء قطّع " والمتحرك نحو : " دال شدّ " ولا معتل . والآخر أن يلتقي المتقاربان على الاحكام التي يسوغ معها الادغام ، فتقلب أحدهما الى لفظ صاحبه فتدغم فيه ....
والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت .[2])) .

ويقول في الادغام الاصغر : ((تقريب الحرف من الحرف وادناؤه منه من غير ادغام يكون هناك وهو ضروب .[3]))

ولاهل القراءات تقسيم آخر للادغام : فهو عندهم :
كبير وصغير ، وهو معتمد على سكون الصوت الاول في كلمتين متجاورتين — سواء كانا متماثلين أو متقاربين — أو على حركته .

---

(1) — الزجاجي . الجمل . ص 378 .
(2) — ابن جني . الخصائص . ج : 2 . ص 139 — 140 .
(3) — نفسه . ص 141 .

ويعد الادغام مغيرا فى حالة سكونه - مما سبق بيانه - وكبيرا فى حالة حركته ، وتحويلها الى سكون ، وهكذا يكون الأساس واحدا .(1)

وأشهر القائلين بالادغام الكبير أبو عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) وهو القائل - فيما أورد ابن الجزرى - ((الادغام كلام العرب الذى يجرى على ألسنتها ولا يحسنون غيره .))(2)

وأحصى صاحب النشر له ألفا ومئتين وسبعة وسبعين حرفا متحركا أدغمها فى التنزيل العزيز .(3)

فقد كان مثلا يدغم تاء التأنيث فى الجمع فى السين كقوله تعالى " وعملوا الصالحات سندخلهم "(4)

وفى الصاد " والصفات صفا "(5)

وفى الضاد " والعاديات ضبحا "(6)

أما عند المحدثين فالادغام عندهم أنواع يعرف بالمصطلحات الآتية

1 - ادغام تأخرى ( )

وفيه تدغم الواو فى الياء المجاورة لها مثلا ادغاما تأخريا نحو : أيوام = أيّام

---

(1) - راجع : خليل ابراهيم العطية . فى البحث الصوتى عند العرب . ص 23

(2) - ابن الجزرى . النشر فى القراءات العشر . ج : 1 . ص 275 .

(3) - نفسه . ص 295 .

(4) - سورة : النساء . الآية . 57 .

(5) - سورة : الصافات . الآية . 1 .

(6) - سورة : العاديات . الآية . 1 .

2 ـ ادغام المتجانسين[1] : (Assimilation de deux consonnes similaires)
أى ادغام حرفين لهما نفس المخرج ولكن ليس لهما نفس الصفات .

3 ـ ادغام رجعى[2] : (Assimilation regressive)

4 ـ ادغام صغير : (Assimilation en contact)
وهو الشائع المشهور عند الجمهور وفيه يتحقق مجاورة الصوتين المتجانسين أو المتقاربين اذ لا فاصل بينهما .

5 ـ ادغام تقدمى[3] : (Assimilation progressive)
كادغام الواو فى الياء المجاورة لها ادغاما تقدميا نحو : طوى = طىّ .

6 ـ ادغام تقريب[4] : (Assimilation partielle)
وقد خصص النحاة العرب جزءاً عظيما من كتبهم لدراسة الادغام الجزئى أو ما يسمى "تقريبا" وقد حشروا ذلك في أبواب مختلفة سموها " بدلا " أو " ابدالا " أو " قلبا " أو " اقلابا " ، أى احلال حرف محل حرف آخر .

---

(1) ـ جان كانتينو . دروس فى علم أصوات العربية . ص 40 .
(2) ـ نفسه . ص 208 .
(3) ـ الطيب البكوش . التصريف العربى . ص 6 .
(4) ـ جان كانتينو . دروس فى علم أصوات العربية . ص 39 .

7 — ادغام متقاربين : (Assimilation de deux consonnes proches)

أى ادغام حرفين مخرجاهما وصفاتهما متقاربة .

8 — الادغام بالغنة :(1) (masalisation)

ادغام النون ادغاما ناقصا وهو فناء النون مع بقاء ما يشعر بها ، وهو الذى اصطلح على تسميته " الادغام بالغنة " فقد تفنى النون تاركة وراءها نوعا من الغنة وذلك عند مجاورتها للياء والواو . فاذا ولى النون المشكلة بالسكون ياء أو واو تشددت الياء أو الواو ثم تسمع عند النطق بهما أن يتخذ الهواء مجراه فى طريقين هما الفراغ الانفى فى الفم وهذا ما اصطلح المحدثون على تسميته " ادغام بالغنة "

9 — ادغام كبير :(2) (assimilation à distance)

وفيه يفصل بين الصوتين المتجانسين أو المتقاربين صوت لين قصير وقد تفصل بينهما حركة ويقع الادغام فى هذه الحالة بسقوط أى حذف الحركة أى (بذهاب مقطع من مقاطع الكلمة) أولا ثم بادغام الحرفين فى الآخر .

---

(1) — ابراهيم أنيس . الأصوات اللغوية . ص 57 ، 59 ، 60 .

(2) — نفسه . ص 134 .

10 ـ ادغام المتماثليـن[1] (Assimilation de deux consonnes identiques) :
ادغام حرفين لهما نفس المخرج ونفس الصفات .

11 ـ ادغام ناقص[2] : (Assimilation in complete)
فيه لا يتم فناء أحد الصوتين بل يترك الصوت بعد فنائه أثرا يشعر به كما هو الحال في الادغام مع الغنّة .

12 ـ ادغام كامل[3] : (Assimilation totale)
اذا لم نلحظ أثرا للصوت بعد فنائه يسمى المحدثون هذا النوع ادغاما كاملا أو فناء كاملا .

ثالثا : المخالفة : (dissimilation)

وهي ظاهرة تعاكس المماثلة " في الاتجاه فالمماثلة تحاول التقريب بين الأصوات بينما تأخذ المخالفة صوتين متماثلين وتغير أحدهما الى صوت آخر فمثلا : " ماسمك" ؟ وباسمك ، و "عنوان " و " علوان " .

وقد عرف العلماء العرب هذا المصطلح أي " المخالفة " لكنهم أطلقوا مصطلحات عديدة نذكر منها : ما أسموه " بكراهة اجتماع المثلين " أو " كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد " أو " كراهية

---

(1) ـ جان كانتينو . دروس في علم أصوات العربية . ص 40 .
(2) ـ ابراهيم أنيس . الأصوات اللغوية . ص 134 .
(3) ـ نفسه .

توالى الأمثال "[1] .

وأقدم من عرف هذه الظاهرة الخليل الذى شبه اجتماع المثلين " بمشى المقيد " ، لأنه يرفع رجله ويضعها فى موضعها ، أو قريب منه لأن القيد يمنعه عن الانبساط وامتداد الخطوة . لذلك عده مكروها .[2]

وعقد سيبويه فى كتابه بابا عنوانه " ما شذّ فأبدل مكان اللام والياء ، لكراهية التضعيف وليس بمطرد "[3] وأورد قول العرب : " تسريت " و " تظنيت " و " تقصيت " من القصة و أمليت بدل أمللت أمثلة لذلك .

وعالج أبو العباس المبرد " المخالفة " فى باب عنوانه : " ما شبه من المضاعف بالمعتل فحذف فى موضع حذفه " خلص فيه الى : أن التضعيف مستثقل ، وأن رفع اللسان عنه مرة واحدة ، ثم العودة اليه ليس كرفع اللسان عنه وعن الحرف الذى من مخرجه ولا فصل بينهما فلذلك وجب ، وقوم من العرب اذا وقع التضعيف أبدلوا الياء من الثانى لئلا يلتقى حرفان من جنس واحد .[4]

وأشار الزمخشرى الى أحد ضروب المخالفة ، وهو حذف أحد المقطعين المتتاليين المتماثلين فى باب " الادغام " فقال : وقد عدلوا فى بعض ملاقى المثلين أو المتقاربين لاعواز الادغام الى الحذف ، فقالوا فى " ظللت " و " مسست " و " أحسست " : ((ظلْت ، ومسْت ، وأحسْت)) .

---

(1) — راجع : السيوطى . الأشباه والنظائر . ج : 1 ص 18 .

(2) — ابن جنى . شرح التصريف الملوكى . ص 451 — 152 .

(3) — سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص 424 .

(4) — المبرد . المقتضب . ج : 1 . ص 245 . ومابعدها .

وعقب ابن يعيش على قول الزمخشري بالقول : ((اعلم أن النحويين قد نظموا هذا النوع من التغيير في سلك الادغام وسموه به وان لم يكن فيه ادغام ، انما هو من الاعلال لتخفيف كراهية اجتماع المتجانسين)) (1)

وفي كتب التفسير والنحو واللغة الكثير من الاشارات لقانون المخالفة .

ومن الغريب أن يذكر ابراهيم أنيس في كتابه " الأصوات اللغوية " أن ظاهرة " المخالفة " قد شاعت في كثير من اللغات السامية وليست هذه الظاهرة الا تطورا تاريخيا في الأصوات ، ولم يفطن علماء العرب القدماء لهذه الظاهرة ؛ ولم يولوها ما تستحق من عناية واضطرب تفسيرهم لها . (2)

وذكر أن الأمثلة التي أشار اليها سيبويه في باب " ما شذ فأبدل مكان اللام لكراهية التضعيف وليس بمطرد " كتسريت وتظنيت وتقضيت " والتي ذكرت في أمالي الهجري حين قال : " وأما ما حذفوا منه وعوضوا فنحو : تظننت قالوا : " تظنيت " فعوضوا من النون الياء " ؛ وكذلك " تلعى " من " اللعاعة " ، و " تقضى " من " التقضض " ، و " دساها " من دسسها الخ . (3)

فالحقيقة أن الأمر أكبر من تلك الاشارات التي لا تقنع الباحث المدقق .

---

(1) ـ ابن يعيش . شرح المفصل . ج : 10 . ص 153 .

(2) ـ ابراهيم أنيس . الأصوات اللغوية . ص 211 .

(3) ـ عن كتاب . في البحث الصوتي عند العرب . خليل ابراهيم العطية

ص

أما يخالف الدكتور ابراهيم أنيس فيه دراسة ظاهرة " المخالفة " عند القدماء من العرب وأن نظرة سريعة في كتب اللغة وقواميسها تؤكد مدى عناية العلماء العرب القدامى بهذه الظاهرة وهي كفيلة بأن يجمع الباحث المدقق عشرات الأمثلة التي تعالج ظاهرة " المخالفة " ابتداء من الخليل في القرن الأول الهجري حتى الآن .

وقد أطلق المحدثون مصطلح " المخالفة " مقابلا لمصطلح "التغاير" والمخالفة ظاهرة موجودة في كل اللغات ، وقد ثبت أن اللغات تستخدم السواكن الأنفية والتوديدية بشكل أكثر لتحقيق عنصر المخالفة ، ولهذا يفترض (Hurwitz) أن تكون الكلمات العربية الكبيرة البنية التي تشتمل على " راء أو لام أو نون أو ميم " قد تولدت نتيجة عامل المخالفة بين صوتين متماثلين ، وهو يمثل لذلك بالكلمات الآتية : حرجل = حجّل ، وجلمد = جمّد ، و عنكب = عكّب ، وعرقب = عقّب ، وقرمط = قمّط ، وفلطح = فطّح .

ويؤيد افتراضه بقوله : ((يوجد غالبا مقابلات مضعفة للصيغ السابقة ، وهذا يعني أن العقل السامي كان يعتبر هذه الصيغ المزيدة مقابلة للصيغ المضعفة)) كما يخرج بنتيجة ملخصها " أن الحروف المائعة عادة وسيلة مخالفة للتضعيف في الصيغ المضعفة القديمة"[1] .

---

(1) — أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص 330 .

ويقول فندريس فى شأن المخالفة " أن يحمل المتكلم حركة بطاقة مرة واحدة وكان من حقها أن تحمل مرتين "(1).

ومما يلاحظ أنه مثل ما تكون المخالفة فى الأصوات الصامتة تحدث فى الحركات ومن أمثلة ذلك :

أ ـ ابدال الفتحة كسرة عند مجاورتها ألفا ، والهدف من ذلك تجنب النطق بمجموعة من الحركات المتحدة الطابع . وهذا يفسر لماذا نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة (بدل الفتحة) ولماذا كسرت نون المثنى (2) ، على عكس نون جمع المذكر السالم التى فتحت .

ب ـ ابدال الكسرة فتحة اذا جاورت ياء مد ، كما فى كثير من العاميات العربية التى تبدل صيغة " فعيل " الى : " فعيل " مثل : " عويم ، وأكيل ، وحبيب " .

ج ـ ابدال الضمتين المتتاليتين الى : " ضمة + فتحة " ، كما يقال فى " سور : سور " وفى " ذلل : ذلل " لاستثقال اجتماع ضمتين مع التضعيف .

وتبعا لتجاور الصوتين اللذين يحدث بينهما التخالف أو تباعدهما ، قسم علماء الأصوات المحدثون " المخالفة " التى قسمين :

---

(1) ـ فندريس . اللغة . ص 94 .

(2) ـ هنرى فليش . العربية الفصحى . ص 48 .

... متصلة وذلك اذا فصل بين الصوتين المتماثلين أو المتقاربين فاصل ومن أمثلة ذلك : " باسمك " حيث تحولت الميم الأولى في " مااسمك " الى ياء تحقيقا لظاهرة المخالفة ، ومنها : اخضوضر حيث تحولت الراء الأولى في " اخضرضر " الى واو وقد فصل بين الميمين بالألف والسين ، وبين الراءين بالضاد .

ويرى " برجستراسر " أن علة هذا النوع من المخالفة إنما هي علة نفسية محضة لأن النفس يوجد فيها قبل النطق بكلمة تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها ، ويصعب عليها اعادة تصور بعينه بعد حصوله بمدة قصيرة ، ومن هنا ينشأ الخطأ اذا أسرع الانسان في النطق بجملة محتوية على كلمات تتكرر وتتتابع فيها حروف متشابهة .

... مخالفة متصلة ، وهذا النوع من المخالفة قليل بالمقارنة بالنوع الأول ويراد به التقاء صوتين متماثلين التقاء مباشرا (دون ...) ومثال ذلك أن يلتقي حرفان متماثلان في صيغة تفعل من المضعف ... نحو " تظنّن " و " تقضض " و " تسرّر " و " تقصّص " وهنا ... تحول الحرف الأخير الى ياء فيقال :
(تظنيت ، وتقضيت ، وتسريت) . تحقيقا لظاهرة المخالفة وقد أطلق ... علماء العرب على هذا النوع من المخالفة مصطلح " الابدال " ... غير متحقق في كل الأمثلة التي هي من هذا النوع فقد ... وقد عقّب لذلك سيبويه بابا في الكتاب أسماه ... فأبدل مكان اللام (أي لام الكلمة) ياء كراهية ... مطرد . (2)

---

(1) برجستراسر . التطور النحوى . ص 21 .
(2) راجع : ص 441 من هذا البحث .

ومن الواضح هنا أن علة التخالف في رأي سيبويه ... التضعيف أي كراهية توالي الأمثال في بناء الكلمة الواحدة ... للثقل الذي يحدث عند تماثل هذه الأصوات نظرا للجهد ... يبذله اللسان في حالة النطق بالأصوات المتماثلة أو المتقاربة ... لمس في ذلك علة أخرى أشار إليها "برجستراسر" وهي: "أن ... يرجو أن يؤثر في نفس السامع تأثيرا زائدا فلا يكتفي بالحروف ... بل يضيف إليه حرفا آخر لزيادة ذلك التأثير"[2]

وما نخلص إليه أن التخالف لا يحدث فقط نتيجة التقاء ... متماثلين وذلك كما في الأمثلة التي أوردناها وإنما قد يحدث ... في الأصوات المتقاربة في مخارجها فإذا ما حدث والتقى ... في المخرج ومتقاربان فيه فإن أحد هذين الصوتين قد يتحول إلى صوت آخر (بعيد في مخرجه من الصوت الثاني) تحقيقا لظاهرة ... وأمثلة هذا النوع كثيرة جدا في اللغات السامية شقيقات العربية ... في العربية قدر غير يسير، لا كما في الدكتور ابراهيم أنيس ... ذلك تحول اللام إلى نون نظرا لالتقائها بالراء في نحو: ... اسماعيل = اسماعين، جبرائيل = جبرائين.

ولعل السبب في هذا النوع من المخالفة هو كراهية ... الكلمة من حروف متقاربة في مخرجها، لما في ذلك من ثقل ...

---

(1) — ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 214.

(2) — برجستراسر، التطور النحوي، ص 23.

اللسان ، وقد عدّ البلاغيون العرب هذا الضرب من التأليف مخلا بفصاحة الكلمة وأسموه "بالتنافر" وقد نقل "السيوطي" عن ابن دريد قوله : "اعلم أن الحروف اذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها اذا تباعدت[1] ."

ومما يلاحظ أن تحول الصوت الى صوت آخر تحقيقا لهذه المخالفة قد يصيب ثاني الحرفين المتماثلين ، أي أن الصوت الثاني يتأثر بالصوت الأول وحينئذ يطلق مصطلح جديد عن المخالفة من هذا النوع فنقول عنها (مخالفة مقبلة) (dissimilation progressive) كما رأينا أن المحدثين أطلقوا ذلك على المماثلة من هذا النوع مصطلح "المماثلة المقبلة" مثال ذلك على المخالفة المقبلة" لعلّ " التي تصير "لعنّ" .

وقد يكون الصوت المتأثر هو الأول وحينئذ تسمى "مخالفة مدبرة" أي (dissimilatio: regressive) ومثال ذلك : تحول الميم الأولى في "طامسك" الى باء في "باسمك" ، في لهجة مازن ، وتسمى هذه المخالفة بالمخالفة المدبرة .

ولا شك أن هذه الاقتباسات وكثيرا غيرها مما يؤكد أن العرب لم يكونوا بمنأى عن فهم ظاهرة المخالفة وان كانت مباحثهم لم تبلغ ما بلغته مباحث الدرس الصوتي الحديث ، فالأجدر أن ينظر الباحث المدقق بمنظار عصرهم واذا ما أدرك ذلك أكبر فيهم عظيم ما درسوا وعزيز ما قدموا .

---

(1) — السيوطي ، المزهر ، ج : 1 ، ص 191 .

" ولا الضألين " فهمز الألف ، وذلك لأنه كره اجتماع الساكنين الألف واللام الأولى ، فحرك الألف لالتقائهما فانقلبت همزة .
((لأن الألف حرف ضعيف واسع المخرج ، لا يتحمل الحركة فإذا اضطروا الى تحريكه قلبوه الى أقرب الحروف منه وهو همزة [1])) .

ـ وأبدلت من الألف في الوقف ، فقد حكى سيبويه حبلأ وجلأ ، ويضربهأ ، ولم تزل هذه الظاهرة حتى اليوم في اللهجات العامية في استعمال حرف النفي لأ في لا ، وقلب الواو والياء المتطرفتين همزة مثل : كساء ، وبناء .

ـ واجتماع ألفين في مثل : فاا ، تاا ، يوجب قلب أولا همما همزة والألف الثانية زائدة . ومثل : صحراء ، أصلها صحراا فأولى الألفين زائدة للصيغة وثانيهما للتأنيث ، فلابد من تحريك هذه لتقلب همزة كما تقلب في صيغة الجمع مثل : صحارى ، ولولا قلبها لاجتمع ألفان هكذا صحراا . في المفرد وصحارا في الجمع .
ومما حكي من ابدال الألف همزة أنه جاء في بعض الشواهد : العألم ، الخأتم ، النأر . ورثأت المرأة زوجها ومدّ ابن جني هذا من الشذوذ .

---

(1) ـ ابن جني . سرّ صناعة الاعراب ، ج : 1 . ص . 82 .

2 — ومن الياء والواو وهما أصلان في مثل : " وجوه ، وعد ، أجوه ، أعد . قايم ، قائم " .

وتبدل الواو همزة اذا ضمت ضما لازما نحو : " وقتت ، أقتت " واذا التقت واوان في أول الكلمة همزت : " وولى : أولى " .

3 — ومن الهاء في مثل : " ماء . وأصله موه ، وجمعه مياه وأمواه " . ومثل : " آل ، وأهل " .

4 — ومن العين في مثل : " أباب البحر وعبابه " . وأن عبد الله : عن عبد الله وهذه لهجة تعرف بالعنعنة .

5 — ومن القاف في لهجة أهل المدن نحو : " قبل : أبل " .

ب — الهاء : وصوتها هو الثاني مخرجا بعد الهمزة :
استعمالها : أصلا وبدلا و زائدة . وأما ابدالها فمن خمسة حروف وهي : (الهمزة ، والألف ، والياء ، والواو ، والتاء) .

1 — وتبدل من الهمزة أصلا مثل : " اياك ، هياك " .

2 — ومن الألف مثل : " من ما هنا ومن هنه " : في : " من أنا وأنه " .

3 — ومن الياء نحو : " هذه في هذي " .

4 — ومن الواو نحو : " ياهناه " ، وذلك في شاهد لامرئ القيس وذكروا أنها بدل من الواو " هناو " لأن أصلها هكذا مثل " عطاو " .

5 ــ ومن التاء نحو : " لوزة وطلحة يوقف عليها هاء "

جـ ــ الألف وصوتها ثالث أصوات هذا المخرج .
وهي تأتي أصلا وزائدة وبدلا .

1 ــ ومجيئها أصلا محصور في حروف المعاني نحو : " عما ، الا ... .. السخ " .

2 ــ وتبدل من أربعة أحرف : (الهمزة ، والياء ، والواو والنون) .

1 ــ تبدل من الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها غير طرف ألفا تخفيفا مثل : " رأس ، شأن " أو تحويلا نحو : " آمن وآدم في : أأمن ، وأأدم " .

2 ــ وتبدل من الياء والواو في ثلاثة أنواع : مثل : " ييأس ياأس " " يوجل : ياجل " ، " وسار ، وباع ، ودعا " فالواو والياء في هذه أصلا ن .

3 ــ وتبدل من النون الساكنة في الوقف : نحو : " قابلت بشرا ،

المجموعة الثانية :

وتتكون من الأصوات التي مخرجها من وسط الحلق .
وهي لصوتي العين والحاء .

أ — والعين تستعمل أصلا وبدلا .

1 — وقد أبدلت من الهمزة في نقطة (ألالس) في (العلّس) .

2 — ومن الحاء في مثل : (عتّى : حتّى) .

3 — و سمع ابدالها من القاف . لهجة أهل ريف مدينة حلب . يقولون سلع : سلق ، و "علي : قلي " .

ب — وأما الحاء فلا تستعمل الا أصلا ، وتبدل ولا تزاد الا شذوذا .
فقد أبدلت من الخاء في مثل : " يفحس : مفوحا أى مفوخا " .
وأبدلت من الهاء في لهجات مثل : " طهو في طحو " و " مده في مدح " .

المجموعة الثالثة :

وتتكون من الأصوات التي مخرجها من أدنى الحلق بالفم .
وهي الغين والخاء .

أ — والغين لا تستعمل الا أصلا .

1 — وتبدل من الخاء في بعض الألفاظ نحو : " اسلغ غنمك في اسلخ غنمك " و " خسيل في غسيل " في لهجة دمشق وتونس وتلمسان .

2 — وتبدل قافا في غربي الصحراء الجزائرية والسودان والخليج العربي

وبعض مدن فلسطين مثل : " الفادر ، القادر " ، " الخائد القائد " .

3 — وتبدل من العين نحو :" الحلام في الغلام " .

ب — الخاء : لا تستعمل الا أصلا .
وتبدل من الحاء في بعض البلاد التي دخلها العرب واستوطنوها كمالطة في مثل :"حدم في خدم . وحمسة في خمسة " .

المجموعة الرابعة :

وتتكون من صوت واحد وهو القاف ومخرجه أقصى اللسان الحنكي .
وهو لا يستعمل الا أصلا .
ولكنه أبدل من الكاف نحو : " كشط في قشط "" وكلب في قلب " في لهجة جيجل ولهجة العراق والخليج .

المجموعة الخامسة :

وهي لصوت الكاف ومخرجه من اللسان الحنكي القصي ولا يستعمل الا أصلا .

2 — وروى ابدالها بالجيم نحو :"تشافو في كافو" . وهي لهجة أهل حوران وفلاحي الأردن .

3 — وأبدل موضعها وألحق بها صوت الشين أو السين في الوقف . وهي ما يعرف بالكشكشة نحو : " انش في انك " . والكسكسة نحو : " بيتكس في بيتك " وقد عرفت هذه الظاهرة في لهجة تميم وأسد وربيعة .

المجموعة السادسة :

وهي الأصوات التي مخرجها من وسط اللسان ومقابلة من الحنك الأعلى . وهي الجيم ، والشين ، والهاء اللينة .

أ — أما الجيم فتستعمل أصلا وبدلا .

ويمثل ابدالها ظاهرة قديمة جدا وهي في موضع اللام من اللفظ أو بآخره غالبا .

فتبدل من الياء في مثل : " علج في علي " . وتسمى العجعجة .

ب — الشين ولا يستعمل هذا الصوت غير أصل وبدل .

1 — تبدل منها السين نحو : " جمشوش في جمسوس " أى القميسون القليلون من النابس .

2 — وروى ابدالها من الجيم نحو : " مدمش في مدمج " .

3 — وأبدلت من الكاف في الوقف نحو : " عليش في عليك " .

جـ — وأما الياء فتستعمل أصلا وبدلا وزائدة .

وتبدل من حروف الألف والواو، والهمزة، والهاء، والسين والباء والراء والنون ، واللام ، والصاد ، والضاد ، والميم ، والدال والعين ، والكاف ، والتاء ، والثاء ، والجيم .

1 — تبدل من الألف نحو : " مفتاح : مفاتيح " .

2 — ومن الواو نحو : ميقات لأن أصلها موقات لسكون الواو وانكسار ما قبلها .

3 — ومن الهمزة نحو : " ذيب ، وبير في ذئب ، وبئر " .

4 — ومن الهاء نحو : مثل : " دهديت في دهدهت " .

5 — ومن السين نحو : " سادي في سادس " .

6 — ومن الباء نحو : " ثعالي في ثعالب " .

7 — ومن الراء نحو : " شيراز في شرّاز " .

8 — ومن النون نحو : " دينار في دنّار " .

9 — ومن الصاد نحو : " قصّيت في قصصت " .

10 — ومن الضاد نحو : " تقضيت من القضة " .

11 — ومن الميم نحو : " يأتمي من يأتم " .

12 — ومن الدال نحو : " التصدية من الصدّ " .

(الطاء ، والدال ، والتاء) .

الطاء ويستعمل أصلا وبدلا .

1 — تبدل من تاء افتعل اذا كان فاء الكلمة أحد أصوات (ص . ض . ط . ظ .) مثل : اصطبر ، اضطر ، اطّرد ، اضطلم .
وذلك للتقريب بين الأصوات .

2 — وأما الدال فتستعمل أصلا وبدلا .
فهي في مثل ازدهر ، ازدلف ، ازدجر هي من وزن افتعل مبدلة من التاء وذلك للتقريب بين الصوت والصوت .

3 — وأما التاء تستعمل أصلا وبدلا وزائدة .
وتبدل من ستة أحرف (و . ى . س . ص . ط . د) .

1 — تبدل من الواو في مثل :"تراث في وراث " .

2 — ومن الواو والياء في مثل : " أخت : بنت هنت " .
فهذه من أخو ، بنو ، وهنو .

3 — ومن الياء في مثل : " ثنتان من ثني " .

4 — ومن السين في مثل : " ستّ أصلها سدس " .

وتزاد في أوّل الكلمة نحو : تألب وثانيها نحو : اقتدار ورابعها نحو : سبته أى وقت وخامسها نحو جبروت وعلكبوت .

وفي أوّل الأفعال : نحو : تكشف .

ومن الطاء والدال في مثل : فستاط من فسطاط وتربوت من دربوت .

رأيت الذى أصله رأى ، فاذا قيل "أرأى" اجتمعت همزتان وجاء بينهما ساكن ونحن نعرف أن الساكن حاجز غير حصين فلذلك يلزم حذف الهمزة الثانية للتخفيف ويصبح المضارع من رأى — أرى .

كذلك تحذف الهمزة للتخفيف القياسي : فتأخذ الواو حركتها وتزول الهمزة . فالهمزة تحذف اذن ليسهل النطق (1) .

حذف الواو : لقد تحذف الواو في آخر الكلمة الثلاثية في الأسماء الصالحة العدة ، نحو : غد وأصله غدو ، وحم فأصله "حمو" وأب وأصله "أبو" .... الخ .

حذف الياء : كذلك قد تحذف الياء في آخر الكلمة الثلاثية فنقول : يد وأصلها يدى ، ودم وأصله دمي ... الخ .

حذف الهاء : لقد حذفوا الهاء في شفهة ، فقالوا : شفة ويتضح هذا الحذف في التحقير حين نقول : شفيهة وفي التكسير شفها وفي الفعل شافهت (2) .

حذف النون : لقد حذفت النون في بعض الكلام ، فقيل مذ ويقصد به "منذ" وكذلك مطلق وأصله منطلق .

---

(1) — ابن جني . سرّ صناعة الاعراب ، ج : 1 ، ص . 128 .

(2) — ابن جني . التصريف الملوكي ، ص . 42 — 43 .

وأخيرا قد تخفف الباء والحاء والفاء والطاء وهذا نحو :
رُبّ رجل وأصله ربب رجل ، وحرّ وأصله حرر ، والقول في التحضير
أف والأصل التشديد في الفاء : وقط وأصلها قططت .[1]

الوقف :

لقد اهتم اللغويون العرب كثيرا بظاهرة " الوقف " فخصصوا
لها صفحات عديدة من مؤلفاتهم .
وتحدث سيبويه في ظاهرة الوقف أكثر من عشرين صفحة مبينا
هذه الظاهرة ومعللا حدوثها فيتحدث عن الوقف في أواخر الكلم
المتحركة في الوصل ، وعن الوقف في أواخر الكلم المتحركة في
الوصل التي لا تلحقها زيادة في الوقف ، وعن حالات الوقف في
الواو والياء والألف والهمز .... الخ .[2]
ثم يتبعه في هذا الخط النحاة العرب ومن بينهم الزجاجي وابن جني
وابن السراج والزمخشري وابن يعيش .

يقول ابن السراج في تعريفه للوقف " الوقف على كل حرف بالسكون " .[3]
ويقول ابن جني في الوقف وهو يدرسه تحت باب الساكن والمتحرك
((أما أمام ذلك فانّ أول الكلمة لا يكون الاّ متحركا وينبغي لآخرها أن يكون

---

(1) ــ ابن جني . التصريف الملوكي . ص . 44 ــ 45 .
(2) ــ سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص . 166 ــ 185 .
(3) ــ ابن السراج . الموجز في النحو . بيروت . 1965 . ص . 38 .

ساكنا)) ويقول ابن يعيش في شرح المفصل ((اعلم أنّ للحروف الموقوف عليها أحكاما تغاير أحكام المبدوء بها.فالموقوف عليه يكون ساكنا والمبدوء عليه لا يكون الا متحركا الّا أنّ الابتداء بالمتحرك يقع كالمضطر اليه اذ من المحال الابتداء بساكن والوقف على الساكن صفة واستحسان وهو ما يشترك فيه الاسم والفعل والحرف [2])) .

اذا فظاهرة الوقف تكون في الاسم وفي الفعل وتكون في الحرف . تكون في الاسم اذا كان آخره حرفا صحيحا مرفوعا كان أو منصوبا أو مجرورا .

فأما الوقف على المرفوع فيذكره النحاة على أربعة أوجه يكون بالسكون ، ويكون بالاشمام ، ويكون بالروم ويكون أخيرا بالتضعيف .

فأما الوقف بالسكون : فهو عند النحاة الأصل والأكثر شيوعا والأغلب اذ هو يسلب الحركة وبه يحصل المتكلم على غرض الاستراحة .

وأما الاشمام : فهو ((العين دون الأذن [3])) وهو النطق بالفم دون احداث صوت اذ اضم الشفتين بعد الاسكان ويترك بينهما بعض الانفتاح ليخرج منه النفس فتبدو الشفتان مضمومتان ويعلم المخاطب بهذا أنّ المتكلم أراد يشمهما الحركة : يقول سيبويه ((فأما الذين أشموا فأرادوا أن يفرقوا بين ما يلزمه التحريك في الوصل وبين ما يلزمه الاسكان على كل حال [4])) .

---

(1) — ابن جني . الخصائص . ج : 2 . ص . 328 .
(2) — ابن يعيش . شرح المفصل . ج : 9 . ص . 66 .
(3) — ابن جني . الخصائص . ج : 2 . ص . 328 .
(4) — سيبويه . الكتاب . ج : 2 . ص . 281 .

وأما الـروم : وهو روم الحركة ((يكاد الحرف يكون به متحركا ألا تراك تفصل به بين المذكر والمؤنث في قولك في الوقف أنت وأنت فلولا أنّ هناك صوتا لما وجدت فصلا [(1)])) .

والروم صوت ضعيف ((كأنك تروم الحركة ولا تتمها وتختلسها اختلاسا وذلك يدركه الأعمى والبصير أنّ فيه صوتا يكاد يكون الحرف به متحركا ألا تراك تفصل فيه بين المذكر والمؤنث في أنت وأنت فلولا أنّ هناك صوتا لما فصلت بين المذكر والمؤنث [(2)])) .

وأما التضعيف : وهو أن يضاعف الحرف الموقوف عليه وأن يزاد عليه حرف مثله فيحدث عن هذا ادماغ . ولا يأتي التضعيف اذا كان الحرف الأخير من الكلمة همزة ويستعمل التضعيف في القوافي .

يقول سيبويه : ((وأما الذين ضاعفوا فهم أشدّ توكيدا أرادوا أن يجيئوا بحرف لا يكون الذي بعده الّا متحركا لأنّه لا يلتقي ساكنا فهؤلاء أشدّ مبالغة وأجمع [(3)])) .

ونذكر أنّ سيبويه اهتم كثيرا بالوقف في المرفوع حتى انه جعل لكل حالة من الحالات الأربعة المذكورة علامة في الخط . ((فللاشمام نقطة وللذي أجرى مجرى الجزم والاسكان الخاء ، ولروم الحركة خط بين يدي الحرف وللتضعيف الشين [(4)])) .

---

(1) — ابن جني . الخصائص . ج : 2 . ص . 328 .
(2) — ابن يعيش . شرح المفصل . ج : 9 . ص . 67 .
(3) — سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص . 168 .
(4) — نفسه . ص . 169 .

ويعرّف أبو حيان في شرح التسهيل الوقف بقوله :
((هو قطع النطق آخر اللفظ ، وهو مجاز من قطع السير ، وكأنّ لسانه عامل في الحروف ثم قطع عمله فيها)) .

قال ابن الدماميني : ((وهو أحسن من قول ابن الحاجب : قطع الكلمة عن ما بعدها)) وقال الجعبري : قطع الصوت (القارئ على آخر الكلمة الوضعية زمنا) قال : فقطع الصوت جنس وآخر الكلمة : فصل أخرج قطعه على بعضها) فهو لغوي لا صناعي ، والوضعية : ليندرج فيه نحو : كلما الموصولة : فانّ آخرها وضعها الميم ، وزمانا وهو ما يزيد على الآن ، أخرج به السكت قال : وهذا أجود من قولهم ، قطع الكلمة عما بعدها ، أو قطع الحرف عن الحركة لعمومه (1)) .

ويفرق ابن الجزري في النشر بين الوقف ، والسكت فقال :
((والوقف عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنيّة استئناف القراءة اما بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله لا بنيّة الاعراض ، وتنبغي البسملة معه في فواتح السور ويأتي في رؤوس الآي و أواسطها ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسما ، ولابد من التنفس معه)) .

وأما السكت : فهو عبارة عن قطع الصوت زمنا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس (2).

---

(1) — شهاب الدين القسطلاني . لطائف الاشارات ص . 248 .
(2) — ابن الجزري . النشر في القراءات العشر . ج : 1 . ص . 240 .

وما يتضح من قول ابن الجزري في الفرق بين الوقف والسكت أنّ الوقف يشترط فيه التنفس مع المهلة ، والسكت لا يكون معه التنفس . وقد خرج بقوله بنية استئناف القراءة القطع : والمراد به الانتهاء كالقطع على حزب أو ورد ونحوهما ، مما يشعر بالقضاء من القراءة .

أما بالنسبة لوسائل الوقف فلم يضف العلماء الذين جاءوا بعد سيبويه شيئا يذكر .

قال الزمخشري : ومن أصناف المشترك الوقف ، وفيه أربع لغات : الاسكان الصريح ، والاشمام ، وهو ضم الشفتين بعد الاسكان والروم ، وهو أن تروم التحريك ، والتضعيف ، ولها في الخط علامات فللاسكان الخاء ، وللاشمام نقطة ، وللروم خط بين يدى الحرف وللتضعيف الشين ، والاشمام مختص بالمرفوع ويشترك في غيره المجرور والمرفوع والمنصوب غير المنون والمنون ، والتضعيف مختص بما ليس بهمزة من الصحيح المتحرك ما قبله (1) .

ويشرح ابن يعيش وسائل الوقف في الشرح دون أن يضيف شيئا جديدا على ما جاء به سيبويه (2) . وسنشرح كيفية الوقوف على كل حالة من حالات الوقف .

---

(1) — ابن يعيش . شرح المفصل . ج : 9 . ص . 67 .

(2) — نفسه . ص . 97 .

ورموا وعمى وحبلى .... وزعم الخليل أنهم لذلك قالوا ظلموا ورموا فكتبوا بعد الواو ألفا وزعم الخليل أن بعضهم يقول رأيت رجلا فيهمز وهذه حبلاء وتقديرهما رجلع وحبلع فهمز لقرب الألف من الهمزة حيث علم أنه سيصير الى موضع الهمزة فأراد أن يجعلها همزة واحدة وكان أخف عليهم .(1)) . فاذا استطاع أن يقول أن الوقف في الواو والياء والألف يأتي بهمز هذه الحروف في آخر الكلمة .

وقد اصطلح الأئمة لأنواع أقسام الوقف أسماء : اختيارى ، واضطرارى والتام أو الكافي ، والحسن ، والقبيح .

يقول ابن الجزرى : ((وأقرب ما قلته في ضبطه أن الوقف ينقسم الى اختيارى واضطرارى : لأن الكلام اما أن يتم أولا فان تم كان اختياريا وكونه تاما لا يخلو اما أن لا يكون له تعلق بما بعده البته — أى لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى — فهو الوقف الذى اصطلح عليه " بالتام " وان كان له تعلق فلا يخلو أن يكون من جهة المعنى فقط وهو الوقف المصطلح عليه " بالكافي " للاكتفاء به عما بعده وان كان التعلق من جهة اللفظ فقط فهو الوقف المصطلح عليه " بالحسن "))(2) .

ويفهم من تعريف ابن الجزرى أن :

الوقف التام : كما يوقف عليه يبتدأ بلاحقة ، ويكون بعد تمام الكلام والفواصل . وانقضاء القصص والأخبار وقد يكون قبل انقضاء الفاصلة ورؤوس الآى . نحو الوقف على (بسم الله الرحمن الرحيم) والابتداء (الحمد لله ربّ العالمين) .

---

(1) — سيبويه . الكتاب . ج : 4 . ص . 176 .

(2) — ابن الجزرى . النشر في القراءات العشر . ج : 1 . ص . 226 .

الوقف الكافي (1) : يكثر في الفواصل وغيرها نحو (ومما رزقناهم ينفقون ، انما نحن مصلحون) هذا كله مفهوم ، والذي بعده مستغن عما قبله لفظا وان اتصل معنى .

والوقف الحسن (2) : نحو الوقف على (بسم الله) وعلى (الحمد لله) وما أشبهه حسن لأنّ المراد من ذلك يفهم .

والوقف القبيح (3) : نحو الوقف على (بسم) ، وعلى (الحمد) وعلى (ربّ) فكلّ هذا لا يتم عليه كلام ولا يفهم منه معنى .

وما نخلص اليه أنّ ظاهرة الوقف تدل بوسائلها المتعددة على موقع هو في طابعه " مفصل " من مفاصل الكلام يمكن عنده قطع السلسلة النطقية فينقسم السياق بهذا الى دفعات كلامية تعتبر كل دفعة منها اذا كان معناها كاملا واقعة تكميلية منعزلة أما اذا لم يكن معناها كاملا كالوقف على الشرط قبل ذكر الجواب مثلا فانّ الواقعة التكميلية حينئذ تشمل على أكثر من دفعة كلامية واحدة .
ولعلّ ظاهرة الوقف باعتبارها موقعية من مواقع السياق العربي ترجع الى كراهية "توالي الأضداد " أو " كراهية التنافر " ان شئت اسما آخر لهذا المظهر من مظاهر الذوق العربي ، فالحركة مظهر من مظاهر الاستمرار في الأداء والصمت التي يأتي عن تمام المعنى جزئيا أو كليا أو عن انقطاع النفس أو لأي سبب يدعو الى قصد الوقف يعتبر عكس الحركة تماما

---

(1) — ابن الجزري . النشر في القراءات العشر . ج : 1 . ص . 228 .
(2) — نفسه . ص . 228 .
(3) — نفسه . ص . 229 .

وأصل همزة الوصل أنها تأتي ساكنة ثم كسرت لالتقاء ساكنين أي أن الحرف الذي بعدها ما ساكنا دائما يرغمها في أن تحرك وتكسر .

فيقول ابن جني في همزة الوصل : ((حكمها أن تكون ساكنة لأنها حرف جاء لمعنى لاحظ له في الاعراب وهي في أول الحروف كالهاء التي لبيان الحركة بعد الألف في آخر الحروف في : وازيداه....

فكما أن تلك ساكنة فكذلك كان ينبغي في الألف أن تكون ساكنة....

فلما اجتمع ساكنان ، هي والحرف الساكن بعدها ، كسرت لالتقائهما ؟

فقلت : اضرب ، اذهب ، ولم يجز أن يحرك ما بعدها لأجلها من قبل انه لو فعلت ذلك لبقيت هي أيضا في أول الكلمة ساكنة ، فكان يحتاج لسكونها الى حرف قبلها محرك ، يقع الابتداء به .

فلذلك حركت هي دون ما بعدها (1))) .

ومما نخلص اليه أن همزة الوصل جاءت في الكلام لتكون وسيلة المتوصل الى النطق بالساكن هذا من جهة ومن جهة أخرى أن الوظيفة التي تدل عليها همزة الوصل وجدت في بداية الكلام هي أنها علامة على هذه البداية — بداية النطق وليس بداية الجملة بالضرورة .

وهذه دون شك دلالة على الموقع تجعل الهمزة ذات صلة بالهيكل العام للمعنى الأمر الذي جعل ظاهرة الوصل أو التوصيل موقعية من مواقع السياق العربي ويعني المحدثون " بالموقعية " مصطلح يطلق على دراسة لعلامات المواقع ، أو دراسة لسلوك الأصوات في الموقع ، طبقا لما يقتضيه النحو سواء أكان هذا الموقع بداية الكلمة ، أو وسطها ، أو نهايتها . اذا

---

(1) — ابن جني ، سر صناعة الاعراب ، ج : 1 ، ص ، 127 .

الذي نسمّيه موقعية الشدة الأنفية (1) .

موقعية الشيوع (2) :

وانما سميت بذلك لأنها تعين المواقع سواء أكانت في مبدأ الكلام ، أو وسطه ، أو نهايته ومنها :

1 — الاجهار والاهمساس .
2 — قوة النطق وضعفه .
3 — التفخيم والترقيم .
4 — الكمية .
5 — النبر .
6 — التنغيم .

موقعية القلقلة (3) :

انّ أي حرف من هذه الحروف لا يقلقل اذا شدد والا اذا تلاه آخر من نفس مخرجه ، فلا قلقلة لباء ساكنة متلوة بميم ولا لطاء متلوة بتاء .

---

(1) د. تمام حسان . مناهج البحث ، ص 141 .
(2) — نفسه . ص . 151 .
(3) — نفسه . ص . 150 .

موقعية التقاء الساكنين (1) :

علامتها الكسرة التي لا مبرر لها من الناحية الاعرابية البحتة وكل ساكنين التقيا يتحرك أولهما مدا وثانيهما مشددا كما يرى ذلك في الفرق بين الأمثلة الآتية :

لم يكن الذين كفروا ....

اضرب المذنب .... مدهامتان .

والحقيقة سقنا كلّ هذه الأنواع من الموقعية وأدرجناها تحت مصطلح " الوصل أو التوصل " لأنّ كلا منها يشير الى نقطة اتصال من نوع خاص . فالشدة الأنفية تشير الى نقطة اتصال بين شديد وأنفي والقلقلة تشير الى نقطة اتصال حرف من حروفها بآخر من غير مخرجه والكسرة لالتقاء الساكنين يشير الى نقطة اتصال ساكن بساكن كما هي الحال في همزة الوصل . وتسمى هذه الظاهرة (ظاهرة التخلص من التقاء ساكنين ، والتخلص في السياق جزء من سليقة العربي وعادة من عاداته النطقية) .

أما موقعيات الوسط فتشمل ما يلي (2) :

1 — موقعية نقطة الاتصال .
2 — موقعية الشدة الأنفية .
3 — موقعية القلقلة .
4 — موقعية الساكنين .

---

(1) — تمام حسان . مناهج البحث . ص . 150 .
(2) — نفسه . ص . 148 .

" سمكة " ، " قاضى " ، " قالوا " ، " راكب " ، " يدخل " .

وخلاصة القول أن هذه من أهم الافكار التى أتى بها القدماء والمحدثون فى دراسة التغيرات الصوتية سواء أكانت تغيرات مشروطة تركيبية أم تاريخية يتحكم فيها السياق أو لا يتحكم ، والرأى السديد فيها دوما يرجع الى شيخ النحاة فى كتابه ، وان كنا نلاحظ أن ابن جنى بذل جهدا كبيرا فى دراسة التغيرات الصوتية وأنه أتى بالكثير من المعلومات الجديدة فى هذا الميدان لم يسبقه لمعظمها نحوى قبله ورغم الجهد الذى بذله ابن جنى فى دراسة التغيرات الصوتية فهو يصفها بأنها عمل مكروه ومن الأحسن أن يبتعد عنها كلما استطعنا الى ذلك سبيلا : " وكلما وجدت السبيل الى قلة الاعلال فلا تعدلن عنه الى ما يلزمك كثرة الاعلال ."(1)

فالملاحظ أن اهتمام ابن جنى باللغة العربية جعله يخاف عليها من كثرة التغيرات التى تحدث للكلمة فتغير شكلها . ولذلك نرى أن درجات التغير عنده مهمة . فالتغير الذى يغير صوت الكلمة يستحسن عن الذى يطغى على الشكل كله .

وأن التغيرات الصوتية التى تحدثنا عنها تشكل ظاهرة عامة وهامة فى اللغة العربية سواء على مستوى الدراسات الصوتية أو الصرفية أو النحوية أو الدلالية وتتطلب مزيدا من البحث والدراسة

---

(1) — ابن جنى ،المنصف ، ج : 2 ص 262 .

والحقيقة أن " الاستنطاء " ليس ظاهرة عامة ، عند القبائل التي روى عنها ، في كل عين ساكنة تجاور طاء ، كما تقول المصادر وانما هو خاص بكلمة : " أعطى " وحدها .

وان الدرس الصوتي لا يعدّ هذا من الابدال اذ يشترط القرابة الصوتية بين الصوتين المبدلين وليس بين العين والنون أيّة قرابة صوتية لا في المخرج و الحيّز ولا في الصفة كما سبق أن بيّنا في تحديدنا لمخارج الأصوات وصفاتها في هذه الرسالة ، وان رضينا بالابدال في ظاهرة العنعنة ، بين الهمزة والعين لقرب مخرجيهما فلم نر أي مبرر يجعل ظاهرة الاستنطاء من قبيل الابدال .

ولهذه الظاهرة تعليل ساقه الدكتور ابراهيم السامرائي فيقول : ((وملاك الأمر في هذه النون ، أنها لم يكن مقابلة للعين في " أعطى " وانما جاء من أنّ الفعل كان : " آتى " بمعنى : " أعطى " ثم ضعف الفعل فصار : " أتّى " بتشديد التاء . ومعلوم أنّ فك الادغام في العربية وفي غيرها من اللغات للسامية ، يقتضي ابدال النون بأحد الحرفين المتجانسين ، كما نقول في العربية " جندل " وهي من : " جدّل ")) ، بتشديد الدال وهذا كثير معروف .

2 — التضجع :

يعزى هذا المصطلح الى قبيلة قيس[1] ، و التضجع في اللغة مصدر " تضجع في الأمر " : اذا تقعد ولم يقم به " ولعلّ المراد بتضجع

---

(1) — مادة (ض . ج . ع) ابن منظور . لسان العرب . ج : 10 . ص . 89 .

ولعلها أوسع من الفتح الذى هو فى قريش وبعض جيرانها من قبائل الحجاز " كما ذكر الصاحبى فى فقه اللغة وشواهد التلتلة كثيرة أفاضت بها كتب اللغة .

وتعد هذه الظاهرة مشتركة بين العبرية والسريانية والحبشية مما يدل على أصالة الكسر فى جميع اللغات السامية ومنها العربية ولن تتخصص بها اللهجات المذكورة فقط : وتتفق التلتلة مع التضجع فى التعريف اذ المقصود به كسر حرف المضارعة كما ذهب أنستاس الكرملى (1)

4 — الشنشنة :

عرت المصادر هذا المصطلح الى لغة اليمن :

وتعرف : أنها ابدال الكاف شينا مطلقا ليس فى الوقف فقط . فيقولون : " لبيش اللهم لبيش " مكان " لبيك اللهم لبيك "

ولا يزال هذا النطق شائعا فى بعض الأمثلة فى عامية (حضرموت) اذ يقولون " عليش " بدلا من " عليك " .

وتتفق هذه الظاهرة من بعض الوجوه مع ظاهرة " الكشكشة " التى سوف اتحدث بالتفصيل عنها فيما بعد .

---

(1) — أنظر : مقال أنستاس الكرملى . عن اللغات واللثغات . ص530 .

5 — الطمطمانية :

رأينا أن اللام تبدل من " ال " التعريف فيما وهذا الابدال يشكل ظاهرة أطلق عليها مصطلح " الطمطمانية " وعرفت بها لهجات : " الأزد ، وطيء ، واليمن ، وحمير "[1] . وقد سقنا لهذه الظاهرة الحديث النبوي الشريف : (ليس من امبر امصيام في امسفر) أي (ليس من البر الصيام في السفر)[2] وشواهدها كثيرة في العربية ، وتعريف الطمطمة : " أن يكون الكلام مشبها لكلام العجم "[3] .

والطمطمانية : العجمة .

والعرب حين سمت هذه الظاهرة بالطمطمانية ، انما يريدون رميها بالعجمة ، وكأنها غير عربية . والسؤال الذي يطرح هنا هو : هل يشكون في عروبة القبائل التي استعملت هذه الاداة ؟
ان مثل هذا الابدال ، وأعني بين اللام والميم ، كثيرا مايقع في اللغات السامية ، وقد مر بنا الكلام على ابدال اللام والنون ، والميم والنون والآن نحن بصدد ابدال اللام والميم . وهذه الاصوات الثلاثة (اللام والميم والنون) تعد من الاصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين وهي من أكثر الاصوات شيوعا في اللغات السامية كما يقول

---

(1) — مادة (   ) ابن منظور . لسان العرب . ج : 14 ص 301 .
(2) — نفسه . ج : 5 ص 116 .
(3) — المبرد . الكامل . ج : 1 ص 221 .

آخر . لنستدل به على ابدال الحاء عينا سمة لغوية فى هذيل بدليل أن حاء " حين المجاورة لكلمة "حتى " فى الآية نفسها لم تقلب عينا . أى أن هذا الابدال خاص بكلمة : "حتى " .

ويرجع بعض علماء الأصوات المحدثين[1] صوت العين فى هذه الكلمة الى الأصل السامى الذى احتفظت به هذيل ويذهب الى أن : " عتى " منحوتة من "حتى " العربية ، وعد أو عدى السبئية .

9 — الكسكسة :

يعزى هذا المصطلح الى قبيلة "بكر" كما يعزى الى : "هوازن" وعن القراء أنه فى لغة " ربيعة ومضر " وفى القاموس المحيط أن " الكسكسة لغة تميم لا لبكر ".

وتعرف الكسكسة بأنها ابدال كاف المخاطبة سينا للتفرقة بين المذكر والمؤنث فى حالة الوقف ، فيقال " عليكس " مكان" عليك ."

وقد اختلف اللغويون فى تحديد المقصود بالكسكسة ، فذهب المبرد الى أن قوما من بكر ، يبدلون من الكاف سينا ، ولكن أكثر القبائل لا يعممون هذا الابدال على الكاف ، وانما يتبعون كاف المؤنثة فى الوقف سينا .

يقول المبرد : " وأما بكر فتختلف فى الكسكسة ، فقوم منهم يبدلون

---

(1) — رابين Ancien P. 40/ 85. •

من الكاف سينا ، وهو أقلهم ، وقوم يبينون حركة كاف المؤنث في الوقف بالسين فيزيدونها بعدها . فيقولون :أعطيتكس"[1] .

والأصل عندنا في هذا قول سيبويه :

" واعلم أن ناسا من العرب ، يلحقون الكاف السين ليبينوا كسرة التأنيث وانما الحقوا السين لأنها قد تكون من حروف الزيادة في استفعل ، وذلك " أعطيتكس" فاذا وصلوا لم يجيئوا بها ، لأن الكسرة تبين[2] .

وما نجزم به في هذا الصدد أن مصطلح " الكسكسة " مرتبط بمصطلح آخر هو " الكشكشة " الذي نعرفه الآن بعد هذا ونظرا لتلاسط اللغ وبين أحدهما بالآخر ثم الجومنا علاجا واحدا ، بعد عرض آرائهم في " الكشكشة " فيما يلي :

10 — الكشكشة :

يعزى هذا المصطلح الى " ربيعة " ، ومضر " كما يعزى الى " بكر وبني عمرو بن تميم " ، وناس من أسد .

وتعريفها عند اللغويين : هي ابدال الكاف شينا ولا سيما في الوقف نحو : " عليش" مكان " عليك " ، أوالحاقها شينا ، وقد ذكر سيبويه هذين الاستعمالين في الكشكشة فقال : (فأما ناس

---

(1) — المبرد : الكامل . ج : 2 . ص 223 .

(2) — سيبويه . الكتاب . ج : 2 . ص 295 .

كثير من تميم ، وناس من أسد ، فانهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين ، وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف ، لأنها ساكنة في الوقف فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث ، بحرف ، كان أقوى من أن يفصلوا بحركة ... وذلك قولك : " انش ذاهبة " " ومالش " ، يريدون : " انك ومالك " ...
وقوم يلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة في الوقف كما ابدلوا مكانها للبيان ، وذلك قولهم : أعطيتكش فاذا وصلوها تركوها " (1) .

ويفهم من قول سيبويه هذا أن الكشكشة خاصة بكاف المؤنث في الوقف وان كانت أمثلته في ابدالها شينا . وهي : " انش ذاهبة " لا تصلح فيما يبدو الا للوصل .

وقد أورد اللغويون بعض الشواهد في مصادر التراث بذكر قول المبرد في كامله (2) : يقولون للمرأة : " جعل الله البركة في دار ش " وقولهم : "ويحك مالش" والاخير تظهر فيه كافان للمؤنث احداهما في " ويحك " في الوصل ، وقد بقيت كافا ، والأخرى في " مالك " في الوقف ، وقد قلبت شينا .
وقد ذكر المبرد ذلك صراحة ، فقال : " والتي يدرجونها يدعونها كافا ، والتي يقفون عليها يبدلونها شينا " (3) .

---

(1) — سيبويه . الكتاب . ج : 2 . ص 295 .

(2) — المبرد . الكامل . ج : 2 . ص 223 .

(3) — نفسه .

غير أن هناك شواهد كثيرة على قلب كاف المؤنثة شينا في الوصل :

قال شاعر :

فعيناش عيناها وجيدش جيدها *** ولونش الاّ أنها غير عاطل

الا أن مانلاحظه أن هناك بعض الشواهد وقفنا عندها في المصادر العربية رويت عن أصحابها ورأينا فيها ظاهرة الكشكشة بقلب الكاف شينا في غير كاف المؤنث مثل قول الراجز :(1)

علي فيما ابتغي أبغيش

بيضاء ترضيني ولا ترضيش

وتطبي ودّ بني أبيش

اذا دنوت جعلت تنئيش

وان نأيت جعلت تدنيش

وان تكلمت حثت في فيش

حتى تنقي كنقيق الديش

أما الحاق كاف المؤنثة شينا فلم يرد له شواهد من الشعر أو من النثر وانما اكتفوا لذلك بقولهم : (رأيتكش ، وبكش ، وعليكش)(2) .

---

(1) — راجع : سر صناعة الاعراب ، ج : 1ص 216 .

(2) — مادة (ك ، ش ، ش) لسان العرب ج : 8 ، ص 233 .

(3) — أنظر : المزهر ، ج : 1،ص 221 .

سر صناعة الاعراب ، ج : 1 ، ص 235 .

الخصائص ، ج : 2 ، ص 11 .

والآن وبعد أن فرغنا من تعريف مصطلحي " الكسكسة والكشكشة " في كتب التراث العربي يلاحظ مايلي :

ينسب مصطلح " الكسكسة والكشكشة " أحيانا الى قبيلة واحدة ، كنسبة الفراء الكسكسة الى ربيعة ومضر ، والشائع هو نسبة " الكشكشة " اليهما كما أنه انفرد بتفسير الكسكسة عند ثمد " بأنها الحاق كاف المذكر سينا " ـ ولم أجد غيره يمثل ذلك ـ كما أن ابن دريد انفرد بنسبة " الكشكشة " الى بكر ، والشائع هو نسبة الكسكسة اليها .
ويبدو أن هذا الخلط هو قبول الكلمة للتصحيف في السين والشين

يبدو من خلال التعاريف أن مصطلحي " الكسكسة " و" الكشكشة " ينحصران في أمرين :
الحاق الكاف المكسورة سينا في الكسكسة وشينا في الكشكشة ، أو ابدالها سينا أو شينا كذلك .

والظاهر أن الامر الأول تفسير من اللغويين لما سمعوه ولم يستطيعوا كتابته ، اذ أن هذه الكاف لم تلحق لسين أو شين ، كما ظنوا ، وانما تحولت الى صوت من الأصوات المزدوجة ، التي سبق الحديث عنها والمسماة باللاتينية (Affricata) فقد وصل العلماء في مقارنتهم اللغة السنسكريتية باللغتين اليونانية واللاتينية ، الى قانون سموه " قانون الأصوات الحنكية " في أواخر القرن التاسع عشر ، ولاحظوا أن أصوات أقصى الحنك كالكاف والجيم الخالية من التعطيش ، يمثل لمخرجها الى نظائرها من أصوات أمامية ، حين يليها صوت لين أمامي كالكسرة ، لأن صوت اللين الأمامي في مثل هذه الحالة يجتذب

الى الامام قليلا ، أصوات أقصى الحنك ، فنقلت الى نظائرها من أصوات وسط الحنك وهذا معناه أن الكاف المكسورة تتحول فى هذه اللهجات الى صوت مزدوج هو " تش " وهذه هي الكشكشة ، أو " تس " وهذه هي " الكسكسة " .

ويبدو أن ابن دريد قد أحس بهذا النطق وان لم يصرح بذلك فى وصفه حين قال : " واذا اضطر الذى هذه لغته قال : جيدش وغلامش . بين الجيم والشين ، اذا لم يتهيأ له أن يفرد الجيم ، ولا الشين (1) ".

يبدو أن ظاهرتي : " الكسكسة والكشكشة " كانتا مقيدتين فى الاصل بكاف مكسورة ، حتى يمكن لقانون : " الاصوات الحنكية " أن يلعب دوره .

أما تقييد القدماء ذلك بكاف المؤنثة فهو مبني — فيما يظهر — على استقراء ناقص . وعندما عثروا على مثال يعارض قواعدهم ، وهو : " الديش " فى الرجز الذى سقناه من قبل . لجأوا فى تفسيره الى نظرية القياس ، فقالوا : (شبه كاف الديك ، لكسرتها بكاف ضمير المؤنث " ويبدو أن ثعلبا قد فطن الى ذلك حين تحدث فى الكسكسة والكشكشة " عن الكاف المكسورة لاغير (1) " ولم يقيدهما بكاف المؤنث كغيره من اللغويين .

تقييد اللغويين لظاهرتي : " الكسكسة والكشكشة " بالوقف ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية ، حتى وان قالوا بأن " الكسرة الدالة على

---

(1) — مجالس ثعلب . ج : 1 . ص 116 .

التأنيث تخفى فى الوقف ، فزادوا على هذه الكاف فى الوقف سينا . حرصا على البيان " لأنّ هذا الحرص على البيان سيكون فى هذه الحالة قصدا للمتكلم ، وليس ضرورة صوتية تحتمها أعضاء النطق فى الوقف . والدليل على ذلك أيضا ، تلك الشواهد الكثيرة التى ساقها اللغويون لهذه الظاهرة فى حالة الوصل ، وان تحايل بعضهم على ذلك بالعلة المشهورة وهي اجراء الوصل مجرى الوقف .

بقي بعد هذا تفسير الشق الثانى من ظاهرتي الكسكسة والكشكشة بأنهما ابدال الكاف سينا " فى الكسكسة " وشينا فى " الكشكشة " . ومن الممكن القول بأن اللغويين القدماء سمعوا الازدواجية فى الكاف، ولم يستطيعوا كتابتها بالضبط ، فدلوا عليها مرة بالكاف والشين ، ومرة أخرى بالشين وحدها . لولا أن هذه الظاهرة لاتزال موجودة فى بعض مناطق الجزيرة العربية ، كمنطقة عسير التى يقول أهلها مثلا : " أبوش" و"أمش" فى " أبوك " و" أمك " .

وفى رأيى أن ظاهرة الشنشنة " التى عرفت بها اليمن ، والتى سبق ذكرها هنا الا شىء من هذا ، فقالوا عنها انها عبارة عن جعل الكاف شينا " وتفسير ذلك يرجع الى أن الأصوات المزدوجة تميل فى تطورها الى أن تتحول الى أحد الصوتين المكونيين لها وهذا هو صوت الجيم وهو — كما عرفنا من قبل — من الأصوات المزدوجة فى الفصحى ، تراه وهو المكون من دال مخرجها من الغار ، يعقبها شين مجهورة ، يتحول فى اللهجات العامة الى أحد هذين الصوتين ، فمثال تطوره الى الدال فى " دشع " و " جشع "و مثال تطوره الى الشين المجهورة النطق الشامى للجيم فى الوقت الحاضر . وقد ضاع الجهر فى بعض

الكلمات وصارت الجيم شينا مهموسة ، كالشين القديمة مثل : "فشر" في " فجر ".

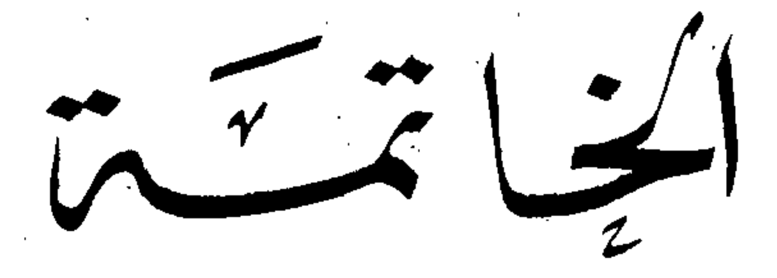
وعلى ذلك يمكن القول بأن الكسكسة بابدال الكاف سينا والكشكشة بابدال الكاف شينا ، ليستا الا تطورا على هذا الطريق من الصوتين المزدوجين : تس // س

تش // ش

11 — الـوقـم :

مصطلح يتجلى في ابدال السين تاء في بعض الكلمات في لهجة اليمن فيقولون " النات " مكان " الناس " .

وما نخلص اليه أن أغلب هذه الظواهر اللهجية ترجع الى تقارب المخارج مرة ، والاقتصاد في الجهد مرة ، والاشتراك في الصفة الاخرى، ومثل ذلك يمكن أن يفسر في بعض اللغات السامية ولا سيما العبرية التي من شأنها أن تدغم الأصوات الضعيفة أو القريبة المخارج أو المتشابهة في الصفة أو في أصوات مواخية لها أو مقاربة في المخرج .


الخاتمة

انه من الطبيعي أن تكون في توصلنا الى دراسة المصطلحات الصوتية عند العرب مدينين كثيرا لكتب التراث التي أمدتنا أساسا بالمادة الصوتية من حيث هي مجهر تستكشف النص بالنص ، فنستخرج المصطلح الذي يكون الكلام فيه راوية لذاته ، وحجة على نفسه ، اقتناعا منا بأن المصطلحات تنشأ من الاستعمال أي من نصوص المختصين مهما كانت قيمتها التي يمكن النطق فيها في مرحلة ثانية من النقد والتحليل .

فبهذا المنظور الذي نستطيع أن نتوقف الآن لنتفقد النتائج التي أسفرت عليها هذه الدراسة المتواضعة .

من خلال العرض التاريخي للدراسات الصوتية عند الأمم القديمة تجلى لنا أن اليونان والرومان والهنود والعرب صنفوا أصوات لغتهم على حسب " طريقة النطق " لكن ما يلاحظ أن هذا التصنيف قائم على خلاف بينهم في المصطلحات والتفصيلات والأسس التي يقوم عليها كل منهم .

فاليونان أطلقوا مصطلحات على تقسيم ما نسميه " صوامت " عرفت بـ " أشباه صائتة " و " مغلقة " ، وقد اعتبروا أشباه الصائتة " متوسطة " بين الصوائف والمغلقة .

أما الهنود فقد توصلوا الى تقسيم الصوامت الى " مغلقة " و" أشباه صائتة " و " ضيقة " على أساس تقارب أعضاء النطق .

من البحوث اللغوية ، وما لاحظناه أنه :

أثرت عن اليونان مادة صوتية جاءت متناثرة في أقوال متناثرة في محاورات أفلاطون ، وفي الشعر والخطابة لأرسطو ، وكتابات نحوييهم .

قلد الرومان اليونانيين في أكثر المسائل الفكرية والثقافية وأثر عنهم مادة صوتية تجلت في كتابات نحوييهم أيضا .

سلك قدماء العرب طرقا مختلفة في دراساتهم الصوتية واعتمدوا على ما يمكن أن نسميه بطريقة التجزئة وأفردوا لبعضها أبوابا جاءت متناثرة هي الأخرى في مصنفاتهم غير مقصودة لذاتها وانما هي لغيرها ولا يجمع شتاتها منهج واضح ، وتنوعت مصادرها تنوع المادة اللغوية استنتجنا منها ما يلي :

تناول أصحاب المعجمات المشكلات الصوتية في ثنايا المادة اللغوية المجموعة كما أبدوا اهتمامهم بالدراسات الصوتية ومصطلحاتها في مقدمات المعجمات على نحو ما نجده في كتاب العين للخليل ، والجمهرة لابن دريد ، وتهذيب اللغة للأزهري .

خصص النحاة بعض الأبواب جاءت هي الأخرى متفرقة في كتبهم للدراسات الصوتية وارتأينا أنهم لم يقصدوا الدراسات الصوتية لذاتها وانما لغيرها حيث اعتبروها تمهيدا أو مدخلا لدراسة ظاهرة الادغام مثلا على نحو ما وجدناه عند سيبويه في نهاية مؤلفه الكتاب اذ عالج الأصوات ومخارجها وصفاتها قبل معالجة الادغام ، وتبعه في ذلك المبرد في مقتضبه والزجاجي في جمله

أطلق مصطلح "الأصوات" وهو مصطلح "علم مخارج الحروف" الذى عده الباحثون أول تسمية محددة شاملة لما يطلق عليه مصطلح "علم الأصوات" فى العصر الحديث بعد أن استعمل هذا المصطلح لأول مرة ابن جنى فى كتابه سر صناعة الاعراب .

وفى كتب الموسوعات وجدنا الجاحظ فى كتاب "البيان والتبيين" يفرق بين مصطلح "الصوت" و "الحرف"

ومما لاحظناه أن العرب المحدثين أيضا لم يتفقوا على مصطلح موحّد بينهم وكثيرا منهم يطلق على "الصوت" مصطلح الرمز مرة ومصطلح "الحرف" أخرى ، وفى رأينا أن مصطلح الحرف عند القدماء والصوت اللغوى عند المحدثين من العرب والفونيم عند الغربيين هى مصطلحات مترادفة والحرف هو الصوت فى الكلام المنطوق كما يطلق على الخط المكتوب الذى يقابله .

عرف علماء العرب الكثير من مصطلحات أعضاء النطق وميزوا دور كل منها فى عملية احداث الكلام ، وعزوا كل صوت الى مخرجه .

لقد أشار الخليل فى مقدمة "العين" الى مصطلحات مثل : "الحلق" ، و "اللهاة" و "نطع الغار" و "اللسان وأسلته" و "شجر الفم" و "اللثة" ، و "الشفة" ..... الخ

وعرف سيبويه فى "الكتاب" الحلق ، وقسمه ثلاثة أقسام : أقصاه (وعنى به الحنجرة) وأوسطه وأدناه .

و "الحنك " وأقسامه (وذكر ثلاثة منها) و " اللسان " وأقسامه و " الأسنان " وأشار الى أصول " الثنايا العليا " ، والحنك " و " الشفتين " و " الخيشوم " الذي يقابل الفراغ الأنفي عند المحدثين :

وعرف أبو العباس المبرد في " مقتضبه " الحلق ، ومخارجه و " الشدق " " الفك " و " اللسان " وأقسامه ، و " الثنايا العليا " و "أصول الثنايا " و " الرباعيات " و " الشفتين " و " الخيشوم " .

وردد ابن دريد في " مقدمة الجمهرة " وابن جني في " سر صناعة الاعراب " مسميات لأعضاء النطق الا أننا نلمس جديدا عند ابن جني في كتابه الذي ألمعنا اليه وهو تشبيه "الحلق " بالناى ، و تشبيه مدارج الأصوات ومخارجها بفتحات هذا الناى التي توضع عليها الأصابع ، وهي اشارة ذكية دالة على قوة الملاحظة و صحة الفهم .

ومع أننا لانجد عند العلماء الخالفين كمكي بن أبي طالب في " الرعاية " والرضي في " شرح الشافية " ، وابن الجزري في " النشر في القراءات العشر " مصطلحات جديدة لأعضاء النطق لاكتفائهم بترديد مسميات سيبويه فاننا نتبين الكثير من الجديد عند ابن سينا اذ عرف غضاريف الحنجرة الثلاثة ، وأطلق مصطلحات مثل "الغضروف الأول " (الأعلى) الذي يقابل عند علماء الصوت (the cricoid) وعده جزءا من القصبة الهوائية .

كما سمى الغضروف الثاني منها " المكبي " و " الطرجهاري " وقد رأينا أن هذا المصطلح الأخير ورد في معجمات العربية أنه شبه كأس يشرب بها ومعنى ذلك أن ابن سينا كان على علم

دقيق بالتشريح بحيث تسنى له وصف هذا الغضروف وسواه مما أورد .

كما عرف ابن سينا (قصبة الرئة) ووصفها في كتابه القانون وقد جهل القدماء معرفة الرئة والحنجرة ولم يشيروا اليهما عند حديثهم عن مخارج الأصوات .

فاذا أضفنا كل هذه (المعارف) الى ما تقدم ذكره منها فان من نافلة القول بيان أن علماء العرب عرفوا معظم أجهزة النطق ، واذا كان الرعيل الأول أشاروا الى ما بان من أعضاء النطق فحسب ، فان الآخرين كابن سينا أتموا هذا النقص بالاشارة الى الأعضاء الأخرى ، بل ان اخوان الصفا عرفوا دور الرئتين في احداث العملية الكلامية ، وهكذا لم يبق الا الاشارة الى الوترين الصوتيين ، وفي الحق أنهم ان لم يصرحوا باسمهما فانهم استشعروا رنينهما في الصوت المجهور ووصفوه بدقة .

تحدث العرب عن مخارج الأصوات بطريقة تفصيلية وصنفوا الأصوات بحسب المكان الذى يتم فيه التحكم في الهواء الخارج من الرئتين ، وعرف النحاة والقراء جل ما يتعلق بها ، وان كان عامتهم كالخليل وسيبويه دعاها بالمخارج والمبادئ ، والأحياز والمدارج ، وابن جني بالمقاطع فان ابن دريد سماها (بالمجارى) وتفرد ابن سينا بتسميتها بالمحابس .

وقد حصر الخليل المخارج في ثمانية وبعضهم حدّد مخارج الأصوات بطريقة أدق فوصل بالرقم الى ستة عشر أو سبعة عشر مثل سيبويه ، وابن دريد ، وابن جني ، وعلماء التجويد .

((المجهور صوت يشد الضغط فى الحجاب الحاجز معه ولم يسمح للهواء المهموس أن يجرى معه حتى ينتهى الضغط عليه ولكن يجرى الصوت فى أثناء نطاقه .)) .

((وأما المهموس فهو صوت أضعف الضغط فى موضع الضغط أثناء نطاقه حتى جرى الهواء المهموس معه ، وأنت تعرف ذلك اذا اعتبرت فرددت الصوت بنطاقه مع جرى النفس ، فانك لا تسمع له جهرا .))

كما عرفنا مصطلحات الأصوات الصامتة وأقسامها ورشحنا استعمال مصطلح " الأصوات الصامتة " على الأصوات الساكنة وتعرضنا لمصطلح "الحركات " وما يراد فيها نصا وتعريفا مثل " الأصوات اللينة " و " الصائتة " ، و " المصوتة " ، وعرفنا الحركات القصيرة (الفتحة والضمة والكسرة) والتى أطلقت عليها مصطلحات " النصف الضيقة " ، وما يقابلها من اختلاس وامالة واشمام وروم .

ب - مصطلحات دالة على صفات الأصوات الخاصة ، " كالتفشى " و " الاستعلاء " و " الانحراف " و " التكرار " وما ارتأيناه فى هذا المجال هو عدم توحيد المصطلحات بين العرب القدماء ومن ذلك : " الحروف المصمتة " و " الشجرية " و " المتفشية " ، واستخدام سيبويه مصطلح "الاطباق" مقابل " الاستعلاء " عند الخليل .

أن مصادر الكتب العربية التى عرضت مصطلحات تتعلق بأسماء الأصوات العربية وصفاتها متشابهة فى مجملها وأن أصحابها كانوا مقلدين لا مجددين وتابعين لا متبوعين . فهم لم يزيدوا على ما وضعه الخليل وسيبويه الا قليلا بل انك لتجد العبارة هى

العبارة ، وحتى الغموض هو الغموض ، وحين نتتبع تعريف سيبويه لمصطلح الصوت المجهور منذ ألا عند من جاء بعده نجده هو هو رغم ما فيه من ابهام وغموض وتعقيد ، فعبارة سيبويه " الصوت المجهور هو حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت " هي بحروفها في سر صناعة الاعراب لابن جني ، وكذا في شرح المفصل لابن يعيش ، وكذلك الأمر بالنسبة لمصطلحات الصفات الأخرى ، مثل الهمس ، والشدة ، والرخاوة ، والاستعلاء ، والانخفاض ، الخ .

أن انتباه العرب الى الآلية والتواصل بعيدا عن التعريف هو الذي ساعدهم في التمييز بين مصطلحات الأصوات الشديدة والرخوة ، فلم نجد بينهم وبين المحدثين فيها كبير خلاف . وقد دل أن تقسيمهم الأصوات الى صحيحة ومعتلة على أساس اتساع المخرج من العلة دون الصحيحة واهتدوا الى السمات الخاصة التي تميز بعض الأصوات ، مثل " اللام " التي وصفوها بأنها حرف منحرف ، والراء التي وصفوها بأنها حرف مكرر ، وقد درسوا في هذا المجال مصطلحات مثل " الذلاقة " و " الاصمات " و " الهت " وهي مصطلحات لم يعرفها البحث الصوتي الحديث .

عنى ابن جني بدراسة صفات الحروف بصفة خاصة وصفات الصوامت بصفة عامة تحت باب أقسام الحروف ، ومما يلاحظ على تعريفه للأصوات أنه كان يستعمل مصطلح " صفات الحروف " ولم يستعمل "صفات الأصوات " وذكر مصطلحات لصفات الأصوات لم يذكرها سيبويه " كالاستعلاء " و " الانخفاض " و " المشرب " و " الذلاقة " ، والجدير بالذكر أن ابن جني أول من أطلق مصطلح " علم الأصوات " بمفهومه المعاصر ولم يكن معروفا عند من سبقوه ، ويعتبر وصفه هذا للأصوات خطوة متقدمة في الدرس اللغوي وصورة ممثلة للتطور الصوتي عند العرب .

تعد اللام والميم والنون من أكثر الأصوات الساكنة وضوحا وأقربها الى طبيعة أصوات اللين ويميل بعض الدارسين الى تسميتها بأشباه أصوات اللين ففيها من صفات الأولى أن مجرى النفس معها تعترضه حوائل وفيها من أصوات اللين أنه لا يكاد يسمع لها أى نوع من الحفيف

في موازنة بين مصطلح الأصوات المائعة " اللينة " وبين الأصوات الصامتة " الساكنة " نجد أن نسبة شيوع الأولى فى اللغة أكثر وتتجاوز نسبتها الاربعين فى المائة ، ووضوحها فى السمع أبعد فهي تسمع من مسافة أطول ، وتأتى مصطلحات الفتحة فى مقدمتها فالضمة فالكسرة والفروق بينها وبين مثيلاتها فى اللغات أكبر وهذه الحقائق الثلاث تنتهى بنا الى مقولة عامة تلك أن أصوات اللين هي التى تكسب اللغة طبيعتها وتحدد الى حد بعيد طوازها الصوتى .

فى موازنة أخرى بين مصطلح الأصوات المجهورة أو الانفجارية المهموسة من حيث شيوع الاستعمال تدل النصوص اللغوية والتجارب الصوتية الحديثة على الغلبة للأولى ونسبة الثانية اليها الخمس (30 %) وذلك لسببين أولهما أن الحروف المهموسة تحتاج للنطق بها الى قدر كبير من هواء الرئتين فهي مجهدة للنفس والعضلات ، وثانيهما أن الحروف الانفجارية بصوتها الشديد تمنح اللغة رتيبا خاصة أو عنصرا موسيقيا ماكان لها لولاها .

جهل العرب بمصطلح " النبر " فلم نجد له اسما بين مصطلحاتهم وفى رأيى أن الهمز لا يعنى النبر كما وضح ذلك ابن منظور وقد أهمله العرب ولهذا فلا نستطيع أن نتبين مواضع النبر فى العصور الاسلامية

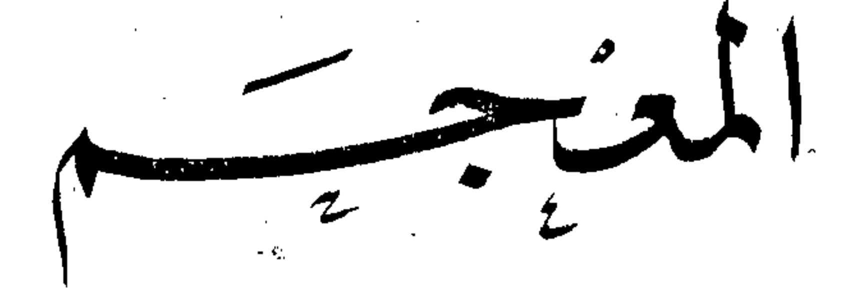
الاولى ولعل سر هذا الاهمال فى نظرى أن النبر ليس فونيما فى اللغة العربية والعرب القدماء اذا لم يصرحوا بمصطلح " النبر " فقد اكتفوا بالاشارة الى مصطلحات مثل " التطويح ، والتطريح والتفخيم من خلال معانيها اللغوية تعنى رفع الصوت وانخفاضه والذهاب به كل مذهب وهي على هذا اشارة الى النبر كما أهمل العرب دراسة مصطلح المقطع وأشكاله وأجزائه اهمالا تاما .

عرف العرب مصطلحات تتعلق بقوانين التغيرات الصوتية الصوتية مثل قانون المماثلة ، وسمي فيه مسميات ، فاتخذ مصطلح المضارعة والتقريب عند سيبوية ، وتجانس الصوت وتشاكله عند ابن يعيش و"المناسبة" عند ابن الحاجب ، كما عرفوا انون المخالفة ، وارتأينا أنهم سموها بمصطلحات نذكر منها : " كراهة اجتماع المثلين " أو " كراهية التضعيف أو كراهة اجتماع حرفين من جنس واحد أو توالى الامثال وما الى ذلك .

وقد تبين أن أول من عرف هذا القانون الخليل الذى شبهه اجتماع المثلين بمشي المقيد ، وعقد له سيبويه بابا عنوانه ماشد فأبدل مكان اللام والياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد .

وعالج المبرد المخالفة فى كتابه المقتضب فى باب عنوانه ماشبه من المضاعف با لمعتل فحذف فى موضع حذفه .

وأشار الزمخشري الى أحد ضروب المخالفة وهو حذف أحد المثلين المتتاليين فى معالجة " الادغام " ولدى كتب التفسير والنحو واللغة الكثير من الاشارات لمصطلح قانون المخالفة .


المعجم

معجم أهم المصطلحات الصوتية التي وردت في الرسالة

ــ أ ــ

※ الأثر الصوتي	EFF ET SONORE
※ الأثر الرجعي	EFFET REGRESSIF
※ الأثر التقدمي	EFFET PROGRESSIF
※ الأثر التوقعي	ANCIPATION
※ أسلي	APICAL
※ الأصل : الأرومة	RACINE
※ أصول الثنايا	LES BASES DES INCISSIVES
※ أصل اللسان	LA RACINE DE LA LANGUE
※ آلية العلامة	MACKANISME DU SIGNE
※ ألوفونات	ALLOPHONES
※ أنف	NEZ
※ أنفي	NASAL
※ آني	MOMENTAUL
※ مؤخر اللسان	DOS DE LA LANGUE

ــ ب ــ

※ البتر	APOCOPE
※ بتر المقاطع	APOCOPE DES SYLLABES
※ البدل	APPOSITION
※ ابدال	PERMUTATION
※ الابدال القياسي	ASSIMILATION
※ تبادل (أو قلب مكاني)	METATHESE
※ أبعاد	(AUXILIAIRES)
※ بلعوم	OESOPHAGE
※ بنية	STRUCTURE
※ البنية الشكلية	STRUCTURE FORMELLE
※ بنية صوتية	STRUCTURE SONORE
※ بنية عليا	SUPERTRUCTURE

- ر -

* رئـة	POUMON
* رأس القصبـة	GLOTTE
* رخـو	SPIRANTE
* مرقـق	NON EMPHATIQUE
* مركـب	COMPLEXE
* ارتكـاز	ACCENT
* تركيـب	STRUCTURE
* رمـز	SIGNIFIANT
* الـروم	RAWOM

- ز -

* المزدوجات	DOUBLETS
* زمانيـة	CONTINUE
* الزيادة	AUGMENT
* الزائـدة	AFFIXE

- س -

* الانسجام الصوتي	HARMONIE PHONETIQUE
* ساكـن	FERME
* أسنـانـي	DENTALE
* أسنانيـة لثويـة	DENTALE ALVEOLAIRE
* تسهيل الهمزة بين بين	AFFAIBLISSEMENT DU HAMZA INTERMEDIAIRE
* استعـلاء	EMPHASES

- ش -

* اشبـاع	ALLONGEMENT
* اشباه الصوائت	SEMI-VOYELLE
* شـدة	OCCLUSION
* شـديـد	OCCLUSIF

— ط —

* طبيعة الصوت	QUALITÉ DU SON
* الانطباع السمعي	IMPRESSION AUDITIVE
* طبقي	VÉLAIRE
* الأصوات الطبقية	LES CONSONNES VÉLAIRES
* مطبق	VÉLARISÉES
* الاطباق	VÉLARISATION
* مطابقة	ACCORD
* طبق رأس القصبة	ÉPIGLOTTE
* طرف اللسان (ذولق = أسلي)	APICALE
* انطلاق (أو انفجار انفي)	PLOSION NASALE
* انطلاق الهواء	PLOSION
* التطور الصوتي	L'ÉVOLUTION PHONÉTIQUE
* الطول	LA DURÉE
* طول الصوت	LA DURÉE = LA QUANTITÉ
* تطويل	ALLONGEMENT
* طويلة	ALONGÉE

— ظ —

* ظاهرة	PHÉNOMÈNE
* ظاهرة الصوت	(LE PHÉNOMÈNE DU SON)
* اظهار النون	NASALISATION
* ظهوية	DORSAL

— ع —

* علامة	SIGNE
* حروف العلة	LETTRES FAIBLES
* علم الأصوات	PHONÉTIQUE
* اعتماد (حركة)	[illegible]ROSTATIQUE

— غ —

* مغارزي	ALVÉOLAIRE
* غشاء الحنك	

EPIGLOTTE	* الغلصمة
FERMETURE	* غلق
LA NASALITE	* غنة
PALAIS ANTERIEURE	* الغار الأعلى
POLATALE	* غاري
GARITE BUCCALE	* غار الفم
CHANGEMENTS	* تغييرات
CHANGEMENT PHONETIQUES	* تغييرات صوتية
CHANGEMENTS CONDITIONNES	* تغيرات صوتية مشروطة
CHANGEMENT NON CONDITIONNES	* تغيرات صوتية غير مشروطة
	— ف —
OUVERTURE	* فتحة
(OUVERTURE DU LARYNX)	* فتحة المزمار
(ANTERIEUR QU INALA FINAL)	* الفتحة المشوبة بالكسرة
APERTURE	* الانفتاح
EMPHASE	* تفخيم
EMPHATIQUE	* مفخم
SINGULIER	* مفرد
LES FOSSES NASALES	* الفراغ الأنفي
PHARYNX	* الفراغ الحلقي
VIDE RESONNATEUR	* الفراغ الرنان
MACHOIRE	* فك
BOUCHE	* فم
BUCCAL	* فموي
PHENEME	* فونيم
EXPLOESIF	* انفجاري
AFFRICATION	* انفجاري احتكاكي
	— ق —
PROCHES	* متقاربين
MODES D'ARTICULATION	* أقسام الحروف
TRACHEE ARTERA	* القصبة الهوائية

	- ن -
SEMI VOYELLE	* نصف حركة
SOUFFLE	* نفس
SOUFFLE	* نفس
CANINE	* نابي
ARTICULATION	* نطق
CONSONANTISME	* نظام الحروف
	- هـ -
ASPIRE	* هاو
ENTRECOUPE	* مهتوت
VIBRATION	* اهتزاز
SOURDITE	* همس
SOURD	* مهموس
ASSOURDISSEMENT	* التهميس
GLOTTAL STOP	* همزة
OCCLUSIVE GLOTTALE	* همزة مخففة
ATTAQUE VOCALIQUE	* همزة قطع
ATTAQUE VOCALIQUE DOUCE	* همزة وصل
	- و -
LA CORDE VOCALE	* الوتر الصوتي
LES CORDES VOCALES	* الوتران الصوتيان
UNITE PHONETIQUE	* الوحدة الصوتية
SONORITE	* الوضوح السمعي
LOCALISATION	* موضع
LA CONCORDANCE	* التوافق
PAUSE	* وقف
MEDIAN	* وسيط .

ALVEOLES	* مقدم الحنك
METATHESE	* قلب مكانى
SONORISATION	* قلقلة
SONORISATION	
OCCLU-EXPLOSIVES	* حروف القلقلة
BREF	* تصغير
SYLLABE	* مقطع

— ك —

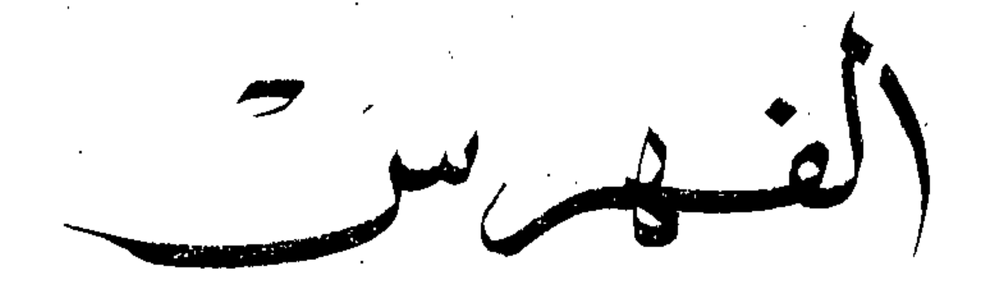
ROULE	* مكسور
QUANTITE	* كمية

— ل —

ALVEOLES	* اللثة
ALVEOLES	* لثة أو مقدم الحنك
ALVEOLAIRE	* لثوى
PALATO ALVEOLAIRE FRICATIF	* لثوى حنكى
LANGUE	* لسان
MILIEU DE LA LANGUE	* لسان (وسطه)
LUETTE	* لهاة
UVULAIRE VELAIRE	* لهوى
MOUILLE	* لين

— م —

INFLEXION	* امالة
IDENTIQUES	* متماثلين
ALLONGEMENT	* مدّ
ASSIMILATION	* مماثلة
TRACHEE	* مزمار
DENTS SUPERIEURES	* مقدم الحنك
LIQUIDE	* مائعة


الفهرس

8 — اللمع في العربية . تحقيق فائز فارس . دار الكتب الثقافية . الكويت . (د . ت) .

9 — المنصف لكتاب التصريف . تحقيق ابراهيم مصطفى وعبدالله أمين . مطبعة البابى الحلبى . القاهرة . 1955م .

10 — سر صناعة الاعراب . تحقيق مصطفى السقا وأصحابه ، مطبعة البابى الحلبى . القاهرة . 1954م . ج : 1 .

ابن الحاجب :

11 — الكافية . (في النحو) ، ط : 1 ، روما ،

ابن خلدون :

12 — المقدمة ، ط : 5 ، مراجعة لجنة من العلماء . دار الرائد العربى . بيروت . 1982م .

ابن درستويه :

13 — تصحيح الفصيح . تحقيق الدكتور عبدالله الجبوري ، بغداد 1975م .

ابن دريد :

14 — جمهرة اللغة . مكتبة المثنى . بغداد . (د . ت) ج : 1

ابن السراج :

15 — الموجز في النحو . تحقيق مصطفى الشويمى . وبن سالم دامرجى . د بدران . بيروت . 1965م .

الأزهري (أبو منصور)

38 — تهذيب اللغة . حققه وقدم له عبد السلام هارون .
المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر . القاهرة .
1967 م .

الاستراباذي (رضي الدين)

39 — شرح شافية ابن الحاجب . تحقيق جماعة من
الأساتذة . دار الكتب العلمية . بيروت 1982 م .

الأشموني

40 — شرحه على ألفية بن مالك . (ط : 1) تحقيق محي الدين
عبد الحميد . بيروت . دار الكتاب العربي . 1955 م .

برجستراسر

41 — التطور النحوي للغة العربية . ترجمة الدكتور
رمضان عبد التواب . مكتبة الخانجي . القاهرة .
1982 م .

بروكلمان (كارل)

42 — فقه اللغات السامية . جامعة الرياض . 1977 م .

البغدادي اسماعيل

43 — هدية العارفين في أسماء المؤلفين والمصنفين . استانبول .
وكالة المعارف . 1951 م .

السكاكي :

72 - مفتاح العلوم . المطبعة الميمنية . (د . ت) .

شهاب الدين القسطلاني :

73 - لطائف الاشارات لفنون القراءات . تحقيق وتعليق . الشيخ عامر السيد عثمان . ود . عبد الصبور شاهين . القاهرة . 1972م .

شوقي جمال :

74 - الأصوات والاشارات . الهيئة المصرية العامة للكتاب . 1972م .

طاش كبرى . زاده :

75 - مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم . تحقيق . كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور . القاهرة . 1969م .

الطيب البكوش :

76 - التصريف العربي . الشركة التونسية لفنون الرسم . تونس . 1973م .

عبد الرحمن أيوب :

77 - التطور واللغة . القاهرة . 1964م .

78 - أصوات اللغة . مطبعة الكيلاني . القاهرة . 1968م .

كمال بشر :

95 ـ علم اللغة العام . القسم الثاني . الأصوات . دار المعارف .
مصر . 1973م .

96 ـ دراسات في علم اللغة . دار المعارف . مصر . 1973م .

لالند :

97 ـ المصطلح التقني النقدي للفلسفة . 1926م .

ماريوباي :

98 ـ أسس علم اللغة . ترجمة وتعليق الدكتور أحمد مختار عمر .
عالم الكتب . القاهرة . 1983م .

المالقي ، أحمد عبد النور :

99 ـ رصف المباني في حروف المعاني . تحقيق محمد خراط .
وفخر الدين قباوة . 1973م .

المبرد :

100 ـ المقتضب . تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة . بيروت .
عالم الكتب . 1382هـ .

101 ـ الكامل في اللغة والأدب . تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم
والسيد شحاته . دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة .
(د.ت) .

محمود السعران :

102 - علم اللغة . دار المعارف بمصر . 1962م .

محمود فهمي حجازي :

103 - علم اللغة . الكويت . 1973م .

محي الدين رمضان :

104 - في صوتيات العربية . مكتبة الرسالة الحديثة . عمان . (د . ت) .

المرادي :

105 - الجنى الداني في حروف المعاني . تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم . حلب . 1973م .

مكي بن أبي طالب :

106 - الرعاية لتجويد القراءة . دمشق . دار المعارف . 1973م .

مهدي المخزومي :

107 - الخليل بن أحمد الفراهيدي . مطبعة الزهراء . بغداد . 1960م .

ميسة ، أنطوان :

108 - علم اللسان . (منهج البحث في الأدب واللغة) دار العلم للملايين . 1946م .

ب ـ مطبوعات جامعية :

اسماعيل البدوي :

122 ـ علم الأصوات . مطبوعة لطلاب معهد الآداب واللغة العربية
جامعة قسنطينة . 1973 م .

هادي نهر :

123 ـ بين الحرف والصوت . محاضرات في الصوتيات . ألقيت على
طلبة الدراسات العليا . معهد الآداب واللغة العربية .
جامعة قسنطينة . 1980 م .

فهرس الموضوعات

مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي

دراسة وتقويم

الفصل الثالث

المصطلحات الدالة على أعضاء النطق

الفصل الرابع

المصطلحات الدالة على صفات الأصوات العربية

*****